الدليل

على مزارات اليهودية والجليل

لخصه

الاب كميل مارون

عن الدليل الجديد للعلامة الاب برنابا مايسترمن

كلاهما من مرسلي الاخوة الاصاغر

الدليل

على مزارات اليهوديّة والجليل

لخّصه

الاب كميل مارون

عن الدليل الجديد للعلّامه الاب برنابا مايسترمن

كلاهما من مرسلي الاخوة الاصاغر

طُبع في اورشليم

بمطبعة الآباء الفرنسيسيّين سنة ١٩١١

Ego infrascriptus perlegi opus a R. P. Camillo Maroun, Miss. Apost. O. F. M., « Nouveau Guide de Terre Sainte » R. P. Barnabæ Meistermann, Miss. Apost. O. F. M., summarie excerptum et in arabicum idioma versum, et aptum reperi orientalium peregrinorum necessitatibus, ideoque dignum ut in lucem edatur censeo.

In quorum fidem etc.

Fr. Berardus Scladarevian
Censor deputatus.
Hierosolymis, 14 Aprilis 1910.

Nihil obstat ex parte nostra quominus imprimatur
Hierosolymis die 17 Aprilis 1910
Fr. ROBERTUS RAZZÓLI
Custos Terræ Sanctæ

Hierosolymis die 20 Aprilis 1910
IMPRIMATUR
† PHILIPPUS M. CAMASSEI
Patriarcha

مقدمة

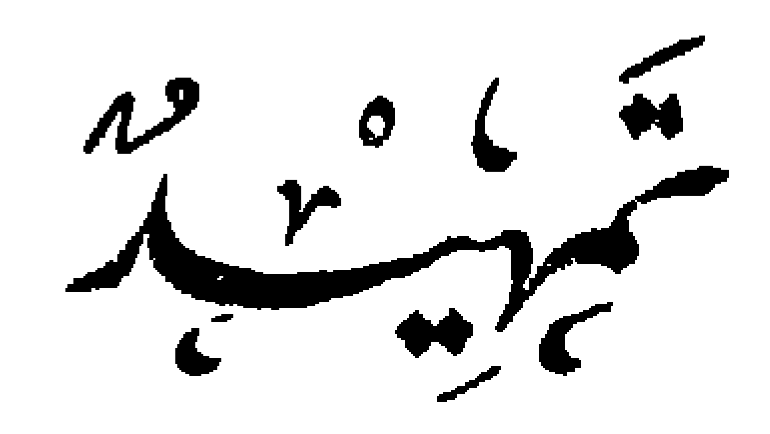
بسم الله العليم الحكيم

سبحان رافع السماء وباسط الارض . مَن شرَّف بحكمته الغامضة بعضها على البعض . وجعل الشرق مهد التديُّن والايمان فمنهُ انتشر الدين في سائر البلدان . وفيهِ اشرق شمس البرّ والحكمة الصمدانيَّة . وسُطِّرت آيات الوحي الربَّاني ودُوّنت الكتب النبويّة . فأصبحت ارجاؤهُ محطّ الرحال . لكافة الامم والأجيال . تأتيها الزوّار سيرًا وادلاجًا . وتدخل في معابدها للصلاة افواجًا . كيف لا وقد احرزت منذ التجسد السعيد . مهد الخلاص وبيت الناصرة والقبر المجيد . وغيرها من المقادس الشريفة . والآثار القديمة والبنايات المنيعة . فسبحان مَن يفقر البلاد ويغنيها . كما يسعد العباد ويشقيها . فهو القدير الحكيم . وفوق كل ذي علم عليم

اما بعد فلما شاع واشتهر ان الغريب اعمى ولو ابصر . وعليهِ فمَن شاء من الزوّار ان يجني من زياراتهِ المقدسة غزير الاثمار .

لا بدَّ له من هادٍ يستهديهِ. او كتاب يسترشدهُ الى ما يبتغيهِ.
ولذا قد كتب الأجانب كتبًا جمّة كل بلغتهِ. تسهيلًا للسوَّاح
من بني جلدتهِ. ولما كان الدليل الجديد على الارض المقدسة
للعلامة الاب برنابا مايسترمَن من مرسلي الاخوة الاصاغر. قد
حاز قبول الخاصة والعامة في هذا الفنّ. حتى اصبح كالمثل السائر
لما فيهِ من التدقيق والمباحث الفريدة. مما حرَّض القوم على
استخراجهِ الى لغات عديدة. رأيت ان اتحف ببعض فوائدهِ
قرّاء لغتنا العربيَّة. مقتطفًا عنهُ اجلّ المنافع الدينيَّة والادبيَّة.
مقتصرًا فيهِ على ذكر المقادس الأكثر شهرة واكرامًا.
والتزام الامور الاسهل مأخذًا والمامًا. مما عليهِ يقتصر غالبًا
اهل هذه البلاد مسعًى. فلا يتطرقون الى ما دونهِ بحثًا وشسعًا
فمَن رام زيادةً في التبيان والتدقيق. او ايغالًا في التمحيص.
والتحقيق فعليهِ بالأصل يراهُ كافيًا وافيًا. غزير المادة شافيًا.

والله نسأل التوفيق لما يجديهِ مجدًا واجلالًا. ويكسب
عبادهُ نفعًا وكمالًا. وان يقرن دعاءنا بالقبول فمنهُ الاستجابة.
وهو خير مسؤول واليهِ الانابة. وعليهِ الاتكال. في
كل حين وحال



في الغفرانات

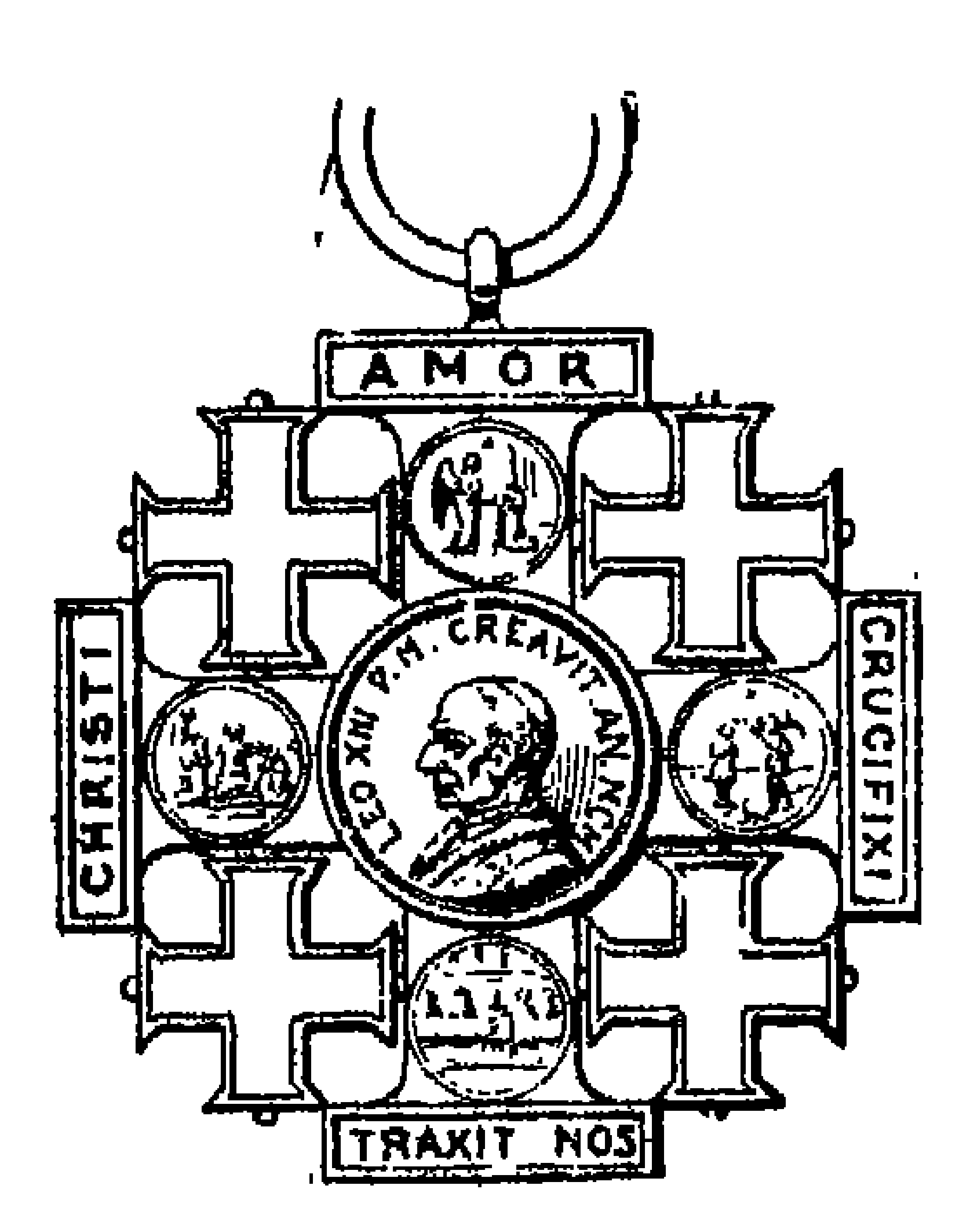
ان الأحبار الاعظمين قد منحوا منذ القرون الغابرة غفرانات كاملة وانعامات وافرة لكافة المؤمنين يربحونها في زيارة المقادس والمعابد الفلسطينية تنشيطاً وتحريضاً للاقدام على هذا العمل المبرور. فقد يتمكن الزائر من ربح ما فوق الواحد من الغفرانات الكاملة في المكان عينهِ او الكنيسة ذاتها لما هناك من تعداد الحوادث المقدَّسة التي جرت فيهِ. ويمكن تقدمة كل هذه الغفرانات لاسعاف النفوس المطهرية. وقد وضعنا في هذا المختصر صليباً ✠ للدلالة على الغفران الكامل وآخر † على الغفران غير الكامل كما سترى في محلهِ. ويكفي لنوال هذه الغفرانات كلها ان يكون المؤمن في حال النعمة ويتلو «الابانا والسلام والمجد» مرة واحدة في المكان او المقدس المعيَّن. ولا مانع من ربح الغفران ذاتهِ في المحل عينهِ مرَّات كل يوم

في الاشياء التقويّة

كلّ الاشياء التقويّة كالسبح او الصلبان او القُوَن الخ يمكن تغفيرها بمجرد مسّها احد الاماكن المقدسة كوضعها مثلًا على قبر الخلاص او الجلجلة او مهد بيت لحم فبهذا وحده تضحي مغفَّرة. اي مَن يستعملها للصلاة او لغرض تقويّ آخر كتقبيلها او تعليقها في عنقهِ او في بيتـــهِ الخ يربح ما وُضع لها من الغفرانات. الّا الصلبان لغفران درب الصليب فيقتضي لذلك ان يباركها كاهن قد نال الانعام من رؤساء الاخوة الاصاغر. وهذه الاشياء كلها تفقد غفراناتها اذا انتقلت لثانٍ بالمبيع او الهبَة

كل مَن حمل او حفظ في مخدعه شيئًا مغفَّرًا في الأماكن المقدَّسة يمكنهُ ان يربح اولاً غفرانًا كاملًا في اعياد الميلاد والختان والدنح اي الغطاس والقيامة والعنصرة والصعود والجسد وميلاد العذرآء وبشارتها وتقدمتها يسوع في الهيكل وانتقالها وميلاد يوحنا واعياد الرسل وجميع القديسين. بشرط المثابرة على صلاة خصوصيَّة واعمال الرحمة اقلَّهُ مرة كل اسبوع والاعتراف والتناول في كل من الاعياد المذكورة مع الصلاة عن نيَّة الحبر الاعظم. وغفران كامل عند ساعة الموت بشرط ان يقولـــ المنازع اقلَّهُ بالنيَّـــة «يا يسوع» وقد مُنحَت غفرانات تبعيضيَّة كثيرة غير ما ذكر لمن يتلو الابانا او السلام او نؤمن الخ (راجع مجموع الغفرانات)

❊ وسام ❊



قد أنشأ الحبر الاعظم لاون الثالث عشر وساماً مخصوصاً لزوّار الاماكن المقدسة بثلاث مراتب اي ذهبيّ وفضيّ ونحاسيّ وكَّلها ينعم بها رئيس عام الأماكن المقدسة وحافظها بشروط مقرَّرة . فمَن شاء نيلها عليهِ بالسؤال عن تلك الشروط احد الآباء من رهبانيّه الاخوة الاصاغر

❊ لمحة عامّة تاريخيّة ❊

اننا نقتصر في هذه اللمحة على بعض الحوادث الاجماليَّة لما وعدنا من الايجاز ولاننا سنذكر الحوادث الخصوصيَّة في محلاتها ان شاء الله . فما هي الّا لمحة عامة

— ١ —

الدور الكنعانيّ

قد ذكر الكتاب العزيز أُمماً شتّى كانت تقطن ارض فلسطين في عهد ابرهيم الخليل . اذ وعدهُ الله ان يعطيهُ هذه الاقطار ميراثاً لهُ ولذريتهِ من بني اسرائيل . وذهب ايرودتس ان قبائل شتّى كانوا قد احتلّوا ارض الميعاد آتين اليها من جزيرة فارس فقطنوا اولاً السواحل البحرية منها . ثم امتدوا الى ضفّات الاردن وهناك اتخذوا لغات الامم التي تغلبوا عليهم من الساميّين . هذا اذا لم تكن لغتهم ساميَّة قبل نزوحهم عن وطنهم من سواحل بحر فارس حيث كان مسقط رأس ابرٰهيم ابي الآباء . وكانت هذه القبائل منقسمة الى امريات مختلفة اهمّها الى الجهة البحرية من ارض كنعان . واما الى الشمال فكان الحثيون جيل ابطال طالما نازعوا المصريين والكلدانيين في التغلّب على أُسيا الغربيَّة . واتى اقوام من جزيرة العرب فتقلبوا على وادي النيل او قسم منهُ واستفحل امرهم فيهِ ويُعرفون عند المصريين بالامكيسوس او الرعاة

— ٢ —

الدور الابرٰهيميّ

ونحو ذلك العهد اي قبل التجسد باحد وعشرين قرناً حلّ ابرٰهيم الخليل ارض كنعان فخيَّم لجهة حبرون بين امم ميَّالين للاحن

والضغائن والترم حفيدهُ يعقوب ان يغادر تلك النواحي مع كل زويهِ بعد مائتي سنة ليسكن بالقرب من ابنهِ يوسف مذ علم بانهُ قد اصبح في مصر عزيزًا مقربًا لدى فرعونها اذ ذاك . وكان ذلك عهد مصر الذهبيّ وتغلّبهم على بلاد عديدة من ارض كنعان الساحليّة كصور وصيدا وغزّة وغيرها . وفي القرن التالي عاد موسى بالشعب الاسرائيليّ الى ارض الميعاد . ودوخها من بعدهِ خليفتهُ يشوع بن نون آتيًا من جهة الاردن ففتح اريحا ثم غالب بلاد كنعان وقسّم الارض بين الاسباط وجعل مدينة شيلو مرجعًا عامًا لهم ومقرًا لتابوت العهد

— ٣ —

دور القضاة والملوك

وانحطّ الشعب بعد موت يشوع بن نون وطفى بنو اسرائيل. فبدلاً من استكمال الفتح اختلطوا بالامم المجاورة وعاهدوهم فكادوا ان يتناسوا ربهم لولا ان اقام لهم تعالى القضاة ليردعوهم ويؤنبوهم فدام هذا الدور نحو ثلاثة قرون . ثم جاء عهد الملوك اولهم شاؤول الذي مسحهُ صموئيل — النبي آخر القضاة ملكًا على اسرائيل ثم داود صاحب المزامير الذي كان اعظم ملوك بني اسرائيل وقد مسحهُ ملكًا صموئيل النبي ايضًا فملك بعد موت شاؤول وبنيهِ في الحروب الفلسطينيّة . وكان ذلك نحو القرن الحادي عشر قبل التجسّد . وخلّف داود النبي على الملك ابنهُ سليمان الحكيم وأزهرت المملكة في ايامهِ وبنى الهيكل في اوائل القرن العاشر قبل المسيح .

ثم انقسم الشعب بعد موته الى مملكتي يهوذا واسرائيل ولم يزل الشقاق قائمًا وعواقبهُ الوخيمة عائدة مع الضعف والانحطاط حتَّى سقطت مملكة اسرائيل في قبضة الاشوريّين سنة ٧٢١ ق٠م٠ ومملكة يهوذا في يد الكلدانيين سنة ٥٨٨ ق٠م٠ وعمَّ الخراب والدمار وجُلي الشعب الى بابل نحو نصف قرن بطولهِ ونيف.

— ٤ —

الدور الكهنوتيّ واليونانيّ

ولمَّا تغلَّب قورش ملك الفرس على الكلدانيّين سمح لليهود بالعود الى اوطانهم فعاد منهم خمسون الفًا سنة ٥٣٦ ثم رخَّص لهم داريوس بتجديد بناء الهيكل٠ ثم قام نحميًا فحصَّن اورشليم ولم يطل هذا العصر سوى نحو قرنين اي حتَّى سنة ٢٣٢ حين استيلاء اليونان على الشعب واخضاعهِ عنوة٠ فلم تزل اليهود معهُ بين انكسار ومقاومة ونشوز وخضوع حتَّى قام بينهم ماتاتياس وخلفاؤهُ المكابيُّون الابطال فنالوا بشجاعتهم استقلال الأُمة بعد الدفاع العنيف ودام السعد يخدمهم حتَّى سنة ٧٨ ق٠م٠

— ٥ —

الدور الرومانيّ

ونحو سنة ٦٣ دارت الدوائر على امَّة اليهود فزال الملك عنهم نهائيًّا اذ وقعوا في قبضة الرومانيّين فسطا القياصرة عليهم وحكموا

فيهم وقسموا مملكتهم الى ارباع واقاموا العمّال بامر القيصر . وهكذا كانت حالتهم منذ نصف قرن اذ تجسّد الكلمة مشرّفاً ارضنا . ثم هُدم تماماً الهيكل واضمحلّت الامّة كشعب مستقلّ منفرد على حدتهِ كما تنبأ عليهم فادينا بفمهِ العزيز وذلك نحو انتصاف القرن الاول للمسيح . فلم يبقَ منهم الّا شراذم متفرقة شتاتاً عبرة للشعوب وعظة للطاغين . وامتدّ الدين المسيحيّ رغماً عن الاضطهاد العام والعذابات الهائلة المعدّة لكلّ من جاهر بالايمان بالمسيح . ودام هذا الاضطهاد العنيف ثلاثة قرون متوالية

— ٦ —

الدور المسيحيّ

ولمّا قام قسطنطين الاكبر ٣٢٣ للمسيح اعطى المسيحيّين الحريّة وعزز النصرانيّة وجاءت امّهُ القديسة هيلانة الى القدس الشريف سنة ٣٢٥ وفتّشت فاكتشفت على عود الخلاص وانتصر المؤمنون بالانتصارة غير ان جُليانس الجاحد قام سنة ٣٦١ فاستأنف اضطهاد النصرانيّة وسعى في ارجاع اليهوديّة والوثن وسمح لليهود بتجديد بناء الهيكل . ولكن مساعيهِ هذه كلها قد حبطت وذهبت ادراج الرياح ودام التغلّب للنصرانيّة في هذه الاقطار الفلسطينية وارجائها الفسيحة . وقيل ان تسمية هذه الامصار ببلاد فلسطين اتت عن الفلسطينيين وهم جيل من الناس قد نزحوا من النفطور جزيرة كريد فاحتلوا وادي النيل ثم امتدّوا من هناك الى بلاد

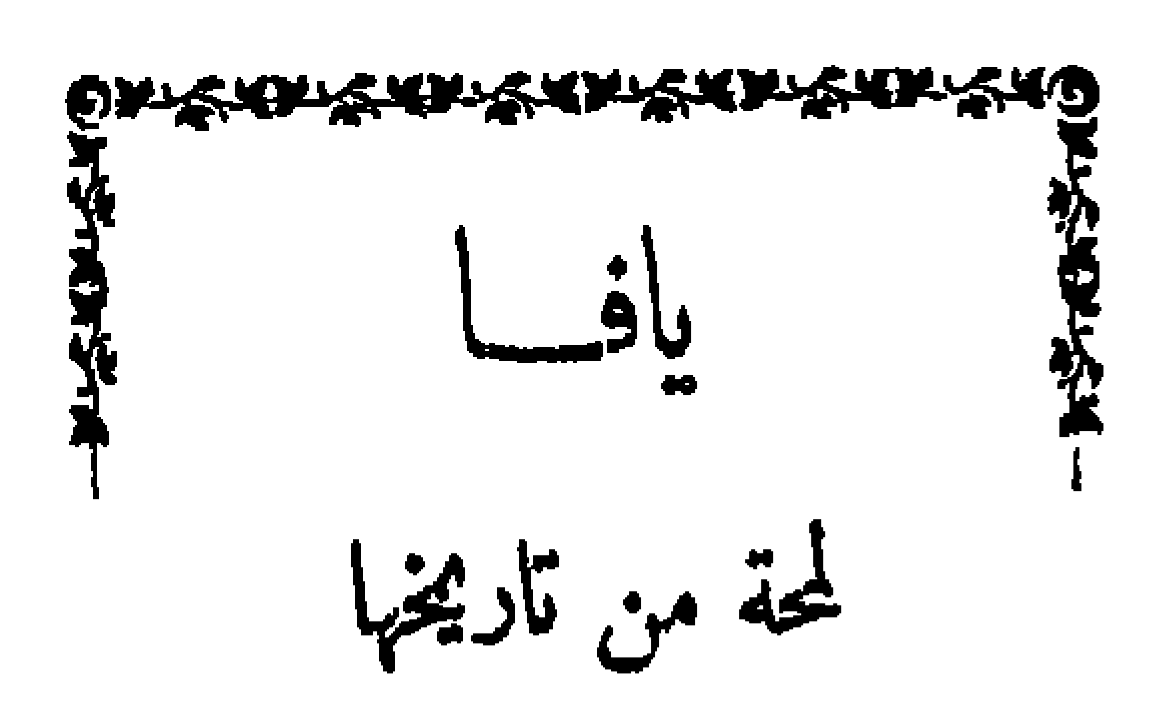
كنعان وكانوا اشدّ الاعداء امام اليهود من حين الافتتاح الى عهد القضاة وما بعد ذلك . وبهم تسمّت كل بلاد كنعان وما حولها « ارض فلسطين » بل كان هذا الاسم في القرن الخامس يعمّ على ثلاث مقاطعات فسيحة وهي : فلسطين الأولى وتشتمل الجهة الغربيّة من اليهوديّة والسواحل السامريّة وعاصمتها قيصريّة . وفلسطين الثانية وهي : الجليل ومايليها الى البحر وعاصمتها بيتران او بيت سان . وفلسطين الثالثة المخصبة (او الصحية) وتشتمل كل قبلي اليهوديّة وما يليها الى الشمال حتّى جزيرة العرب وعاصمتها بيترا (في وادي موسى) وكانت هذه الولايات الثلاث تتضمّن سبعين ابرشيّة يسوسها سبعون حبرًا بين اساقفة ورؤساء اساقفة

— ٧ —

الدور الاسلاميّ

ثمّ استولى عمر الخطاب ثاني الخلفاء على القدس وفلسطين ٦٣٧ الموافقة للسنة السادسة عشر للهجرة ولم تزل حتّى هذا العهد تحت سلطتهم لم ينازعهم فيها منازع ما خلا عهد الصليبيين الذي لم يستمرّ الّا نحو قرنين فقط اي من سنة ١٠٩٦ الى سنة ١٢٩٢ وكانت الغلبة تارةً لهم وطورًا عليهم حتّى خرجوا خائبًا عن البلاد واستتب الملك للتتر على عهد تيمورلنك ثم انتقل الى السلطان سليمان الاول سنة ١٥١٧ ومن عهد الصليبيين الى القرن التاسع عشر

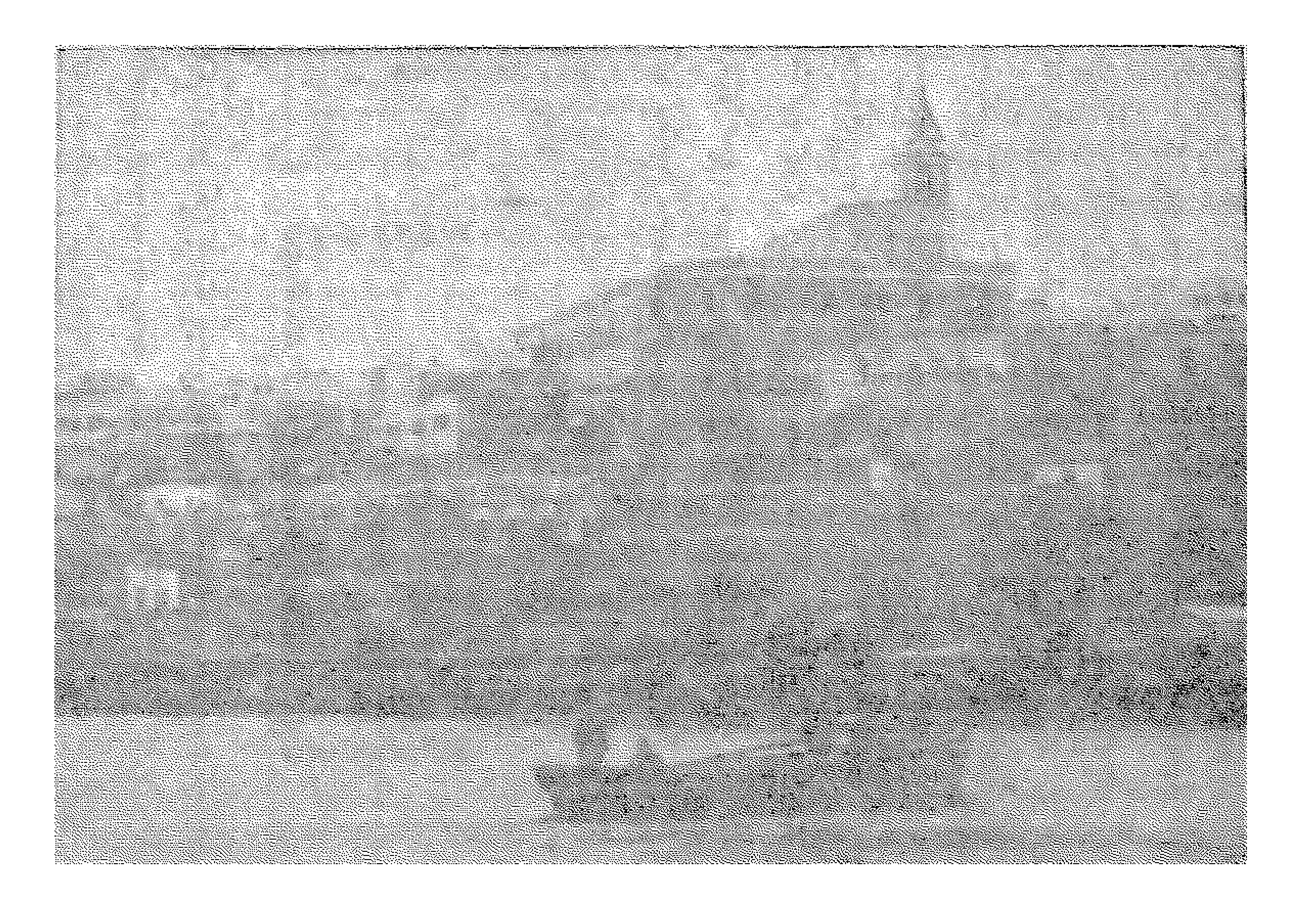
لم يعد في الشرق لحراسة الاماكن المقدّسة وضيافة الزوار ورعاية المسيحيين من الطقس الغربي الّا الاخوة الاصاغر حتّى دعاهم الكثيرون باسم آباء الاماكن المقدسة وتلك خدمة جليلة للعالم المسيحي اجمع قد ثبتوا عليها بقدم راسخة منذ سبعمائة سنة ولم يزالوا حتّى الآن



يافــا

لمحة من تاريخها

زعم فريق من الربيين (علماء اليهود) ان باني هذه المدينة هو يافث بن نوح . وربما ما حملهم على هذا الزعم هو موافقة الاسم واماً يوستينيوس المؤرخ فيعزي بناءهــا الى الفينيقيّين وهو اقرب احتمالاً . وعلى كلٍ فهي مدينة عريقة في القدم قد ذكرها الفراعنة في عدد افتتاحاتهم منذ ستة عشر قرناً قبل المسيح . ولمّا اقتسم الاسباط ارض الميعاد ايام يشوع بن نون كانت يافا من نصيب سبط دان . ولكن اليهود لم يستولوا عليها الّا في عهد داود النبيّ فهو اول مَن اخضع البلاد الساحليَّة واستخلصها من يد الفلسطينيين . وفي ايام سليمان اتى الفينيقيُّون الى مرفاها بخشب الارز مــن جبل لبنان لبناء هيكل اورشليم . ونحو القرن الثامن ق٠م٠ التجأ الى مرفإِ هذه المدينة يونان النبيّ فبعث بهِ العليّ لانذار اهلـــ نينوى وأبحر في سفينـــة تتجهُ الى ترسوس فهاج البحر جدا وكاد



مدينة يافا

يغرقها حتَّى القوا النبي في البحر فابتلامهُ حوت قذف بهِ الى الساحل حيًا بعد ثلاثة ايام . وعلى عهد المكابيين سطا اهل يافا على اليهود واغرقوا منهم مائتين نفسًا في البحر . ولمَّا سمع بذلك يهوذا المكابي سنة ١٦٥ ق.م . حمل على المدينة ليلًا وفتح ابوابها عنوة واحرق سفنها بما حملت . ثم استولى من بعدهِ سمعان المكابيّ على المدينة سنة ١٤٠ ق.م . واخضعها . وقد انتشر الايمان المسيحيّ في يافا منذ اوائل النصرانية فهناك اقام بطرس الرسول من الموت الارملة طابيتا اودوكا فآمن الكثيرون بالمسيح وهناك سكن هامة الرسل في بيت سمعان وعاين الرؤيا الرمزية في مائدة تنحدر من السمآء عليها من الحيوان ما هو طاهر ونجس معًا . ونرى اسم اسقفها منذ القرن الخامس في زمرة الاساقفة الملتئمين في لدّة كما بعد ذلك بقليل في مجمع افسس سنة ٤٣١ وقد استتب لها اسم يافا منذ استيلاء العرب عليها سنة ٦٣٧ وبقي لها حتى الآن ولم تزل مرفأ القدس وفلسطين

وعلى عهد الصليبيين أتاها القديس لويس ملك فرنسا سنة ١٢٥١ وحصّنها باربعة وعشرين برجًا واشاد فيها كنيسة عظمى بعشرة مذابح لرهبان الاخوة الاصاغر . ثم سقطت يافا عن عزّها فبقيت نحو اربعة قرون مهملة متروكة لا يقطنها الّا بعض البحرية وصيادو السمك . وكان يذهب اليها الرهبان الأصاغر ليستقبلوا الزوار فيأتون بهم الى الرملة رأسًا فيضيفونهم هناك . ولم تنهض يافا من هذا الانحطاط حتَّى القرن السابع عشر وحينئذٍ تمكن الآباء الاصاغر من اشادة دير لهم فيها ومنزل للزائرين الآتين من

البلاد الشاسعة . ولمَّا استولى عليها محمود بيك ابو الذهب قتل منها الكثيرين من المسيحيين ومن جملتهم اثنين من الاخوة الاصاغر وهما خوري اللاتين ومعاونهُ سنة ١٧٧٥ ثم اتاها ابرهيم باشا ابن محمد علي باشا واستولى على قلعتها في كانون الاول سنة ١٨٣١ وبعد سبع سنين حدث فيها زلزال هائل خرَّب اسوارها وقسماً كبيرًا من ابنيتها

زياراتها

— ١ —

☩[1] كنيسة الاخوة الاصاغر الرعائيّة

قد تشيَّدت هذه الكنيسة على آثار قلعة قديمة العهد يصعد تاريخها الى القرن الثالث عشر فترى الآن هذه الكنيسة الجديدة عَلَى قمة مرتفعة وقد اقيمت على اسم القديس بطرس الرسول وبجانبها منزل لاضافة الغرباء ودير للاخوة الاصاغر القائمين بخدمة الرعيَّة والكنيسة والزائرين

(١) قد وضعنا صليباً ☩ للدلالة على الغفران الكامل وآخر † على الغفران غير الكامل كما ذكرنا سابقًا

— ٢ —

† بيت سمعان الدبّاغ

الى شمال الكنيسة حارة تُدعى حتى في سجلّات الحكومة حارة طابيثا . ولكننا لا نعلم بتأكيد موقع البيت نفسهِ حيث زعيم الرسل اقام من الموت الارملة التقية طابيثا كما جاء في اعمال الرسل (٩: ٣٦–٤٣) وعلى بضع دقائق من هناك جامع الطبيات او مار بطرس كما يدعوهُ النصارى . وهو جامع قد بُني على تل خراب قديم وهو بيت سمعان الدبّاغ على ما جاء بهِ التواتر العريق في القِدَم . حيث قطن بطرس الرسول ونال رؤيا المائدة بما عليها من الحيوان من طاهر ونجس معًا وسمع صوتًا من السماء يامرهُ بان يذبح ويأكل وان لا يحرِّم ما حلّلهُ العليّ . وهذه كناية معناها ان يقبل في حضن الكنيسة كل الامم بلا تمييز ولا تفضيل (اعمال ١٠: ١٠ — ١٥) كما فسَّر الشارحون . والى هناك بعث كرناليوس القائد يستدعي الرسول الى قيصرية (اعمال ١٠: ١ —٣٣) ويؤيد هذا التواتر قرب البحر من هناك وسكنى الدبّاغين بجانبهِ حتّى يومنا هذا . وما اكتُشِف حديثًا من آثار كنيسة قديمة فهي لا شك التي اشادها القديس لويس

للاخوة الاصاغر على آثار كنيسة القديس بطرس المندثرة اذ ذاك

— ٣ —

جبل او أرض طابيتا

على بعد ربع ساعة من المدينة الى ظاهرها على طريق القدس يُشاهد سبيل قد اشادهُ حاكم قد تولّى يافا في اوائل القرن التاسع عشر ويعرف بأبي نبوت . وبقرب هذا السبيل تلّ يُدعى ارض او جبل طابيتا يؤمهُ الناس افواجاً من كل جنس حتى الآن للزيارة كل سنة في الاحد الرابع بعد الفصح . ويزعمون ان هناك قبر طابيتا الارملة التقيّة . ففي سنة ١٩٠٥ قد بلغ عدد الزائرين نحو خمسة عشر الفاً . اننا لا نعلم أهناك كان موقع قبرها الحقيقيّ ولكن الآثار تدل صريحاً على ان المحل مقبرة لليهود . وقد اكتشف هناك قبور منحوتة في الصخر وعليها رسوم عبرانيّة قديمة مما يؤيد التواتر العريق في القِدَم

— ٤ —

من يافا الى القدس

قد اقام ثريّا باشا سنة ١٨٦٠ اذ كان متصرف القدس سبعة عشر متحرّساً على هذا الطريق من يافا الى القدس ووضع فيها

الفقراء لحراسة الزوّار وقد تهدّمت الآن تلك المحارس فلم يبقَ منها الّا اطلالاً دوارس . فيرى الراكب الى القدس الشريف بعد المَحرَس الثاني طريقاً الى شمالهِ يوصلهُ الى اللد بمسافة نصف ساعة ومن هناك الى الرملة بثلاثة ارباع ساعة . غير ان المسافر على عربة خير لهُ ان يذهب اولاً الى الرملة ومنها الى اللد او لدة

— ٥ —

اللد

على نحو نصف ساعة من المحطة المدعوّة بهذا الاسم وهي الأُولى في الذهاب على سكة الحديد ترى قرية هي «مدينة اللد» حيث ذهب زعيم الرسل لافتقـاد القديسين اي المؤمنين وهناك شفى المخلّع المحطوم منذ ثماني سنين في الفراش (اعمال ٩ : ٣٢ــ ٣٥) والى هناك اتى الرسل المبعوثون يستدعونهُ الى يافا لشفاء الارملة التقيّة طابيثا . ومنذ اول تغلُّب النصرانيّة على عهد قسطنطين اضحت اللد كرسيّ ابرشيّة فاننا نرى اسم اسقفها مدرجاً بين آباء المجمع النيقويّ سنة ٣٢٥ وفيها كنيسة قديمة جدًّا على اسم القديس جرجس . ويزعمون ان هذا الشهيد قـد وُلد في هذه المدينة . والى هذه الكنيسة قد نُقلت عظامهُ من



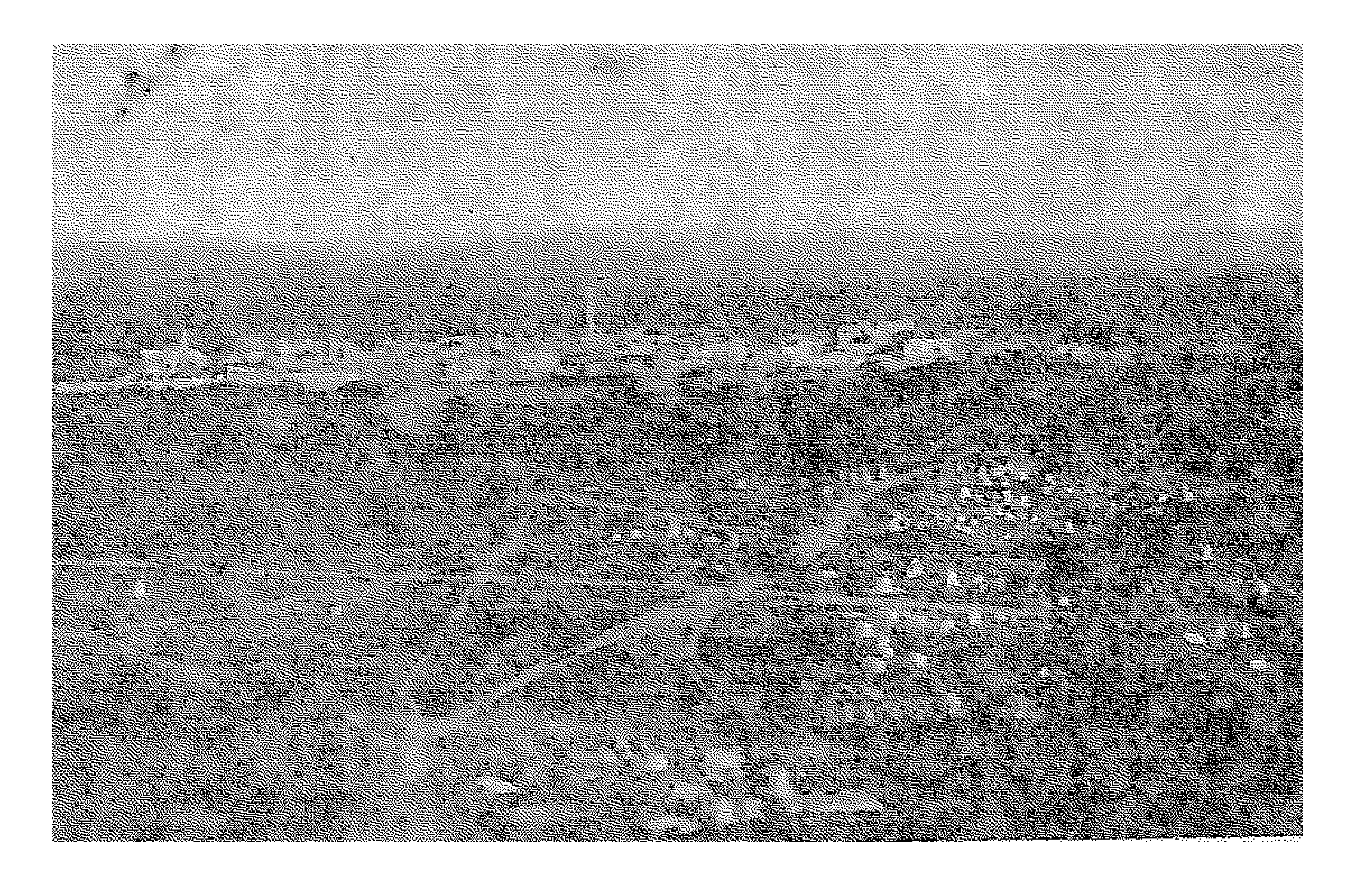
منظر اللد

نيقوميدية في الكبادوك . وترى ما يؤيد ذلك في تيودوسيوس الشماس سنة ٥٣٠ فانهُ يذكر في مؤلفهِ ان قبر القديس جرجس في لدة . غير ان ما بقي حتى الآن من آثار تلك الكنيسة التي أحرقت وتهدّمت منذ سنة ١٠١٠ هو من انشاء الصليبيّين كما يظهر جليًا لكل عالم بالآثار القديمة . وقد بناها الافرنج في القرن الثاني عشر بجزاء الاولى المندثرة وكانت ولم تزل في يد الاخوة الاصاغر حتى انتقلت منهم الى الروم سنة ١٨٧٣ بامر سلطانيّ واستعاضهم عنها بقرية العنب او ابو غوش . ثم اعطت الحكومة الفرنساوية هذه القرية للآباء البندكتيّين فاشادوا فيها ديرًا لهم سنة ١٨٩٩

— ٦ —

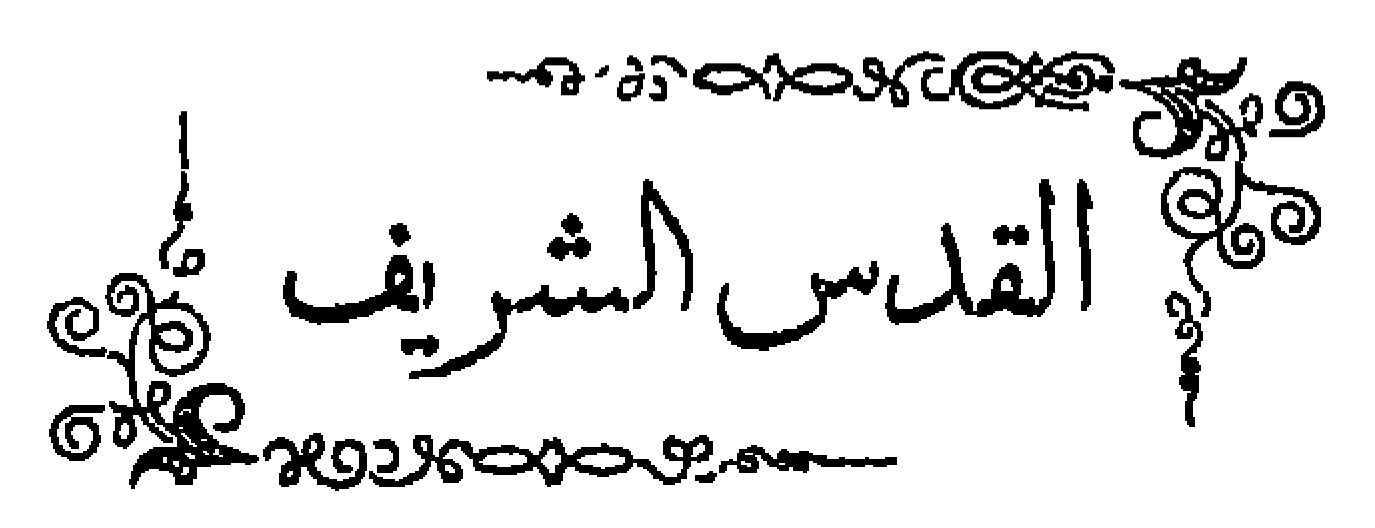
الرملة

هذه هي المحطة الثانية وعلى يمينك منها ذهابًا ترى مدينة الرملة او أرماتيا القديمة موطن يوسف الذي طلب ونال من بيلاطس جسد السيّد فحنّطهُ ووضعهُ في قبر جديد كان قد اعدّهُ لنفسهِ (لوقا ٢٣ : ٥٠ ومرقس ١٥ : ٤٣) كما يشهد



منظر الرملة

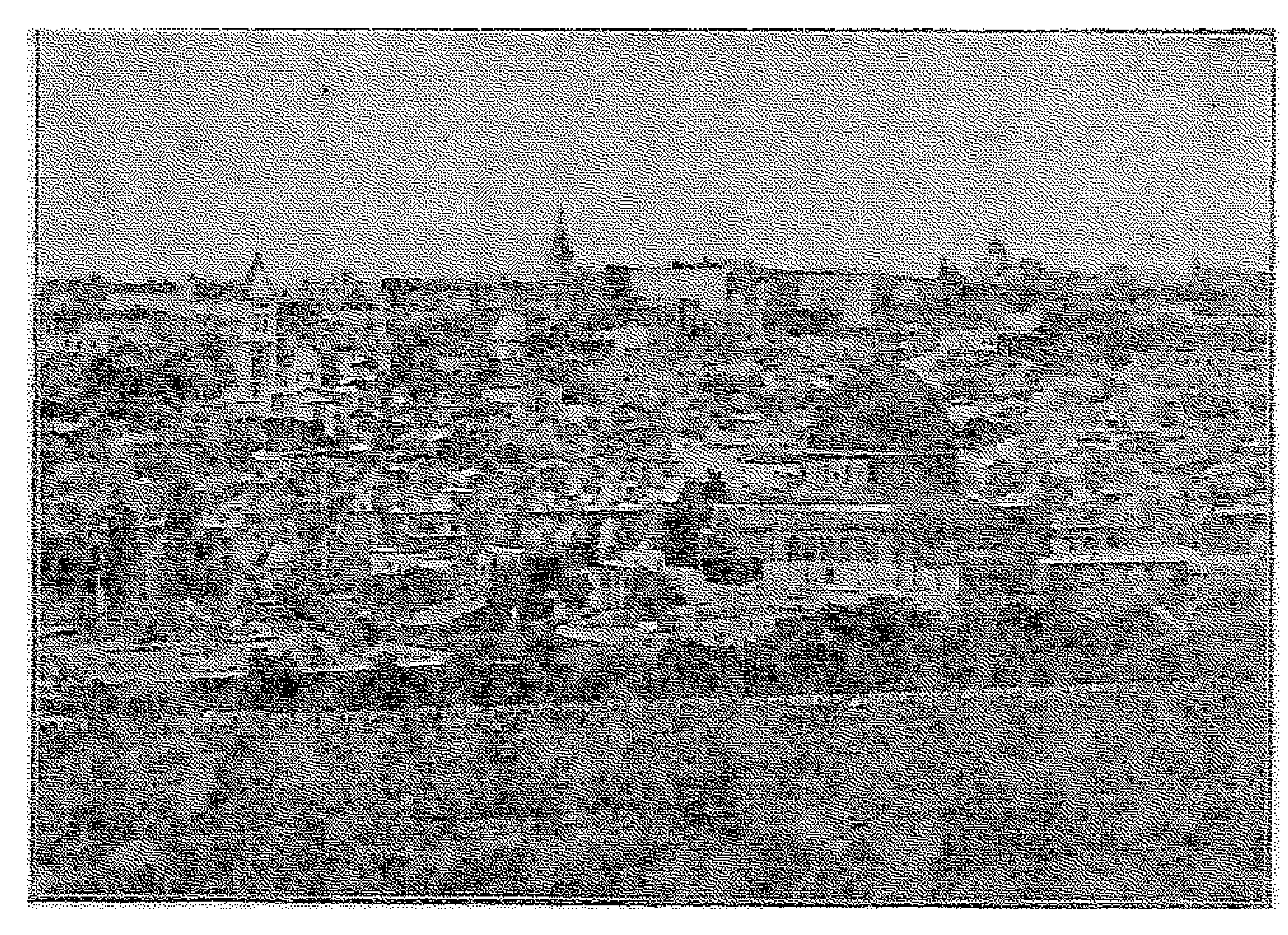
اوزابيوس والقديس ايرونيموس وغيرهما . وبها الجامع الكبير الذي كان قديمًا كنيسة القديس يوحنا المبنيّة في القرن الثاني عشر وقد جُعلت جامعًا منــذ القرن الثالث عشر . وهي على ثلاثة اسواق محكمة البنيان لم تزل في حالة تُعرف حتّى الآن . وكنيسة الاخوة الاصاغر ✠ المبنيّة حديثًا على اسم القديس يوسف الرامي والقديس نيقودمس اللذين انزلا يسوع من على الصليب كما كانت الكنيسة القديمة قبلهـــا منذ القرن الثالث عشر . ثم يأتي بعد ذلك تباعًا عن شمال السكّة الحديديّة او عن يمين المسافر راكبًا في طريق الحارس وعلى ابعاد مختلفة بيت اتب حيث مغارة يزعمون ان شمشوم الجبّار قد اختفى فيهـــا ومنها اخذهُ اليهود مربوطًا وسلّموهُ للفلسطينيّين الخ (١٥ قضاة: ٣) وبيت سحور . وعين حنيّة حيث عمّد فيلبس الرســـول الخصيّ (اعمال ٨: ٣٦) ثم ابوغوش او قرية العنب (قرية يعاريم) بقرب بيت شمس حيث اقام تابوت العهد مدة طويلة في بيت ابيناداب (ملوك اول ٧ : ١) واللترون او قريـــة القطرون حيث كنيسة على اسم ديزمس اللص اليمينيّ اذ يقال بان كان مولدهُ هنالك الى غير ذلك من الآثار نغفل ذكرها اختصارًا



القدس الشريف

— لمحة تاريخية —

ان هذه المدينة هي عريقة في القدم وزعم يوسيفوس فلافيوس وغيرهُ من علماء اليهود بأنها نفس مدينة سالم القديمة وطن الملك ملكيصادق كاهن العليّ وملك سـالم الذي كان رمزًا عن المسيح قبل التجسد باحد وعشرين قرنًا . وهو الذي هرع لاستقبال ابرهيم الخليل وباركهُ وقدّم عنهُ للرب خبزًا وخمرًا . وكانت هذه المدينة كسائر مدن الكنعانيين خاضعة لسلطان الفراعنة ملوك مصر ثم تغلَّب عليها اليابوسيّون فدُعيت باسمهم يابوس وسُمّيت قلعتها صهيون . ولمَّا جاء الفتح الاسرائيليّ بقيادة يشوع بن نون تعاهد ملك يابوس مع اربعة ملوك من مجاوريهِ وهم ملك حبرون وملك يرموت وملك لاكيش وملك عجلون (يشوع بن نون ١٠) وتجمعوا معًا للدفاع ضد بني اسرائيل فكسرهم يشوع في تلك الموقعة الشهيرة اذ اوقف الشمس وأطال النهار حتى استتب لهُ تمام الغلبة . غير انهُ لم يتمكن من افتتاح المدينة لحصانتها وبقيت مُستقلَّة زمنًا طويلًا . ولمَّا رام اليهود يومًا مهاجمتها حبطَت مساعيهم لما تحشد لليابوسيّين من الامم المتاخمين فاضطرّ الاسرائيليّون الى الرجوع عنها بعد ان القوا النار داخل اسوارها فيما يسمّيهِ يوسيفوس المدينة السُفلى . وفي السنة السابعة لتولّي داود النبي اذ استتب لهُ



مدينة اورشليم المقدَّسة

السلطان على كل الاسباط خرج من حبرون بجيش عرمرم فافتتح المدينة واستولى على قلعتها ثم حصّنها وجعلها عاصمة المملكة ومركز الدين معاً فسُمّيت القلعة من ذاك الحين مدينة داود. ثم بنى فيها قصورًا وجمّلها بما اتى بهِ من الارز اللبنانيّ بواسطة العملة الفينيقيين واحضر تابوت العهد فوضعهُ على قمة صهيون فدُعيت تلك القمة الجبل المقدس. وعلى عهد ابنهِ وخليفتهِ سليمان نالت اورشليم كمال عظمتها ورونقها. فانهُ قد بنى فيها ذلك الهيكل البديع الفريد وجعلهُ مقام العبادة العام لكل بني اسرائيل. ثم اشاد قصورًا وزرع جنائن من حولها الى غير ذلك من الزينات الفاخرة. ولكنها لم تلبث طويلًا على هذه النضرة والجمال فقد سقطت عن عزّها مرات بانقسام اليهود ثم هجمات الاعداء الى ان هدم الاشوريّون الهيكل وجلوا الشعب الى بابــل سنة ٥٨٨ ق. م. ولمّا تغلّب كورش ملك الفرس على الاشوريّين سمح لليهود بالعود الى القدس وتجديد الهيكل وتحصين المدينة تباعاً. فاسرعوا الى هذه الاعمال بهمة لا مثيل لها حتّى أمكنهم تدشين الهيكل الجديد سنة ٥١٥ ق. م. ثم اخذوا ببناء اسوار المدينة فاتمّوهُ في ٥٢ يوماً. ثم عادت النكبات على المدينــة والهيكل في القرن الثاني ق. م. ولولا هرع المكابيون للدفاع عن الامة بشجاعة لا تباري السنين المتوالية لتمّ الدمار. ثم وقع الانقسام ايضاً بين الشعب اليهوديّ سنة ٧٠ قبل المسيح فآل الامر الى استيلاء الرومانيين على المدينة ثمانياً الّا انهم تركوا لليهود حريّة الدين غير ان نشورهم قد اتى عليهم (سنة ٦٥ للمسيح) بالدمار التام وخراب الهيكل حتّى

الاساس واماَّ بعد انتشار النصرانية فقد دخلت المدينة في عصر جديد . ولمَّا كان تاريخها اذ ذاك مرتبطاً بعقادسها وكنائسها فسوف نذكر منهُ ما ينوط بذلك في محلّهِ حسب الاقتضاء ان شاء الله

كنيسة القيامة

— لمحة تاريخيَّة —

انهُ مماَّ لا يعتريهِ شبهة ولا ريب باجماع المؤرخين والمحققين ان الجلجلة حيث صُلب فادينا الرحوم كانت واقعة خارجاً عن المدينة بقرب باب الجنة او الجنينة . وقد اكتشف على آثار الصور الثاني الى شرقيّ كنيسة القيامة وقبليّها وفوق ذلك فالقبر اليهوديّ الموجود الى الآن بنواويسهِ الحجريَّـة يبرهن باوضح جلاء بان هذا المكان قد كان في ظاهر المدينـة وخارجاً عن اسوارها قبل بناء السور الثالث اي سنة ٤٣ للتجسد . هذا وان التواتر او التناقل المتواصل من جيل الى جيل يؤكد ذلك كل التأكيد بشهادة المؤرخين الكافية بنفسها فضلًا عن شهادة الكثيرين من اليهود ممَّن نظروا آلام الرب عياناً وقد كانوا او اضحوا بعد زمن وجيز من تلاميذهِ . وفي اعتناقهم الايمان بالمسيح لم تنفصل عنهم تلك المزية العامة عند الشرقيين وخصوصاً من ذريَّة ابرهيم اعني بها التمسك بتقليدات آبائهم والمحافظة باجلال وورع على كل آية او حادث عن فادينا الالهيّ . ومن جهة اخرى نرى الانجيليّين قد تحرّوا بكل تدقيق في تحديد الاماكن والمواقع المهمة بايضـاح وبيان ما عليهما من مزيد حتَّى كانهم يحرضون المؤمنين على بذل

كل مجهود في معرفتها واجلالها فيخبرونا ان الجبل الذي عليهِ صُلب المسيح يُدعى الجلجلة خارجاً عن المدينة وقريباً من السور بجانب بستان فيهِ قبر جديد قد احتفرهُ في ملكهِ لنفسهِ يوسف من رامة او الرملة (١)

هذا وان المسيحيين منذ سمعوا باقتراب الجيش الروماني بقيادة طيطس علموا الحال بانهُ قد حان اكتمال نبوة السيد المسيح ودثار المدينة والهيكل معاً فأسرعوا للهرب الى ما وراء الاردن. وحالما همد غبار الحرب عادوا الى جبل صهيون حول العلية اذ كانت الجهة الواحدة التي نجت من الدمار العام. وكان احترام الاماكن المقدسة بين المسيحيين عاماً متواصلاً خصوصاً القبر والجلجلة حتَّى ان ادريانس الامبراطور المضطهد رام ان يقصيهم عنها كما يشهد اوزابيوس المؤرخ والقديس ايرونيموس. فعمد الى ردم المحلين بعد ان بنى حولها حصناً منيعاً ومهَّد فوقهما بالتراب مساحة مكّنتهُ ان يزرع حرشاً ليوبيتروفينوس من آلهتهِ. فكان هذا التدنيس الكفريّ برهاناً جديداً يؤكد حقيقة المكان المقدس ويصونهُ من الشبهة او النسيان حتَّى صار اكتشافهُ في عهد القديسة هيلانة. وعندنا دليل آخر فوق كلما ذكرنا وهو عدم انقطاع المؤمنين الآتين للتبرك والصلاة في هذه الاماكن من كل الجهات منذ صعود السيد المسيح الى السماء كما يشهد اوريجانس وازابيوس وايرونيمس وغيرهم

---

(١) ويظهر جلياً من عبارة الكتاب الشريف في قولهِ يوسف الذي من الرامة (يوحنا ١٩: ٣٨) بلا كنية ولا لقب بان الرجل غني عن التعريف لشهرتهِ في عصرهِ (مر)

— ما اضحت عليهِ في عهد القديسة هيلانة —

لم يكن على القديسة هيلانة لاكتشاف قبر الخلاص والجلجلة سوى ازالة الردم عنهما فظهرا كما كانا بلا تغيير ولا تشويه . وامر الامبراطور قسطنطين ابنها ان يشيّد عليهما مقاماً وكنيسة عظمى تليق بهذا المكان الجليل . فاقتضى لذلك تمهيد الارض ونسف الجبل عن آخرهِ حتّى يضحى على موازاة القبر . ولم يبقَ قائمًا على ارتفاعهِ الاول الّا محل الصلب الذي تُرك على حدتهِ . وأُقيم حول القبر على دائرة واسعة ٣٠ عمودًا من الرخام تعلوها الحنايا الشامخة ويحيط بها جدار مستدير ينعطف في جهاتهِ الاربع الى محرابَين عظيمَين يمنةً ويسرةً ومحراب ثالث بينهما الى الوراء يقابلهُ المدخل الكبير ويكلل المجموع قبة شامخة عُظمى . وهذا البناء دُعي القيامة

ثم اشيدت بالقرب من القبر المزيّن على هـذا النمط كنيسة عُظمى على موازاتهِ تنقسم بالاعمدة الرخاميّة الى خمسة اسواق فسيحة وتعلوها الحنايا اثنى عشر صفاً طولاً وسبعة عرضاً لجهـة المدخل . غـير ان الثلاث الوسطى تجتمع بعد الصف الثاني من الاعمدة فتضحى الى آخر الكنيسة سوقًا واحدًا يوازي الثلاث عرضاً ويرتفع الى علو اكثر ارتفاعاً لحمل السقف الاعلى فوق الهيكل الكبير المحاط بالخورس الفسيح المزيّن على نصف دائرة باثني عشر عمودًا مكللة بالتيجان الفضية . وامام واجهة الكنيسة صف آخر من الاعمدة الرخامية يحمل اثنتي عشرة حنيّة على عرض الكنيسة امام ابوابهـا الثلاثة . ودُعيَت هـذه الكنيسة العظمى

بالمَرتيريُون اي كنيسة الآلام وكان بينها وبين الانستازيس اي (البناء المستدير على القبر) ابواب معقودة تجمع بينهما وبين الجلجلة التي تُركت على حالها مكشوفة يحيطها درابزون فضيّ وعليها هيكل او مصلّى الى جهة الصلب الخلاصيّ يُصعد اليهِ بسلالم. واما مغارة وجود الصليب فكان يُنحدر الى كنيستها السُفلى من منتصف الانستازيس مع انحراف الى يمين الداخل. فهذا ما كانت عليهِ هذه المقامات الثلاثة من الأبّهة والاجلال والزينة والجمال حتّى سنة ٦١٤ اذ خرّبها الجراكسة في عهد كسرى الثاني ملك الفرس في حملتهِ على بلاد فلسطين

— ما آلت اليهِ تباعاً —

فالبناء القسطنطينيّ اذن لم يبقَ قائمًا بأبّهتهِ الّا مائتين وثمان وسبعين سنةً اذ جاء الفرس بعددهم وعِددهم فافتتحوا البلاد وخرّبوا المعابد الّا ما ندر والقوا القبض على ذكريّا بطريرك القدس إذ ذاك وارسلوهُ اسيرًا الى بلاد فارس. فأسرع الاب مودستس رئيس دير القديس تيودسيوس بعد انقضاء الحملة الى استئناف العمار. واذ كان يستحيل عليهِ ارجاع البناء الى رونقهِ القديم لما يستدعي من النفقات الطائلة فاقتصر على تشييد الانستازيس ليجعلهُ كنيسة بعد ان كان مقاماً. فوضع الهيكل حيث كان المدخل اولاً وفتح عن اليمين والشمال بابين للدخول وسقّفهُ باخشاب على هيئة مخروط عوضاً عن القبة وترك الوسط مكشوفاً. وبنى ايضاً معبد الجلجلة واما المرتيريون فلم يجدّد منهُ

الّا كنيسة وجود الصليب ومدخلها الاوسط . وما بقي من المدى الفسيح بين الانستازيس ومغارة الصليب والجلجلة استعمال الى اروقة محاطة بابواب ومعابد صغيرة حيث كانت ذخائر الآلام وكنيسة العذراء حيث ظهر لها السيّد بعد قيامته . ولمّا جاء الحاكم بامر الله ملك مصر سنة ١٠١٠ أمر بهدم المعابد ومن الجملة كنيسة القبر . غير انهُ سمح بعد قليل باستئناف بنائها فاسرع الاوربيّون من كل جهة لمساعدة هذا العمل الخطير فجدّدوا بناء كنيسة القبر والجلجلة ومغارة الصليب ومعبد العذراء وكان مسيس الحاجة للاسراع في العمل قد منعهم عن تحرّي الزخرفة في البنيان. ولذا رأى الصليبيون عند قدومهم وجوب تتميم العمار وتجميله . فعمدوا الى العمل بهمّة ونشاط سنة ١١٦٠ وعوّلوا بالّا يغيّروا في شيء ما كان من البنايات القديمة المتفرقة بل ان يقتصروا على زخرفتها وتجميلها وتوحيدها بايصال اجزائها معاً . ولذا دعموا البناء المستدير حول القبر المقدس فاضافوا اليهِ خورساً فسيحاً الى الشرق على دعائم وعمدان انيقة واقاموا بينهما قنطرة شامخة متينة . فكان مركز الخورس جامعاً لما حولهُ من المعابد فيرى المُعاين من حناياهُ واعمدتهِ القبر المقدس امامهُ ومغارة الصليب وراءهُ والجلجلة وسائر المعابد يمينًا ويسارًا بما يجمعها معاً من الاروقة والمماشي والمصاعد . وكان المدخل عالياً فسيحاً الى الجهة القبليّة على بابَين شامخَين يمتدّ منهما النظر الى كل انحاء المعابد من الجهتَين بقطع النظر عن الابواب الثانويّة العديدة . وقد انتهت كل هذه البنايات والتحسينات البديعة في تسع سنين فكانت سنة ١١٦٩

تجاجزه تامة. على ان طوارق الاحوال وتقلباتها قد استدعت بعض الترميات في هـذا العمل على توالي السنين خصوصاً في حوادث سنة ١٢٤٤ وسنة ١٤٠٠ وسنة ١٧١٩ غير ان كل هذه لم تغيّر في شيء يذكر مجموع عمل الصليبيين ولم تعدمهُ شيئًا يُذكر من انتظامهِ وجمالـهِ بل بقي قائمًا على ما تركوهُ عليهِ تقريباً حتّى سنة ١٨٠٨ اذ دبّ فيهِ الحريق ونال الروم رخصة القيام بترميمهِ. فاغتنموا هذه الفرصة لازالة آثار وقبور لاتينية كثيرة وقاموا بالبناء على هواهم مع ان الكلفة كانت على عموم الطوائف. فلم يكتفِ المهندس اليوناني بالاستعاضة عن العمدان اللطيفة الرشقة بالدعائم الثقيلة ممّا يشاهد اليوم بل رأى ان يجعل الخورس كنيسة قائمة على حدتها. فاقام الجدران بدلاً من الحنايا وحائطًا بدلاً من القنطرة العظمى وهكذا اعمى المجموع بعد ان كان بصيرًا. واماّ القبّة الوسطى فوق القبر فلم يمضِ عليها خمسون عاماً حتّى اضحت تتداعى للسقوط فاستدعى الامر لتجديدها فخابرت دولتا فرنسا وروسيا الباب العالي فتجدّدت سنة ١٨٦٩ ولم يكن هذا العمل الاخير افضل كثيرًا من سالفهِ عام ١٧١٩

واماّ قيام الاخوة الاصاغر على حراسة هذه الاماكن المقدسة وقبر الخلاص خصوصاً فكان على الارجح سنة ١٢٣٠ اي بعد تأسيس الرهبانية بقليل منذ حياة القديس فرنسيس الساروفي على عهد الحبر الاعظم غرغوريوس التاسع والملك صلاح الدين. فان الملك الاشرف قد اصدر فرماناً عالياً بتاريخ سنة ١٢٥٠ بسهِ يؤيد حقوقهم المقرّرة منذ عهد سلفائهِ السلاطين العظماء ويذكرهم اثنى عشر عدّاً. فيظهر

من ذلك ان اولم كان صلاح الدين المعاصر للقديس فرنسيس بل صديقهُ لمّا أظهر من التعطفات نحوهُ شخصياً ونحو ابناء رهبانيتهِ عموماً . ومن ذاك العهد لم يغادروا مركزهم هذا الحرج رغماً عمّا حال دونهُ من المصاعب والعقبات

— ١ —

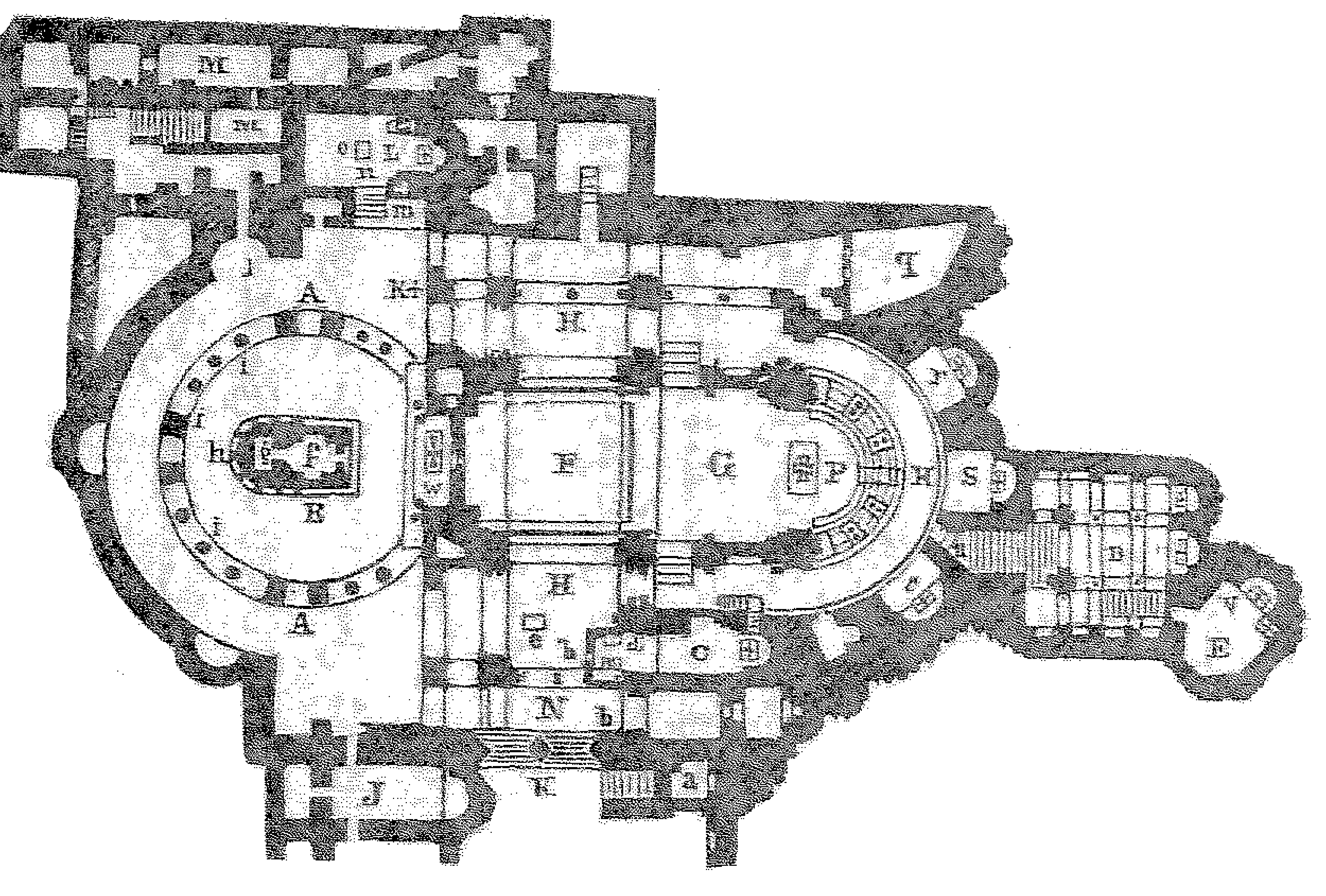
زيارة مقادس قبر الخلاص

ان الآتي يمرّ بسوق حارة النصارى الممتد قبلةً وشمالاً فيرى الى الغرب باباً قديماً مسدوداً لا شك هو من القرن الثاني عشر وهو باب القديسة مريم ومنهُ كان المدخل الى اروقة البناء المستدير حول القبر المقدس لجانب كنيسة ظهور السيّد لمريم البكر الطاهرة . وبعد خمسين خطوة الى القبلة يرى عن يسارهِ زقاقاً او سوقاً ضيّقاً متلوياً ينحدر بـهِ ببضع السلالم المتباعدة حتّى يبلغ الى الحضير او الساحة أمام باب الكنيسة العظمى حيث ثلاث درجات متتابعة عليها آثار عواميد المدخل القديم ومنها عمود قائم حتّى الآن عن اليمين يكتنفهُ الجدار من جهاتهِ الثلاث من بقايا القرن التاسع او العاشر حيث كنيسة مار يعقوب الاصغر وكنيسة مار يوحنا وكنيسة المجدليّة وكنيسة

تحديد اماكن ومعابد القيامة بحسب الاحرف الاعجمية التي في الرسم

K مدخل القيامة
J برج للاجراس
a معبد الافرنج
N ديوان البوّابين
b سلالم الجلجلة
C الجلجلة
c.d. قبر كودُفروا وبدوان
e حجر المغتسل السيّدي
A الفسحة المستديرة حول القبر المقدّس
i اعمدة الفسحة المستديرة
B معبد القبر المجيد
g قبر الخلاص
f معبد الملاك
h معبد الاقباط
H ممشى وراء خورس الروم
G خورس الروم

F نصف الدنيا بزعم الروم
P هيكل الروم
t معبد السخرية
u درج كنيسة القديسة هيلانة
D كنيسة القديسة هيلانة
E مغارة وجود الصليب
V هيكل وجود الصليب
S معبد اقتسام الجند ثياب يسوع
r معبد القديس لنجينوس
Q حبس المسيح
M دير الفرنسيسكان
L معبد ظهور السيّد لوالدته
m سكرستيّة الفرنسيسكان
n هيكل عمود الجلد السيّدي
i ارغن الفرنسيسكان
K هيكل مريم المجدليّة



رسم كنيسة القيامة الشريفة

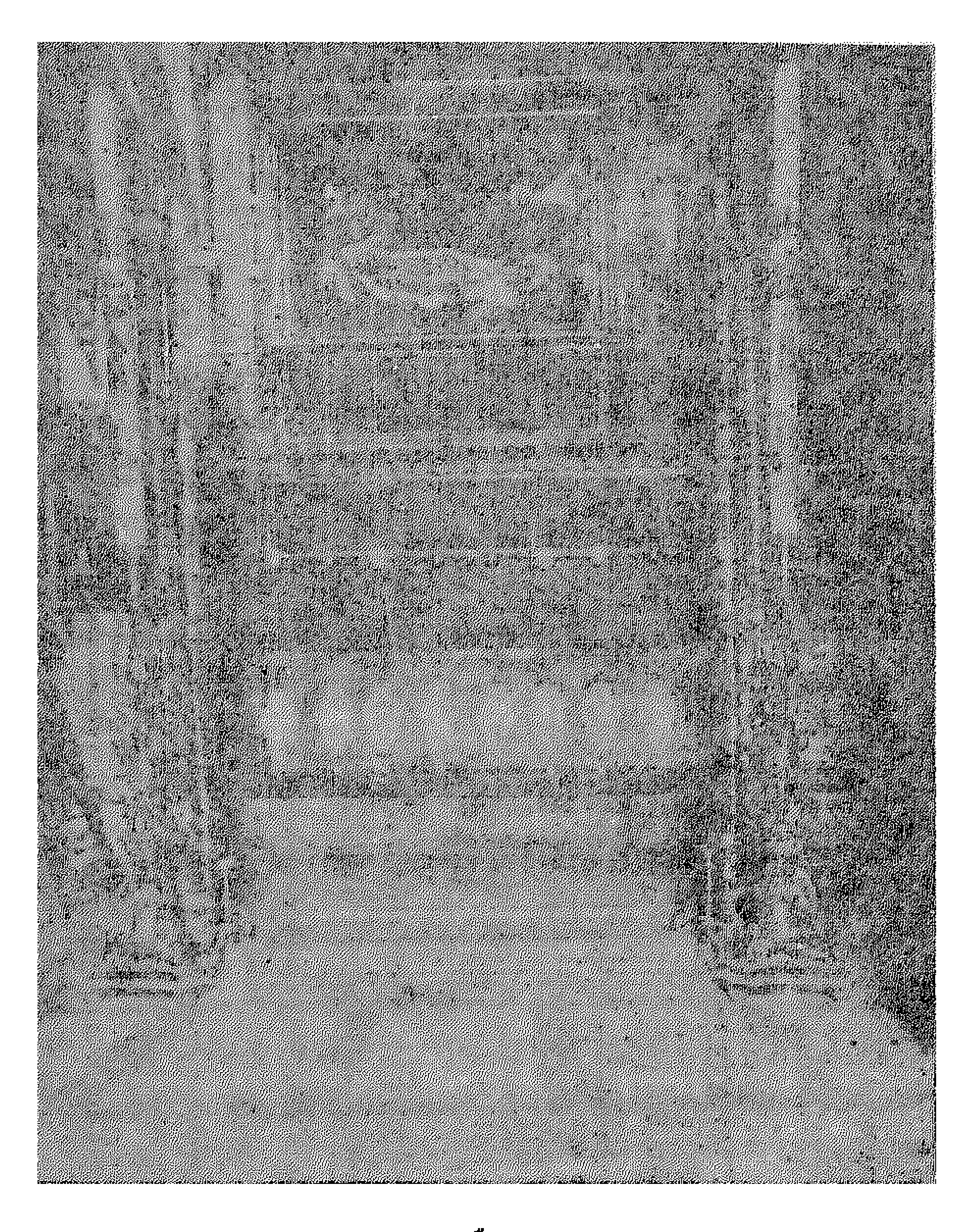
الأربعين شهيدًا المسمّاة ايضاً كنيسة الثالوث الأقدس حيث جرن المعمودية وقبور بعض بطاركة القدس . والى الشرق ثلاثة ابواب يدخل من الواحد الى دير الروم للقديس ابرهيم . ومن الثاني الى مصلّى الارمن للقديس يوحنا . ومن الثالث الى مصلّى القبط للقديس مخائيل ومن هناك يمكن الصعود الى دير الاقباط حيث كان دير القانونيّين اللاتين . والى القبلة واجهة الكنيسة وباباها وكلها من عمل الصليبيّين كما يظهر بادنى تأمل . فاحد البابين قد سُدَّ بالحجارة منذ سنة ١٨٠٨ في جملة ما سُدّ او شوّه ولم يبقَ الّا الثاني وهو المدخل الوحيد للكنيسة حالاً . وفي الزاوية بين الشرق والقبلة معبد صغير يُدعى كنيسة الافرنج + يُصعد اليه باثنتي عشرة سلمة حجريّة حيث كان مدخل الجلجلة فأكره اللاتين على سدّه سنة ١١٨٧ وجعل شباكًا معارضًا بالحديد وسُدّ بجدارين جهتي الغرب والشمال الى احدهما الشباك والى الآخر الباب فاضحى هكذا مصلّى مستقلًّا على اسم ام الاحزان والقديس يوحنا الحبيب . وفيه تقام الذبيحة الالهيَّة كل يوم . وتحت هذا المعبد مصلّى آخر يوازيه حجمًا عَلَى اسم القديسة مريم المصريّة + تذكارًا لارتدادها . فانها بعد ان اتت

من الاسكندريّة سنة ٣٧٣ وارادت يوم عيد وجود الصليب ان تدخل الكنيسة أحسّت بيد غير منظورة تمنعها تكرارًا كلما حاولت الدخول فامتلأت خجلًا وأسرعت فجثت امام ايقونة مريم البتول باكيةً نادمة . ومن الغد سافرت الى القفر بقرب الاردن حيث قضت ٤٨ سنة في النسك والتقشّف والصلاة . وجاء عن المؤرخين ان ايقونة مريم البتول هذه التي سجدت امامها المصريّة التائبة كانت لم تزل معروفة مكرّمة بين المؤمنين حتى سنة ١١١٢

— ٢ —

☩ حجر تحنيط السيّد او المغتسل

يرى الداخل عن شماله ديوان البوابين وعن يمينه سلالم الجلجلة وامامهُ حجرًا احمر علوهُ نصف ذراع عن الحضيض قد وُضع للدّلالة على المحلّ حيثما حنّط يوسف ونيقوديمُس جسد الرب اذ انزلاهُ عن الصليب . وكان في هذا المكان مصلّى خصوصيّ لتذكار تحنيط الربّ يُدعى القديسة مريم قد ازالهُ الافرنج عند بنيان الخورس الفسيح كما قلنا اعلاهُ وزيّنوا المحل



حجر تحنيط السيّد او المغتسل

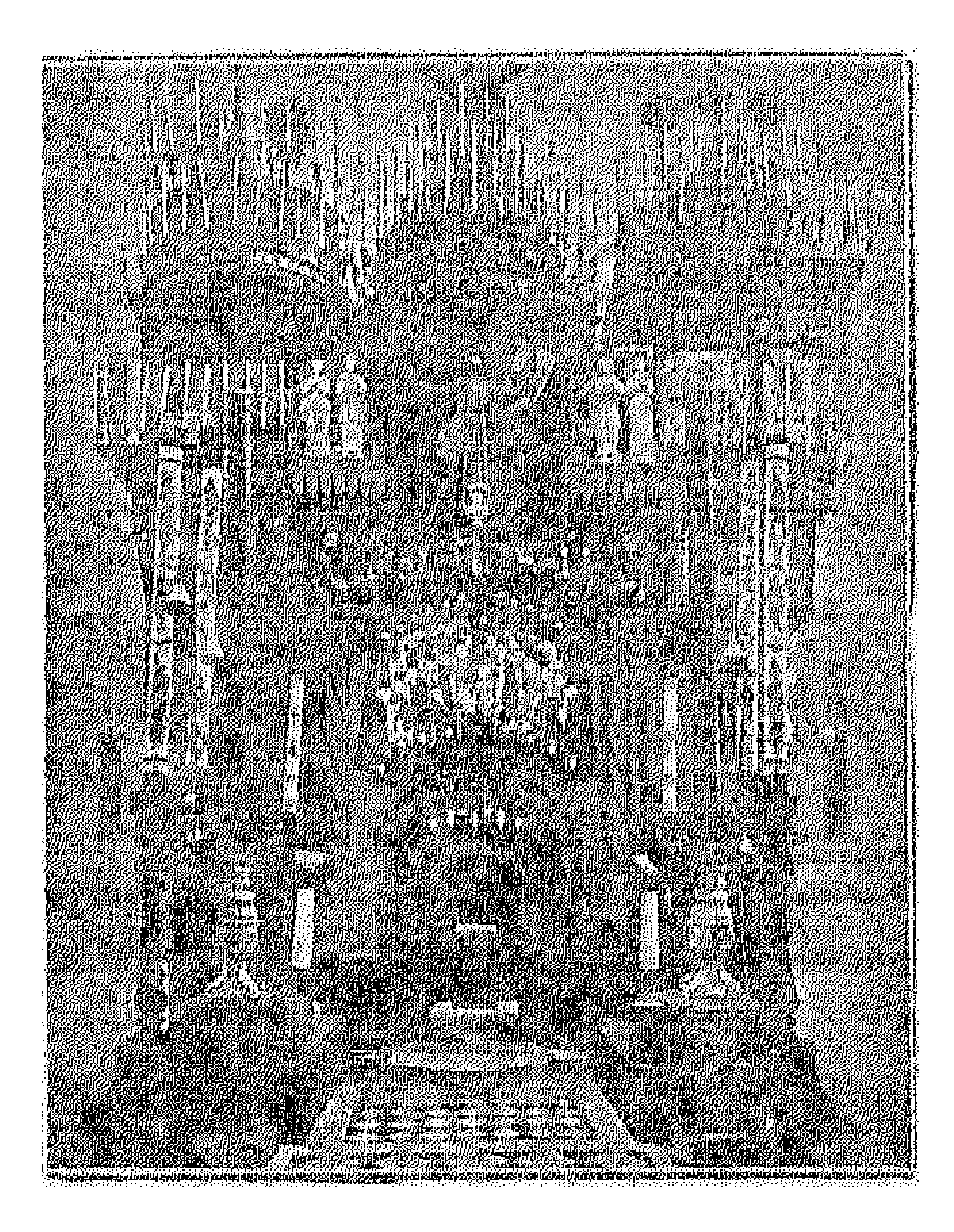
بالفسيفساء ليبقى ذكرًا للمؤمنين . ولما تلفت هذه النقوش مع طول الزمان وضع الاخوة الاصاغر سنة ١٥٠٠ بدلًا من الفسيفساء حجرًا رخاميًّا اسود فاقتلعهُ الروم سنة ١٨٠٨ ووضعوا مكانهُ هذا الحاليّ . وهناك يركع الداخلُ مقبّلًا الحجر ومصليًّا ليربح الغفران الكامل . ثمَّ يرى عن شمالهِ على نحو خمسة عشر ذراعًا + حجرًا مستديرًا يعلوهُ شبه قفص من حديد يدلّ على محلّ المريمات او النسوة حيث كنَّ واقفات آن التحنيط وقيل آن الصلب او الدفن والله اعلم . وبعد يلتفت نحو البناء المستدير حول القبر بركائزهِ الضخمة من بنايتهِ سنة ١٨٠٨ كما ذكرنا يعلوها رواقين متفاوتي العلو وفوقها القبة الحديديَّة عمل فرنسا وروسيا سنة ١٨٦٩ بعنيَّة الدولة العليَّة كما قلنا اعلاهُ

— ٣ —

☩ قبر الخلاص

في وسط البناء المستدير وركائزهِ الشاهقة وتحت القبة العُظمى ترى « القبر المجيد » وهو المرحلة الرابعة عشرة من درب الصليب قد تشيَّد سنة ١٨١٠ على شكل قائم الزوايا من الامام

ومثمنها من الوراء لجهة الغرب وقياسهُ ثمانية امتار وربع طولاً في خمسة امتار عرضاً وعلوًا مدعوماً بست عشرة عضادة اوركيزة يعلوها درابزين بقوائم حجريّة وسطح مفرطح يقوم في وسطهِ قبة تشخص في زعم راسمها تاجاً ملكيًّا . وعلى واجهتهِ اربعة اعمدة رخاميّة مبرومة بينها ثلاث ايقونات بقناديلها فالعُليا للاتين والثانية للروم والثالثة للارمن . وكذا قُل عن الستة الشمعدانات الضخمة الموضوعة امام القبر الى جهتَي المدخل وهو باب صغير يرى الداخل فيهِ حُجرةً على نحو ثلاثة امتار ونصف طولاً في مترين وتسعين عرضاً وفي حشو جدارها سلالم يُرقى بهما الى السطح الصغير فوق القبر . ونعلم بشهادة القديس كيرلس الاسكندريّ ان مدخل القبر المجيد كان في هذا المكان قبل نسفهِ في عهد قسطنطين لبناء الانستازيس . ويُدعى هذا المحلّ معبد الملاك حيث ظهر للنسوة بعد ان دحرج الحجر العظيم عن باب القبر فأعلمهنَّ بقيامة السيّد المجيدة . وفي الوسط جزء من ذلك الحجر مرصوف على قائمة رخاميّة . ومن هذا المحلّ تدخل في باب اصغر لا يبلغ علوهُ المتر ونصف الى قبر الخلاص نفسهِ حيث وُضع جسد السيّد من مساء الجمعة الى حين القيامة



واجهة قبر الخلاص

المجيدة اي الى فجر الاحد . وهو مخدع قياسهُ مِتران وسبعة طولاً في متر وثلاثة وتسعين عرضاً قد زال عنهُ الجزء الأَعلى بطوارق الحدثان فلم يبقَ الَّا بقيَّة الجهات من الصخر الشريف ولكن لم يزل على حالهِ الاوَّل الى علو متر ونصف مرصوفاً بالرخام الابيض . والى اليمين المضجع السيّدي المقدَّس نفسهُ وهو ايضاً مغطى بصفائح الرخام الابيض . ولا يمنع ذلك الالوف المؤلفة عن السجود هناك بعواطف العبادة والتقوى بل باذراف الدموع السخينة حبّاً بفادينا الرحوم في قبرهِ هذا المجيد المحيي غاية سياحتهم الشاسعة وقطب زياراتهم الخاشعة

وكان هذا القبر الجليل في ايام السيّد المسيح منقوراً في الصخر ومؤلفاً من مدخل ثم مدفن قد احتفرهُ يوسف الراميّ لنفسهِ . ولمَّا جاءت القديسة هيلانة واكتشفتهُ سنة ٣٣٦ وعمدت الى بناء الكنيسة العظمى بجانبهِ نسفت الصخر من حولهِ وأزالت المدخل نفسهُ حتى بلغت الى موازاة حضيض القبر ليكون على ارتفاع حضيض الكنيسة . فلم يبقَ سوى جدران القبر مع سقفهِ قائمةً على هيئة نصف دائرة يعلوها هرم والكل من نفس ذلك الصخر قطعة واحدة يعلوها صليب ذهبيّ . ففي

القرن التاسع أُضيف الى القبر معبد الملاك مكشوفاً ورُصفت القبة والجدران بالرخام الثمين ثم تغيرت زينتها تباعاً . وفي القرن الحادي عشر احال الصليبيّون الهرم الى قبّة منوّرة يعلوها تمثال فضيّ يشخّص السيّد المسيح بقطع فوق الطبيعيّ وصفّحوا القبّة بالاسفاط الفضيّة المطليّة بالذهب . وأُقيمت الجدران حول معبد الملاك بثلاثة ابواب من الجهات الثلاث . وسنة ١٥٤١ جدَّد الأَب بونيفاسيوس راغوس من الاخوة الاصاغر حارس الارض المقدَّسة عمار القبر المقدَّس وزينتهُ . وسدّ بابَي معبد الملاك فلم يبقَ الّا الباب الأوسط . وسنة ١٥٥٥ وضع الاقباط هيكلاً وراء القبر المجيد . وسنة ١٨٠٨ بعد الحريق قد خرق الروم القبّة تماماً وازالوا انحناء الواجهة فجعلوها على زاويتَين قائمتَين بعد ان كانت كمحراب او نصف دائرة مفرطحة . وفتحوا الطاقتَين من الجانبَين تسهيلاً لتوزيع نورهم يوم السبت العظيم . واما الصفيحة الرخاميّة على القبر المقدَّس فالظاهر انها كانت من عهد قديم اذ خلّد ذكرها احد الكتبة من سنة ١١١٢ . غير انهُ يقول انها كانت مثقوبة بثلاثة ثقوب تمكّن المؤمنين من النظر الى الصخر الشريف وتقبيلهِ . ولمّا جدَّد الأَب بونيفاسيوس زينة المقام

كما ذكرنا سنة ١٥٤١ استعوض عن تلك الصفيحة بغيرها لا ثقب فيها وحفر حزًّا مطاولاً في كل عرضها ليخالها الناظر مكسورة اوربما لكي تنكسر حقيقة اذا حاول احد نزعها عن محلها وهذه هي الرخامة البيضاء التي يقبلها المؤمنون حتى اليوم

— ٤ —

✝ معبد القديسة مريم المجدليّة

بعد خروجك من باب معبد الملاك امام القبر تتّجهُ شمالاً فترى هيكلاً يُدعى معبد القديسة مريم المجدليّة . وهو المحلّ حيث كانت هذه القديسة خارجة من القبر متجهة نحو جبل صهيون اذ عاينت المخلّص فظنّتهُ البستانيّ الى ان سمّاها باسمها قائلاً لها : يا مريم . فعرفتهُ وسجدت لتقبّل رجلَيهِ فقال لها : لا تلمسيني (يوحنا ٢٠ : ١ — ١٨) وقد عُرِف هذا المكان بذلك منذ عهد قديم وذكرهُ الكتبة والمؤرخون

— ٥ —

☩ كنيسة ظهور السيّد لوالدتِهِ بعد القيامة

واذا التفتَّ شمالاً ترى اربع درجات متتابعة على نصف

دائرة يُرقى بهـا الى معبد بثلاثة هياكل . في اوسطها يُحفظ القربان المقدَّس . وهو المكان الذي ظهر فيهِ السيّد لهُ المجد بعد قيامتهِ لوالدتهِ البتول القديسة . على ان الانجيل الشريف لا يذكر لنا الَّا عشر مرّات فيها ظهر يسوع بعد قيامتهِ المجيدة . لكن اجماع الآباء الأوَّلين يؤكد لنا انهُ تعالى ظهر اكثر مما ذكر الكتاب وانهُ لا شك قد زار والدتهُ البتول ليعزيها عمّا كابدت من مُرّ العذاب في آلامهِ المبرّحة . هذا وانَّ المعبد نفسهُ بقدميّتهِ وهيئة بنائهِ يشهد صريحًا بمعاصرتهِ المعابد القديمة من نوعهِ ويؤيّد لنا التواتر بانهُ قد عُرف بهذا الاسم من عهد مديد

— ٦ —

☩ عمود الجلد السيّديّ

اذا ما قابلتَ الهيكل الكبير في معبد ظهور السيّد لوالدتهِ العذرآء ترى الى يمينك ويسارك لجهتَي المذبح الاوسط مذبحَين اصغر منهُ . فعلى ذي الميمنة ورآء شعريّة حديديّة تحفظ قطعة من عمود الجلد يعرضها الاخوة الأصاغر لاكرام المؤمنين يوم الاربعاء من اسبوع الحاش او الآلام او في حفلة عُظمى سواها باذن



عمود المجلد السيّدي

الرئيس العام حارس الارض المقدَّسة . وهي قطعة من عمود محبب على علو خمسة وسبعين سنتي متراً . وهذا هو عمود الجلد في ايوان بيلاطس اي غير العمود الذي ربط عليه اليهود فادينا في بيت قيافا انتظار صباح الجمعة ليأخذوهُ الى المحاكمة . فهذا قد نقلهُ الكردينال كولونا الى رومية سنة ١٢٢٣ وغير العمود الآخر حيث أجلس اليهود السيّد ليهزؤوا بهِ بعد ان كلّلوهُ بالشوك كما سترى في محلّهِ . وقد غلط بعض الكتبة في التسمية فخلط احدهم بالآخر بخلاف اجماع المحققين

— ٧ —

دير الاخوة الاصاغر وما يليهِ من صغار المعابد

وراء كنيسة ظهور السيّد للعذراء دير الاخوة الاصاغر ثم السكرستيّة وراء الهياكل ثم حنايا البتول وهو ممشى مظلم على سبع قناطر . ودُعي بهذا الاسم لقربهِ من كنيسة السيّدة المارة ذكرًا . وترى في آخرهِ معبدًا صغيرًا مظلماً على قنطرتين يُدعى † حبس المسيح. وقد اتتهُ هذه التسمية ربما لما حواهُ من ذخائر الآلام في القديم . وعلى كل حال لا نرى لـهُ ذكرًا قبل القرن

الرابع عشر فهو اذن حديث العهد بالمقابلة مع سواهُ . وقد اكتشف من بضع سنين على عشرة امتار من الجهة الشمال الشرقيَّة قبريشابهُ قبر يوسف الراميّ . وهذا كلّهُ مما يؤيّد ان هذه المحلّات كانت في ظاهر المدينة على عهد السيّد المسيح . فان الدفن في المدينة كان عند اليهود محذورًا محرّمًا شرعًا كما نوّهنا.
وبعد ذلك تدخل في زابوق منعكف على نصف دائرة وهو يمشي وراء الخورس كان ولم يزل من على جانبيهِ والى الوسط ثلاثة معابد منذ ايام الصليبيّين بحناياها وقناطرها اوّلها من هذا الطرف + معبد القديس لنجينس وهو الجنديّ الذي طعن يسوع بالحربة . وقد جاء عن بعض الكتبة منذ القرن الخامس بانهم رزوا في هذا المحل الحربة والاسفنجة معروضة لاكرام المؤمنين . وثانيها وهو الاوسط + معبد اقتسام الجند ثياب السيّد واقتراعهم على قميصهِ . وقيل ان هناك كان محفوظًا كفن السيّد في القرن السابع كما ذكر احد الكتبة . وثالثها هو معبد السخريّة تراهُ عن يمين مدخل كنيسة القديسة هيلانة وسيأتي الكلام عنهُ في العدد العاشر

— ٨ —

☩ كنيسة القديسة هيلانة

وتتجهُ من هناك الى آخر الحنية عن اليمين فتنحدر في سلم حجريّ عريض على تسع وعشرين درجة متباعــدة تؤدّي الى كنيسة تدعى كنيسة الصليب او كنيسة القديسة هيلانة على خمسة وعشرين مترًا طولاً وثلاثة عشر عرضًا ويقل سقفها ستة اعمدة ضخام بتيجان تفوتها غلاظة على اختلاف هيئاتهــا مما يدلّ على ترميم سريع قد استدعتهُ ظروف محْوِجة . والى الوسط قبة منها يستضيء المكان . وهذه المغارة كانت لا شك في عهد المرتيريون الكنيسة السُفلى وفيها كانت تُحفظ ذخائر الآلام المقدّسة ومنها كان الممرّ الى محل وجود الصليب كما هو الآن ما خلا بعض تشويه وتحوير قــد احدثتهُ القرون بدواعي الاحوال . فالى هناك اتى هيرقليوس بعُود الخلاص سنة ٦٢٩ بعد انتصاره على الفرس اذ دخل اورشليم حافيًا في ذلك الموكب العظيم والحفلة المشهورة . وهناك بقي العُود الشريف محفوظًا مكرّمًا مدة الخمس السنين المتوالية ومن هناك اخذهُ الامبراطور بعد ذاك العهد الى القسطنطينيّة

— ٩ —

✠ مغارة وجود الصليب المقدّس

وعن اليمين تنحدر من تلك الكنيسة بثلاث عشرة درجة كلّها منقورة في الصخر وقد برتها اقدام المارّين ومرور الاعقاب على توالي القرون والاحقاب. فتبلغ الى المحل حيث وُجد عود الخلاص الذي عليه صُلب فادينا يسوع المسيح. وهي مغارة منقورة في الصخر على غير هندام تبلغ السبعة أمتار ونصف طولاً وعرضةً على علو خمسة أمتار تقريباً. وكان لها في القديم نافذة تنخفض سبعة أمتار عن قمة الجلجلة وتبعد ثلاثين متراً عن محلّ الصلب. وفيها هيكل يعلوهُ شخص نحاسيّ يُمثّل القديسة هيلانة التي اذ أقبلَت لاكتشاف هذه المحلّات الشريفة علمَت بواسطة اوزابيوس من قيصريّة والقديس مكاريوس اسقف اورشليم ما كانت عليه عادة اليهود في ازالة المعذّبين واخفاء آلات العذاب بطمرها في الارض لئلّا يتدنس بها مَن يقترب منها في ذلك العيد العظيم فيستحيل عليه أكل الفصح كما ذكر البشير (يوحنا ١٨ : ٢٨) ولمّا صار الحفر في ذلك المكان وبلغ الحفّارون قعرهُ رؤوا الصلبان الثلاثة. وصار تمييز عود الخلاص

عن صليبَي اللصّين بآيتين باهرتين بهما شُفيت حالا امرأة على النزاع وقام ميت من تابوتهِ حيًّا بمجرد اقتراب صليب يسوع المسيح منهما دون الاثنين الآخرين كما يشهد القديسان كيرلس واوزابيوس وغيرهما

— ١٠ —

+ معبد السخرية او التكليل بالشوك

هذا هو المعبد الثالث من الطرف الآخر من ممشى الخورس القسطنطيني كما ذكرنا وفيهِ وفق التواتر المحلّ حيث كلّل الجنود يسوع بالشوك ووضعوا على كتفَيهِ ارجوانًا خلقًا وفي يمينهِ قصبة وأضحوا يهزؤون بهِ قائلين : السلام عليك يا ملك اليهود (يوحنا ١٩ : ١—١٢) وتحت الهيكل ترى قطعة عمود لا تتجاوز الاربعين سنتيمترًا طولًا وهو غير عمود الجلد السيّدي اي عمود آخر قد أجلس عليهِ الجنود السيّد بعد تكليله بالشوك كما قلنا اعلاهُ . وقد جاء ذكرهُ في المؤرخين وكتبة الارض المقدَّسة منذ القرن الثاني عشر . والظاهر من كلامهم انهُ كان اطول ممَّا هو عليهِ الآن . واماَّ الاكليل الشوكيّ فكان في القرن الخامس والسادس

في كنيسة صهيون . ثم أرسل جزءٌ كبيرٌ منهُ الى القسطنطينيَّة فوهبهُ بدوان الثاني سنة ١٢٣٨ الى القديس لويس ملك فرنسا. وبعد معبد السخرَّية بنحو مترين الى الشمال ترى ثلاث درجات قرب مرقى الجلجلة الذي سدَّهُ الروم منذ ١٨٠٨ وفتحوا الحالي على بُعد ١٥ مترًا منهُ في زاوية الشمال الغربيّ من الجلجلة

— الجلجلة —

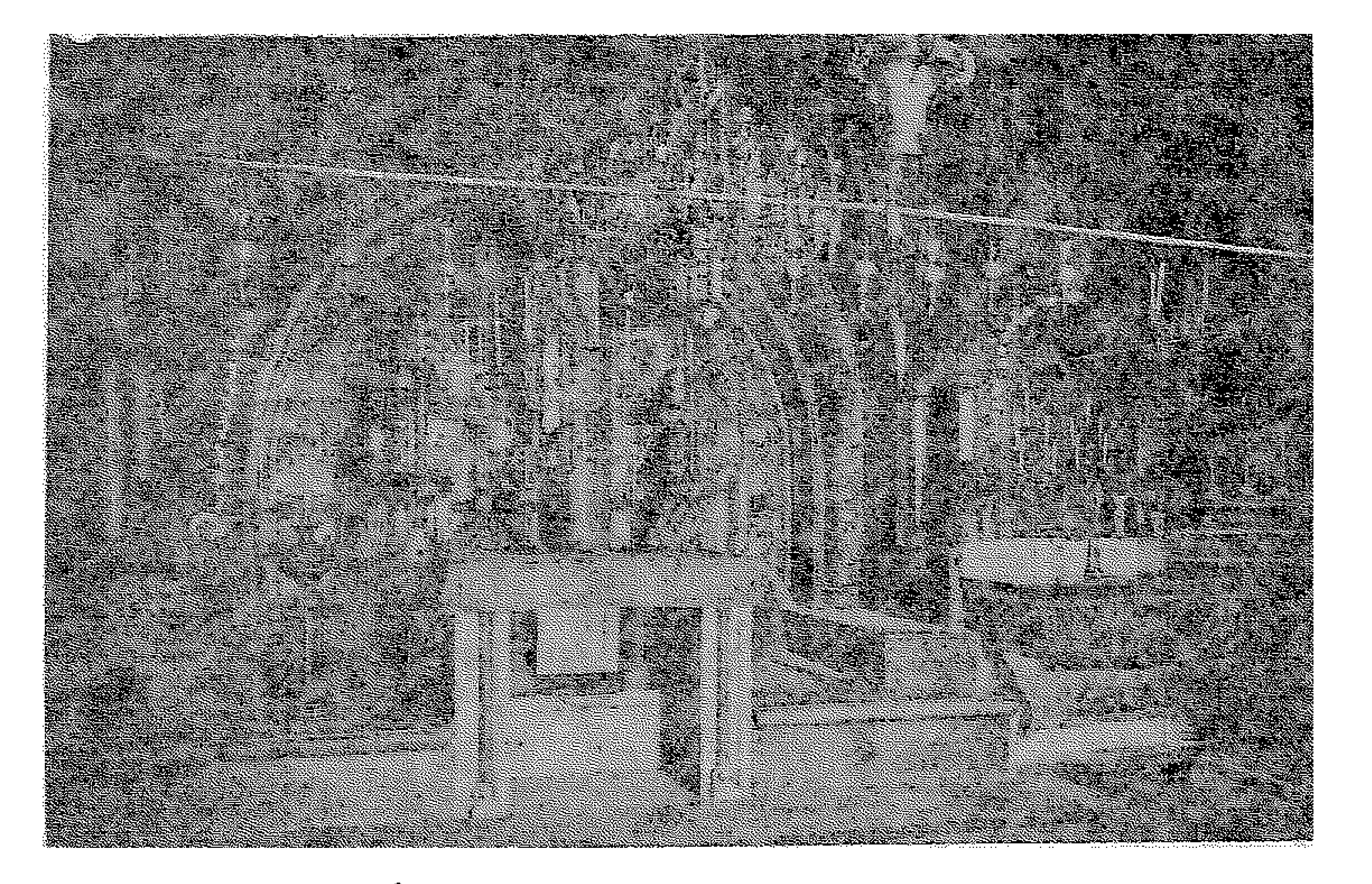
هوذا قد بلغنا الى الجبل المقدَّس حيث تمَّ عمل فدائنا العجيب وآلام فادينا القدوس مَن اطاع حتَّى الموت موتًا بالصليب كما نرى من نصوص الاناجيل الطاهرة المؤثرة في كل قلب ولو جلموديًا . ان هذه القمة قد قطعت نقرًا على الصخر من جهاتها الثلاث اي قبلةً وشمالاً وغربًا بان نُسف الجبل على عمق قبر الخلاص وتمهَّدت الارض لبناء الكنيسة الفسيحة القسطنطينيَّة او المرتيريون والانستازيس وايصالهما معًا بالقناطر الشاهقة على العمدان الرخاميَّة الجميلة كما مرَّ بنا . وبقي هذا المكان المقدَّس مكشوفًا مرصوفًا بالفسيفساء ومحاطًا بالدرابزينات الفضيَّة وفي وسطهِ أُقيم الصليب العظيم يلمع بالذهب والحجارة الكريمة . وفي القرن الخامس اي سنة ٤٣٦ بنت فيها القديسة ميلانيا الصغرى معبدًا قد تخرَّب في حملة الفرس سنة ٦١٤ فجدَّد بناءهُ الأب مُودِستُوس فيما اشاد وجدَّد اذ ذاك . ولمَّا جاء الصليبيُّون لم يمنعهم علوهُ عن ضمّهِ الى باقي العمار حيث أدخلوا كل المعابد المجاورة حتَّى قبر الخلاص

وتُقسم الجلجلة الآن الى قسمَين بعضادتَين او عمودَين مُخمَّين فمن الجهة اليمنى ترى

— ١١ —

☩ تجريد السيّد من ثيابهِ و ☩ تسميرهُ على الصليب

فالمرحلة العاشرة من درب الصليب المقدَّس حين جرَّد الجند السيّد من ثيابهِ وسقوهُ خلًّا ممزوجاً بافسنتين تقام الى شمالي الجبل المقدَّس بقرب الدرج ثم تتلوها المرحلة الحادية عشرة حين سمَّر الجند يسوع على الصليب . وهو من اعظم المشاهد تأثيرًا على النفوس التقيَّة لِمَا تكبَّد فيهِ فادينا الرحوم من العذاب الاليم كما تشخّصهُ لنا الصورة المنصوبة على الهيكل الكبير الى ناحية اليمين . وبحذائهِ الى الشمال هيكل † آخر اصغر على اسم مريم الام الحزينة يشخّص لنا هذه البتول امّنا حيث كانت قائمة تشهد نزاع ابنها الوحيد وسيف الحزن قد طعن فؤادها الطاهر . فهنا خصوصاً تمّت بها نبوّة سمعان الشيخ وسمعت كلمات يسوع على الصليب : يا امرأة هذا ابنكِ . اذ اضحت امًّا لنا اجمعين بوصيَّة فادينا الاخيرة قبل موتهِ . وهناك اخذت الى حضنها جسد المخلّص مائتاً بعد ان انزلهُ التلاميذ عن الصليب . وهو



جبل الجلجلة حيث رفع يسوع مصلوباً

موضوع المرحلة الثالثة عشرة من درب الصليب المقدَّس . والى يمين هــذا الهيكل اي هيكل البتول ام الاحزان اوالى شمال القائم امامهُ ترى

— ١٢ —

☩ محل نصب الصليب الكريم

وهو المرحلة الثانية عشرة حيث استودع فادينـا يسوع روحهُ في يدَيـهِ ابيهِ الازليّ فأتمّ الذبيحة الدمويَّة وخلاص الجنس البشريّ . فانك ترى تحت الهيكل قرصاً فضياً يدلـــ بفراغهِ الاوسط على المحل الذي فيهِ انغرس الصليب المقدَّس . وقد انتزع الروم مِن الصخر الدائرة الشريفة ليرسلوها الى القسطنطينيَّة فغرقت في البحر سنة ١٨٠٩ على سواحل سوريا . والى جانبَي القرص الفضيّ يميناً وشمالاً حجران مستديران من الرخام الاسود يشيران الى موضع صليبَي اللصَّين . والى اليمين بين هيكل الصلب وهيكل البتول ام الاحزان صفيحة معدنيَّة تزاح عن انفلاق في الصخر قد احدثتهُ الزلزلة حين موت المخلّص اذ اظلمَت الشمس واضطربَت الطبيعة كلها .

وينحدر هذا الشق متلوياً بين الشرق والغرب لا يتجاوز اتساعهُ بين القبلة والشمال الى اكثر من خمسة عشر سنتي متراً ويشاهد باوضح جلاء من المعبد الاسفل . وقد جاء فيما رواهُ الكتبة الاقدمون ذكر انفلاقٍ اعظم من هذا كانت غفلَت عنهُ الانظار حتى اكتشفهُ موخَّراً احد العلماء الى شرقي الجلجلة في دير الروم حالاً

— ١٣ —

معبد آدم

تحت الجلجلة اذا انحدرتَ من الدرج تدخل عن الشمال الى ممرّ ضيّق معتم يُدعى «معبد آدم» وقد جاءتهُ لا شك هذه التسمية مع توالي القرون مما لا زال يراهُ العلماء والواعظون المسيحيُّون من وجوهِ الشبه والمقاربة بين السيّد المسيح حجر الزاوية الشريف وبين الآباء الأقدمين الكرام الذين قد كانوا في الغالب رمزًا عنهُ في حالة من الاحوال . ثم تطرقوا من الاشخاص الى الاشياء فكما كان الحبر ملكيصادق رمزًا عن يسوع ملك السلام المقيّ من رسم الافخارستيا على الخبز والخمر واسحق وحيد ابرٰهيم رمزًا عن فادينا وحيد الآب اذ حمل صليبهُ كما حمل ذاك الحطب الى جبل التضحية . الى غير ذلك من التشابيه والرموز مما يطول حدُّهُ . فقال ايضاً بعض ان الجلجلة هو اسم رمزيّ يدلّ على هامة

آدم او جمجمتهِ بمعنى ان المسيح قد مات على الجلجلة دلالة على خلاص آدم الاول بآدم الثاني اذ اراق دمهُ الزكيّ على جمجمة اول الخاطئين. وعليهِ اخذ المصورون ان يشخّصوا جمجمةً تحت صليب الخلاص اشارةً الى فداء الجنس البشريّ. ثم انتقلت من التصوير الى التصوّر ومن المجاز الى الحقيقة. فزعموا ان آدم كان مدفونًا في هذا الجبل ولذلك سُمّي بالجلجلة او الجمجمة وان نقطة من دمهِ الكريم قد سالت حقيقةً عليها من فلق الصخر دلالةً حسيَّة على فدائهِ وفداء ذريَّتهِ. وليس ذلك بمتعذّر على باري الاكوان ولكنَّا نعلم من جهة اخرى بان لا اثر بين علماء اليهود بوجود قبر آدم في هذا المحلّ والَّا لأجلّوهُ واعتبروهُ مقدسًا ولم يسمحوا بان يُصلب عليهِ احد قط لما في ذلك من خرق حرمتهِ والله اعلم

وترى في هذا المكان عن اليمين موقع كودفروا دي بو يون المتوفي سنة ١١٠٠ والى الشمال حيث دُفن بدوان الأوَّل سنة ١١١٣ الى غير ذلك من قبور الصليبيّين مما اتلف ودثر بعضهُ في حملة الفرس سنة ١٢٤٤ وما بقي ازيل تعمدًا سنة ١٨٠٨ كيلا يبقى هناك اثر وكتابة لاتينيَّة كانَّما التأريخ يُمحى بامحائها. ثم ترى هناك هيكلًا على اسم الحبر ملكيصادق ووراءهُ بابًا نحاسيًّا مذهّبًا يعلوهُ شعار روسيًا وفي وسطهِ شعريَّة ترى من خلالها فلق الصخرة جليًّا. واما الباب الذي تراهُ عن الشمال عند خروجك فهو باب سكرستيَّة الروم حيث مجموع الذخائر

— ١٤ —

الخورس او كنيسة نصف الدنيا

عند خروجك من معبد آدم ترى امامك باباً يُدخلك الى الخورس او كنيسة نصف الدنيا . وتُدعى بهذا الاسم لما كان في زعم العامة ان موقع محور الارض هناك في وسطها تحت القبة . وهي الآن كنيسة تحجز النظر عن مجموع البناء الفسيح بجدرانها المنتهية بأروقة من جهاتها الثلاث المملوءة رسوماً وتصاوير يونانيّة وروسية مما يدلّ على الغنى اكثر منهُ على الذوق السليم . ثم تخرج من هناك لجهة معبد الملاك اذ ترى بعد الدرابزين الحديدي العالي الضخم خورس اللاتين حيث يقيم الاخوة الاصاغر فروضهم وطقوسهم اذ يحتفلون بها امام القبر المقدّس

دورة اللاتين اليوميّة

يحتفل الاخوة الاصاغر كل يوم على مدار السنة نحو الساعة الرابعة بعد الظهر بدورة بها يزورون كافة المعابد الموجودة داخل كنيسة القيامة . فمَن شاء من الزوّار مرافقتهم في هذه الحفلة يمكنهُ ان يأخذ من سكرستيّة اللاتين شمعة وان اراد ايضاً كتاباً يتبع بهِ هذه الزيارات التقويّة وصلواتها المؤثرة الخاشعة

— ١٥ —

المارستان

عند خروجك من كنيسة القيامة ترى امامك محلّة مربّعة تمتدّ على نحو مائة واربعين مترًا طولاً وعرضاً كان قد بنى فيها شارلمان في عهد هارون الرشيد كنيسة على اسم البتول وديرًا ومكتبة للرهبان البندكتيّين ومنزلاً للزوّار . ثمّ تخرّبت على توالي القرون وتشيَّدت . ثم انتقلت من يد الى يد حتّى آلت الى رهبان وفرسان ماريوحنّا الربّانيّ فبنوا فيها سنة ١١٣٠ كنيسة دُعيت بالقديسة مريم العُظمى وأقاموا حولها بنايات فسيحة جعلها صلاح الدين الايّوبيّ مركزًا لذاتهِ عند اقامتهِ في القدس . ثم استحالَ بعدهُ جزء من البناء الى خان ثم أُهمل حتّى اضحى في القرن السابع عشر كمقلع يتخذون منهُ الحجارة للبنايات القريبة منهُ

— ١٦ —

الجامع العمريّ بقرب القيامة

قد اشاد شهاب الدين ابن اخي صلاح الدين هذا الجامع سنة ١٢١٦ أمام كنيسة القيامة واما منارتها فلم تتشيَّد الّا بعد قرن كامل ونيف سنة ١٣١٧ . ويُحكى ان عُمر الفاتح اذ زار يوماً كنيسة القيامة وجاء وقت الصلاة خرج فابتعد قليلًا عن باب الكنيسة وصلّى هناك فلما سألهُ بطريرك القدس عن سبب خروجهِ اجابهُ : خفتُ لو صلّيتُ فيها ان يجعلها الاسلام جامعاً رغمًا عني . آه

فكان في قصد شهاب الدين في بناء هذا الجامع تخليد ذكر هذه القصّة في موقعها التاريخيّ . ولكن فاتهُ ان الباب الحاليّ هو من صنع الصليبيّين وان الباب الذي دخلهُ الخليفة لم يكن من هذه الجهة

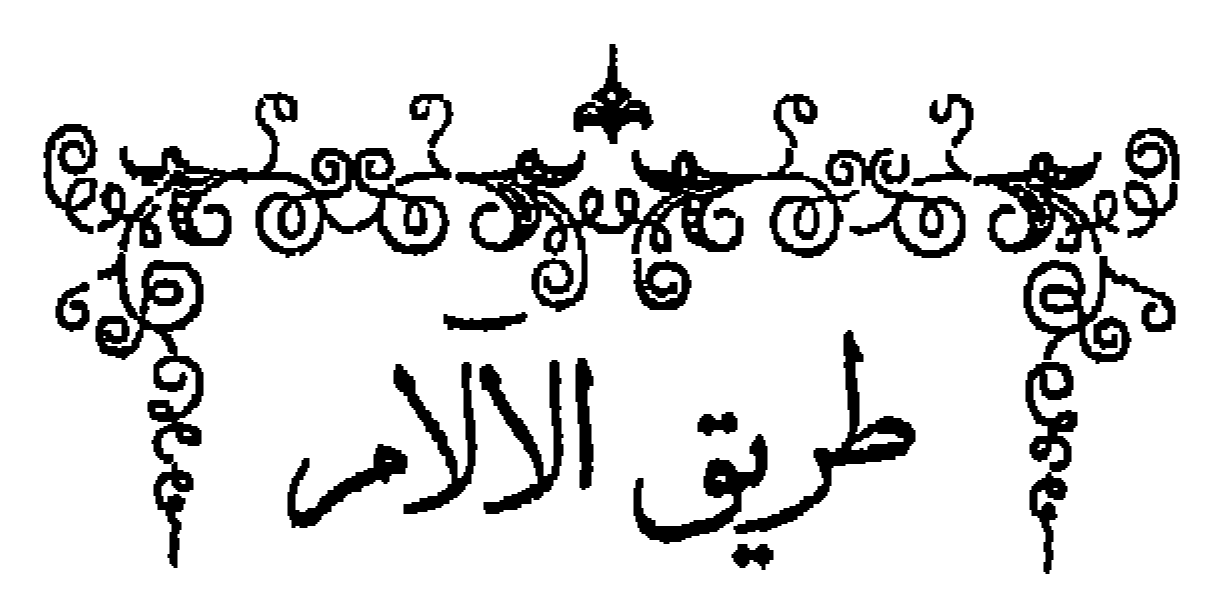
وان خرجتَ من فسحة القيامة مارًّا بالباب الصغير من الجهة المقابلة للجامع العمريّ المذكور يبقى دير الروم عن شمالك حيث كان محلّ سكن رئيس فرسان القديس يوحنا الربّانيّ . وتُدعى الحارة الممتدة امامك حارة الدبّاغين وكانت تُسمّى في القديم حارة التفّاح . والى الامام ترى شمالاً منزل الروسيّين وفيهِ الآثار القديمة والمحفورات ما لم تُقرّر عليهِ حتّى الآن آراء الاثريّين . وامامهُ او قبلهُ قليلًا عن اليمين ترى

— ١٧ —

كنيسة القديسة مريم العُظمى وما حولها

هي كنيسة قديمة قد اشادها فرسان القديس يوحنا سنة ١١٣٠ وقد اخذها مؤخرًا معها حولها سنة ١٨٦٩ ملك الالمان فجدَّدها على نسقها القديم محافظًا على ما كان منها قائمًا فجاءت اثرًا يُذكر . وهي الآن في يد البروتستانت . وامامها لجهة باب الخليل او باب يافا سوق جديد بناهُ الروم وفيهِ اكتُشف على آثار كنيسة مريم اللاتينيّة ولكنها أزيلت تمامًا لبناء الدكاكين . ثم الى الشمال الغربيّ من المارستان وراء السبيل الجديد كنيسة القديس يوحنا المعمدان وتحتها اخرى من نوعها تستحق الذكر لقدميّتها وهي على شكل ثلاث دوائر كورقة البرسيم على عمق ثمانية امتار من الشارع . وكان يشاهَد

في احد جدرانها الى سنة ١٩٠٤ بعض القنوات التي تأتيها بالماء من بركة حمَّام البطريرك. فهذا وغيرهُ من الدلائل يؤيّد كونها كنيسة للعماد وانها من بناء القرن الخامس او السادس. والى جهتها الغربيّة حمَّام البطريرك وهو بالاجماع بركة حزقيا وهي الآن على ٨٠ متراً طولاً و٤٨ عرضاً واكثرها الى الغرب منقورة في الصخر. فيكون عهدها منذ القرن السابع قبل المسيح وكان الماء يأتيها من بركة ماملَّا. ويشهد يوسيفوس المؤرّخ اليهوديّ بان ماءها يأتي من عين عليّ غربيّ المدينة جارياً اليها من قنوات تنقسم لتملأها وتسقي سواها من البساتين والغياض وقد اكتشف الأثريّون على بعض هذه القنوات



طريق الالام

ان امنا الكنيسة المقدَّسة تحتفل كل سنة في اسبوع الآلام او الجمعة الحزينة بتذكار ما احتملهُ عنَّا فادينا الالهيّ من العذابات المبرّحة. وكل يعلم وقع هذه الذكرى على القلوب الاكثر صلابة. فليس من مؤمن الّا ويستولي عليهِ في تلك الايام المقدَّسة عواطف التقوى والخشوع فيجود عليهِ تعالى بالتوبة والعبادة والخلاص. فلم تزل آلام السيّد اعظم محرّض على الكمال المسيحيّ وتقديس النفوس في كل اين وآن. وقد اعتاد المؤمنون منذ القرون

الغابرة على تأملـــ آلام فادينا الرحوم واتباع خطواتهِ الطاهرة بالصلوات الخاشعة لجنى ثمار الفداء الغزيرة . فهذه العبادة تُدعى طريق الآلام او درب الصليب المقدَّس . وفيهـا تتبع النفس التقيَّة فادينا الالهيّ من ايوان بيلاطس حتَّى الجلجلة . وقد استقرَّت هذه العبادة على المراحل الأربع عشرة ممَّا صادق عليها الاحبار الاعظمون ومنحوا مَن يمارسها الغفرانات العديدة . وكل يعلم من كتب الصلوات منهاج هذه العبادة التقويَّة وصلواتها تباعاً فحسبنا الآن ذكر المراحل ومواقعها

— ١ —

✠ ايوان بيلاطس

هي النقطة الاساسيَة وعليها المعوَّل ومنها يستدلّ الزائر انهُ يصلّي في المحل نفسهِ حيث جرت مراسح الآلام . فان ايوان بيلاطس هو بلا خلاف الى الغرب الشماليّ من الهيكل فيما كان يُدعى حصن انطونيا كما اجمع التواتر بين مؤمني البلاد منـــذ سنة ٣٣٣ وايدهُ آراء الاثريين والاكتشافات العديدة فضلًا عن مطابقة نصّ الانجيل الشريف . ولنا على ذلك البراهين العديدة التي نعدل عن ذكرها اختصارًا فمَن احبّ الاطلاع عليها فليراجعها في المؤلَّف الذي عنهُ اخذنا في وجه ٩٢ وما يليهِ .



ايوان بيلاطس

وكان لهذا الايوان في عهد السيّد فسحتان كما كان لدار قيافا وكانت الحاكمة في اعلاهما وهي الفسحة الداخليَّة حيث لم يدخل اليهود لئلّا يتدنسوا قبل اكل الفصح . ولذا كلّما اقتضى لبيلاطس ان يكلِّم الشعب كان يخرج الى الفسحة السُفلى الخارجة كما يظهر جليًّا من نصّ الانجيل الشريف . فموقع المحلّ حيث حكم على يسوع بالموت هو بلا ريب في موقع القشلة الحاليَّة امام قوس « هوذا الرجل »

— ٢ —

معبد التكليل بالشوك

حالما تصعد الى باب القشلة وتدخل بابها الحاليّ اذا التفتَّ يمينًا ترى صحنًا صغيرًا فيهِ حوض ماء والى الامام في قلب البنايات معبدًا صغيرًا ايضًا ويظهر انهُ من انشاء الاهلين في القرن الثاني عشر لاكرام التكليل بالشوك في موقعهِ وفق التواتر الخلد . وهو بناء قائم الزوايا على ٨ أمتار طولًا وعرضًا يعلوهُ قبَّة تستند الى ركائزهِ ناتئة من الجدران يجمعها طنف او افريز مثمن الاضلاع يدور فوقها . والى الجهة الخارجة عنهُ مربع قبَّة الانستاز او الدياكونيكون

— ٣ —

كنيسة اجيّاً صوفيّا

ثم تلتفت شمالاً الى فسحة القشلة حيث كانت الكنيسة الانيقة المشيَّدة على اسم الحكمة الصمدانيَّة او اجيّاً صوفيّاً وقد ذكرها المؤرخون ثم تخرَّبت منذ سنة ٦١٤. ثم اشاد المؤمنون هناك في القرن الثاني عشر مقاماً آخر فلم يدم طويلاً في ايديهم حتى احتلَّهُ الفاتحون ولكنهُ بقي قائماً وقد رآهُ كوارزميوس مرّات . واما الحجر الصلد الذي كان واقفاً عليهِ فادينا اذ سمع الحكم بالموت فقد نُقل الى كنيسة العليَّة في جبل صهيون بعد ان كان في الفسحة السُفلى وهي الخارجة المدعوة ليتستراتوس اوجَبْعَتا . وقد جرت العادة منذ القديم ان تقام المرحلة الاولى من طريق الآلام لا حيث أُعلن او تُلي الحكم بالصلب الخلاصيّ ولا حيث سمعهُ فادينا ثم اعتنق صليبهُ بل هنا في القشلة الحاليَّة موقع الفسحة الاعلى حيث جرت المحاكمة . ثم أُخذ يسوع بعد الجلد فكُلّل بالشوك وأُلبس الارجوان وحيث أرسلت امرأة هيرودس تقول لهُ اياك وهذا الرجل

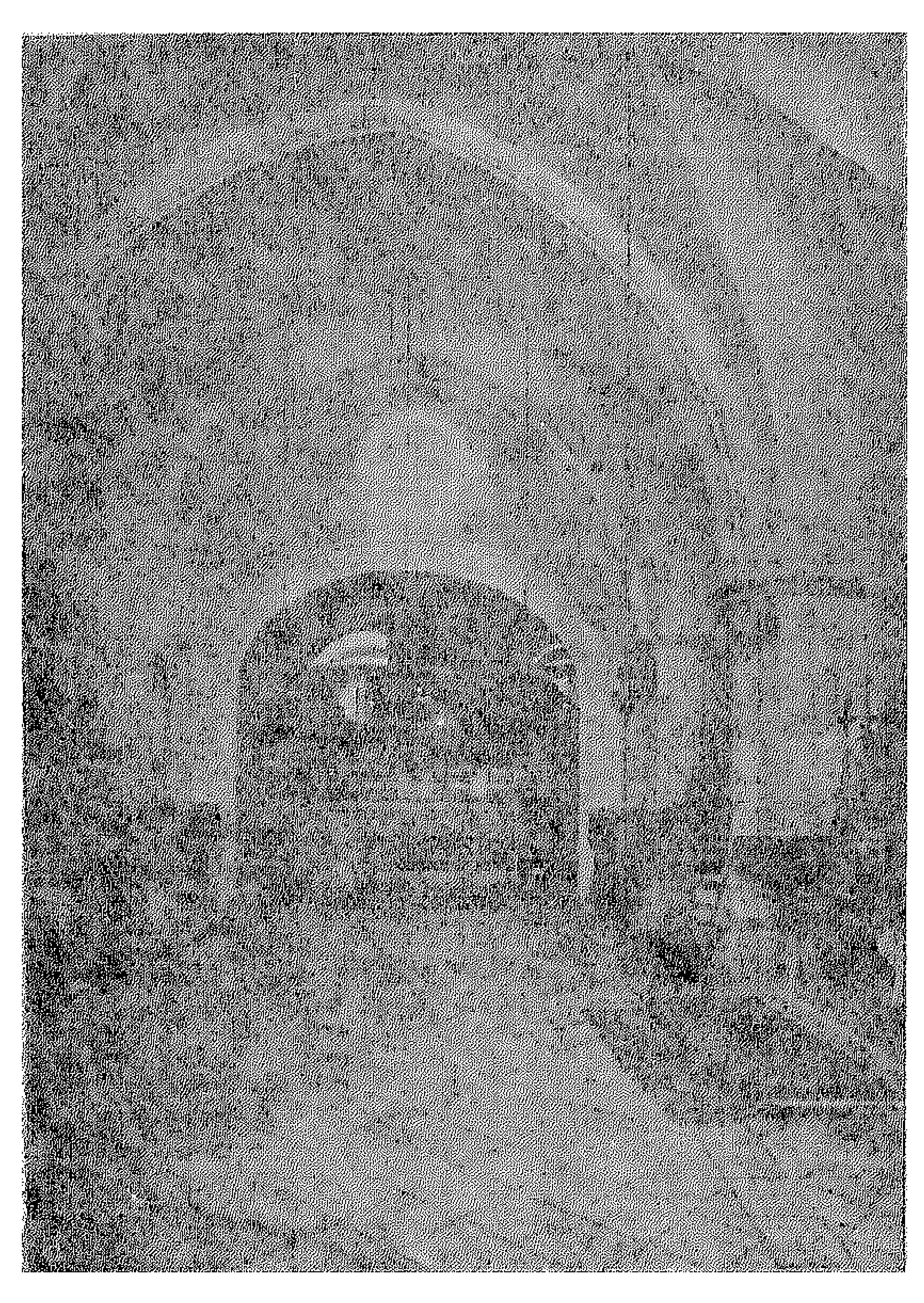
— ٤ —

✠ كنيسة الجلد او حبس المسيح وكنيسة الحكم بالموت

في خروجك من باب القشلة ترى عن اليمين باب دير للاخوة الاصاغر ان دخلتهُ تشاهد الى اليمين كنيسة الجلد والى الشمال كنيسة الحكم على يسوع بالموت وهاك شرح وجيز على كل منهما

امَّا الاولى فقد ذكرها المؤرخون منــذ القرن الخامس بانها في يد المسيحيّين ثم أُخذت منهم ثم أُرجعت لهم على عهد هارون الرشيد وشارلمان قبل القرن التاسع مع كنيسة اجيا صوفيا القريبة منها . فقد ذكرها احد المؤرخين سنة ٨٠٨ مع عدد الكهنة والاكليريكيّين القائمين بخدمتها ثم اكرهوا على تركها فتخربتا ثم عادت هذه اليهم في القرن الثاني عشر فأُشيدت على ابدع طرز واجمل هندام . وفي سنة ١٦١٨ خرجت من قبضة الاخوة الاصاغر ولكنهم عادوا فاستحوذوا عليها سنة ١٨٣٨ واسرعوا الى ترميها ما استطاعوا ليتمكن المؤمنون من الصلاة حيث جُلد فادينا وتناثرت لحمانهُ الطاهرة وفاء عن خطايانا

وان خرجتَ من باب هذا المعبد الخشوعي ترى امامك على خطوات قليلة حضيض الليتسترتوس او جَبْعَتا والى جانبه



كنيسة الجلد او حبس المسيح

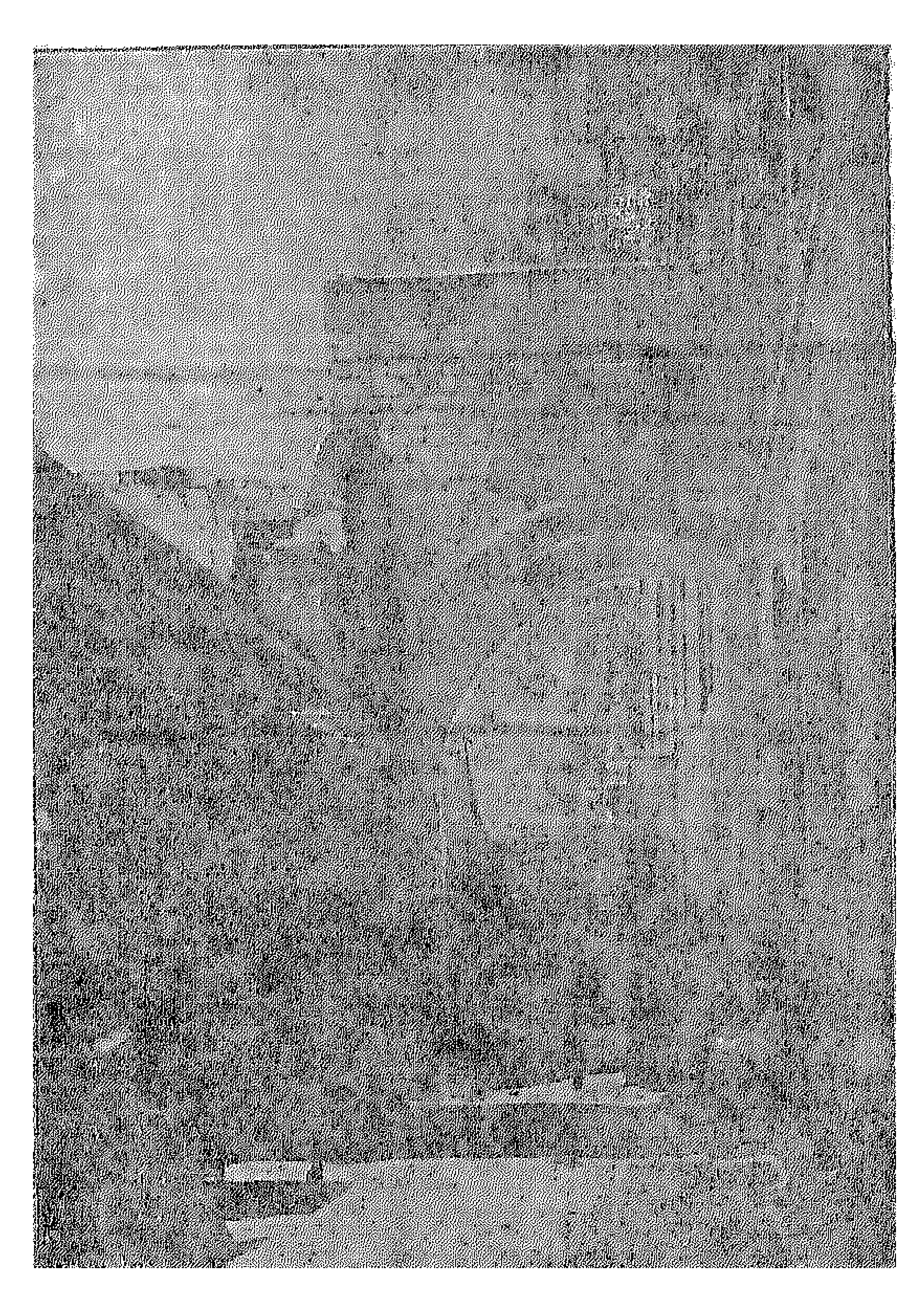
الشرقي كنيسة الحكم على يسوع بالموت . وهو معبد مربّع على عشرة امتار واربعة اعمدة تقلّ قبتهُ ويظهر انهُ قديم العهد جدًّا . ولكنهُ قد غاب طويلًا عن ذكر الكتبة الَّا ما ندر حتى اكتُشِف اخيرًا وجُدِّد بناؤُهُ وهو المكان الذي حمل فيهِ يسوع الصليب . ولذا رغمًا عن الجهل بوجودهِ قد اعتاد المؤمنون منذ القديم ان يقيموا المرحلة الثانية من طريق الآلام بالقرب منهُ . وامامهُ يمتدّ حضيض الفسحة السُفلى او الليتسترتوس يمينًا وشمالًا ويظهر من الآثار الباقية انهُ كان محاطًا بالاعمدة

وان خرجتَ من باب الدير والتفتَّ يمينًا ترى قوسًا يمتدّ فوق الطريق يُدعى

— ٥ —

قوس هوذا الرجل

وسُمّي بهذا الاسم منذ القرن السادس عشر لانهُ كان قد جُعل في الحائط تحت طرفَيهِ حجران من الليتسترتوس على احدهما كان واقفًا يسوع وعلى الثاني بيلاطس اذ قال « هوذا الرجل » وربمَّا كان هذان الحجران محفوظَين في كنيسة الحكم على يسوع بالموت او في محل آخر الى ان استحسن قوم



قوس هوذا الرجل

وَضعها هناك اجلالًا او تسهيلًا للعبادة او انعاشًا لتقوى المؤمنين في ممارسة رياضة طريق الآلام او درب الصليب . وعلى كل حال ليس من الاقدمين مَن يتكلم عن قوس هوذا الرجل او يجعلهُ مصعدًا استعلى عليهِ يسوع وبيلاطس الّا بعد وضع هذَين الحجرَين . ثم ترى تحتهُ

— ٦ —

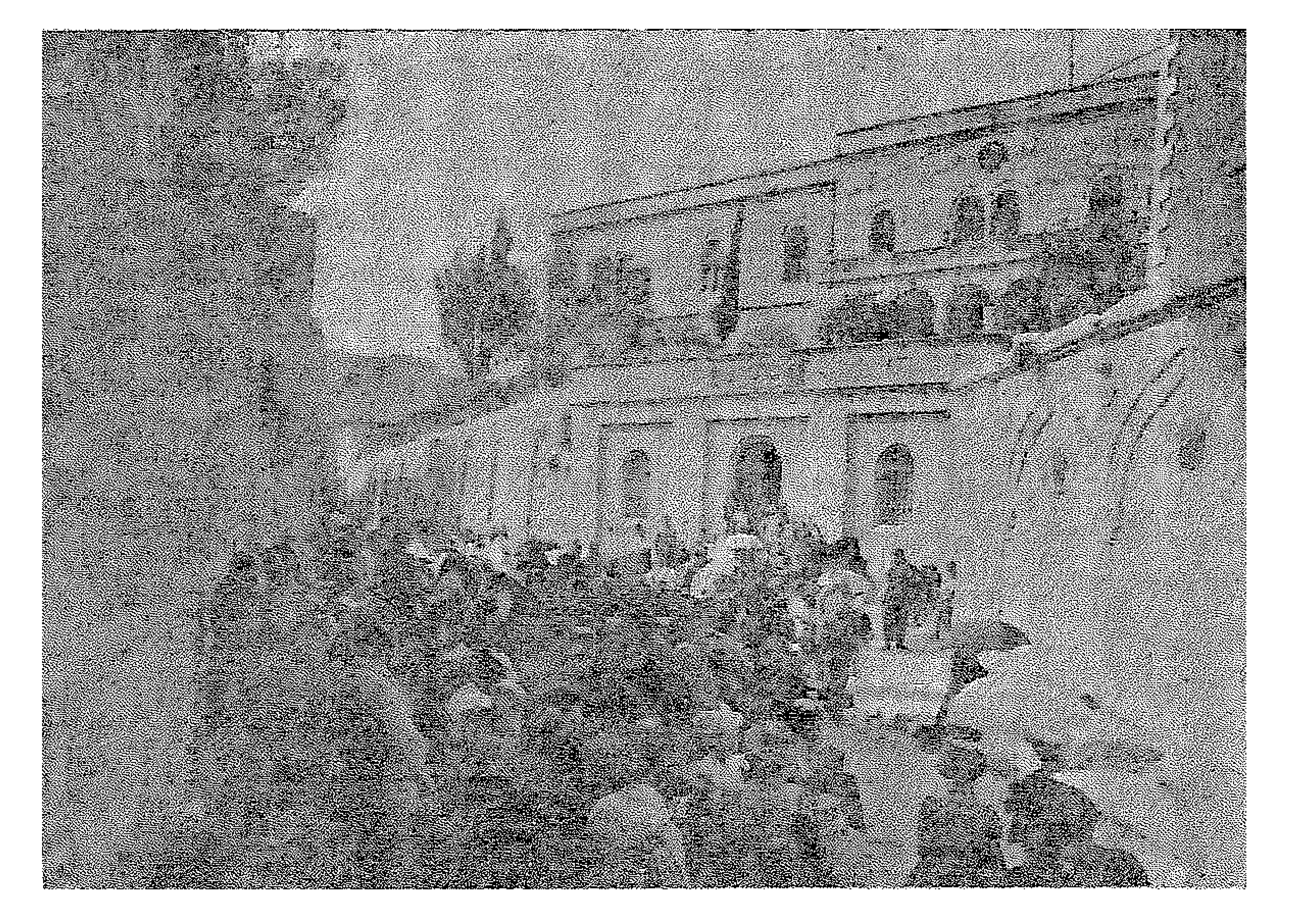
☩ كنيسة هوذا الرجل الملكيَّة والباسيليكيَّة

وهي كنيسة جميلة قد تحرَّى بانيها التأنق والحذق معًا فجاءت خشوعيَّة لطيفة مع المحافظة ما امكن على الآثار القديمة التي عثر عليها . فهناك خارج الكنيسة في دير الراهبات ترى جزءًا من الليتسترتوس وتعاين ولو بصعوبة شيئًا من البركة التي قسمها هيرودس الى قسمَين بحاجز منيع وغطَّاها باقواس حجريَّة ليقيم بناياتهِ الشامخة بحصونها التي سمَّاها « انطونيا » اجلالًا للامبراطور مركنطونيوس. وليس قوس هوذا الرجل الَّا احد ابوابها المثلَّثة اي على ثلاثة اقواس قوس كبير على جانبيهِ قوسان اصغر منهُ علوًّا وحجمًا كما يرى في مثلها من القصور العظيمة المعاصرة

— ٧ —

المرحلة الثالثة والرابعة والخامسة

تنحدر بعد قوس هوذا الرجل مع انحدار الطريق الى مفرقهِ حيث تتعاقب المراحل الثلاث . فان يسوع اذ أعياهُ التعب من حمل الصليب سقط تحتهُ فاستوقف هـذا الحادث الجنود فاستغنمت البكر الطاهرة هذه الفرصة للاقتراب من ابنها الوحيد . وفي نفس الوقت صادف مرور رجل غريب يُدعى سمعان فسخّروهُ بحمل الصليب . وهناك عمود مكسور ملقًى على قارعة الطريق كان من زمن مديد علامة المرحلة الثالثة اي سقطة يسوع الأولى . وبالقرب من ذلك العمود اشاد الاخوة الاصاغر من عهد ليس ببعيد معبد السقطة الأولى او المرحلة الثالثة . وللارمن الكاثوليك بالقرب من هناك + كنيسة حديثة حيث قد اكتُشفَت في حفر اساساتها في موازاة علو الطريق القديمة ارض مرصوفة بالفسيفساء . وقد رُسِم في احدى جهاتها علامة قدمَين مما يستدلّ بهِ مع غيرهِ من الآثار القديمة ان هناك كانت كنيسة منذ القرن السابع على اسم سيدة الغم او الكمد وكأن اثر القدمَين في الفسيفساء يُعيّن المكان حيث كانت تنتظر بكبد يتفتّت غمًّا وكمدًا مرور



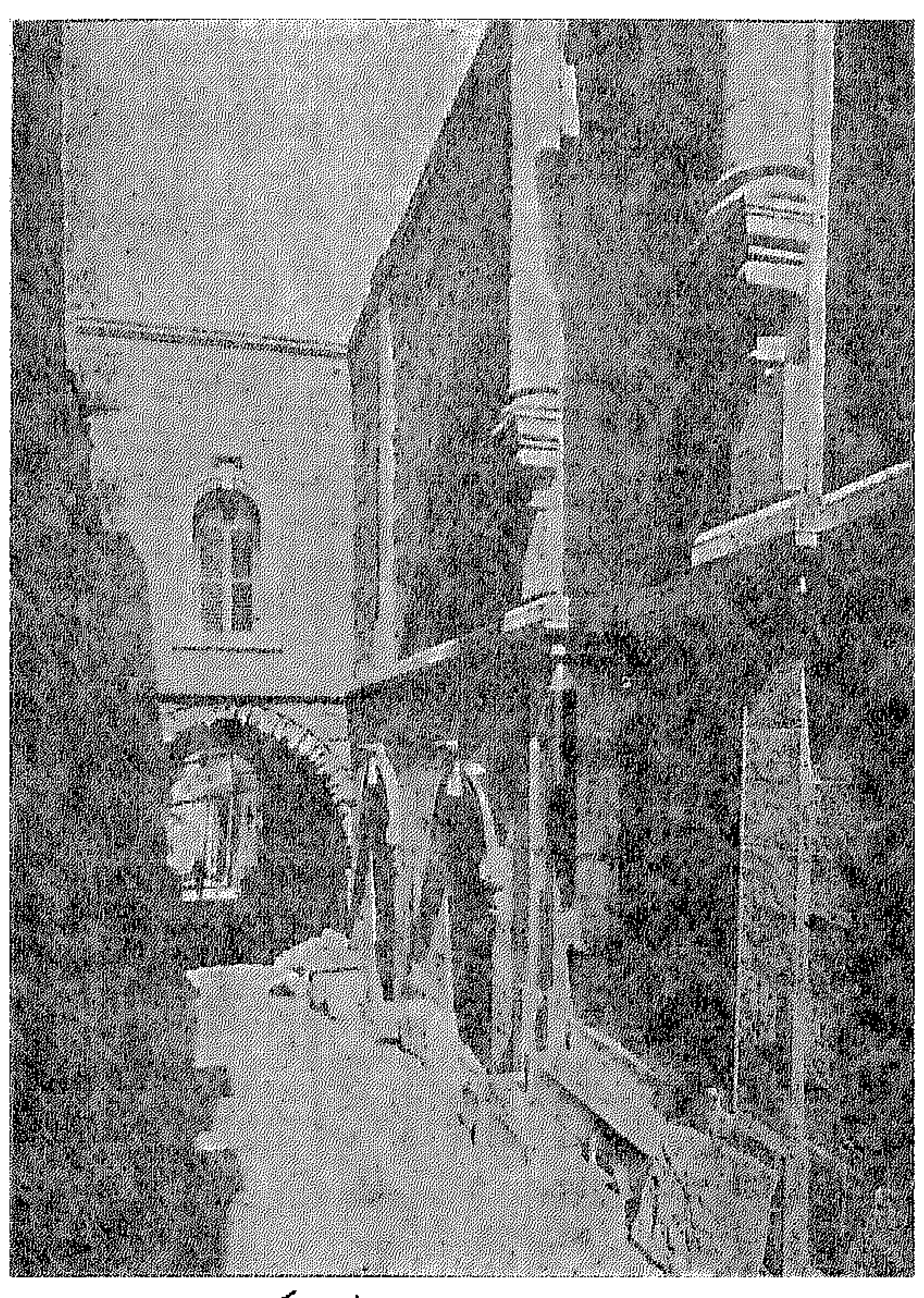
المرحلة الثالثة

فادينا الالهيّ عساها تتمكن من الدنو منهُ او النظر اليهِ . ولمّا مرّ من هناك سمعان القيرواني (وكان ربما من المؤمنين بيسوع او المحبين باعمالهِ وآياتهِ المذهلة) وقد رأى الجند ما كان عليهِ فادينا من انحطاط القوى فسخّروا هذا الغريب بحمل الصليب عنهُ في تلك العقبة الضنكة نحو جبل الجلجلة . وقد اشاد الاخوة الاصاغر على الزاوية القبليّة من الطريق معبدًا على اسم القيرواني المذكور وهو محل المرحلة الخامسة

— ٨ —

+ كنيسة القديسة وارنيا

ومن هناك على ثمانين خطوة صعودًا في الطريق الى الشمال، ترى قطعة عمود مخرومة في الحائط تدل على موقع المرحلة السادسة حيث كان بيت تلك الامرأة الباسلة التي خرجت من دارها عند مرور السيّد لهُ المجد مخاطًا بالمؤمنين . فدنت منهُ ومسحت وجههُ الكريم بمنديل فانطبعت صورة الوجهِ الاقدس على المنديل جزاء عملها هذا المبرور . وهناك بعض القناطر المنغمسة في الارض الى اكثر من نصفها قد جعل الروم



كنيسة القديسة وارينا (ڤيرونكا)

الكاثوليك تحتها معبدًا وبنوا فوقها كنيسة لطيفة على اسم هذه القديسة. وقد رؤوا في حفر الاساسات ما يُؤيّد باجماع الأثريّين ان هناك ما يدلّ بلا شك على بيت يهوديّ يتجاوز في القِدَم عهد الرومانيّين. وقد اشترى هذا المكان الشريف وباشر في بنائهِ السيّد جرمانوس المعقد اذ كان نائبًا بطريركيًّا في القدس الشريف سنة ١٨٨٣

— ٩ —

✝ باب القضاء ومعبد عمود الحكم

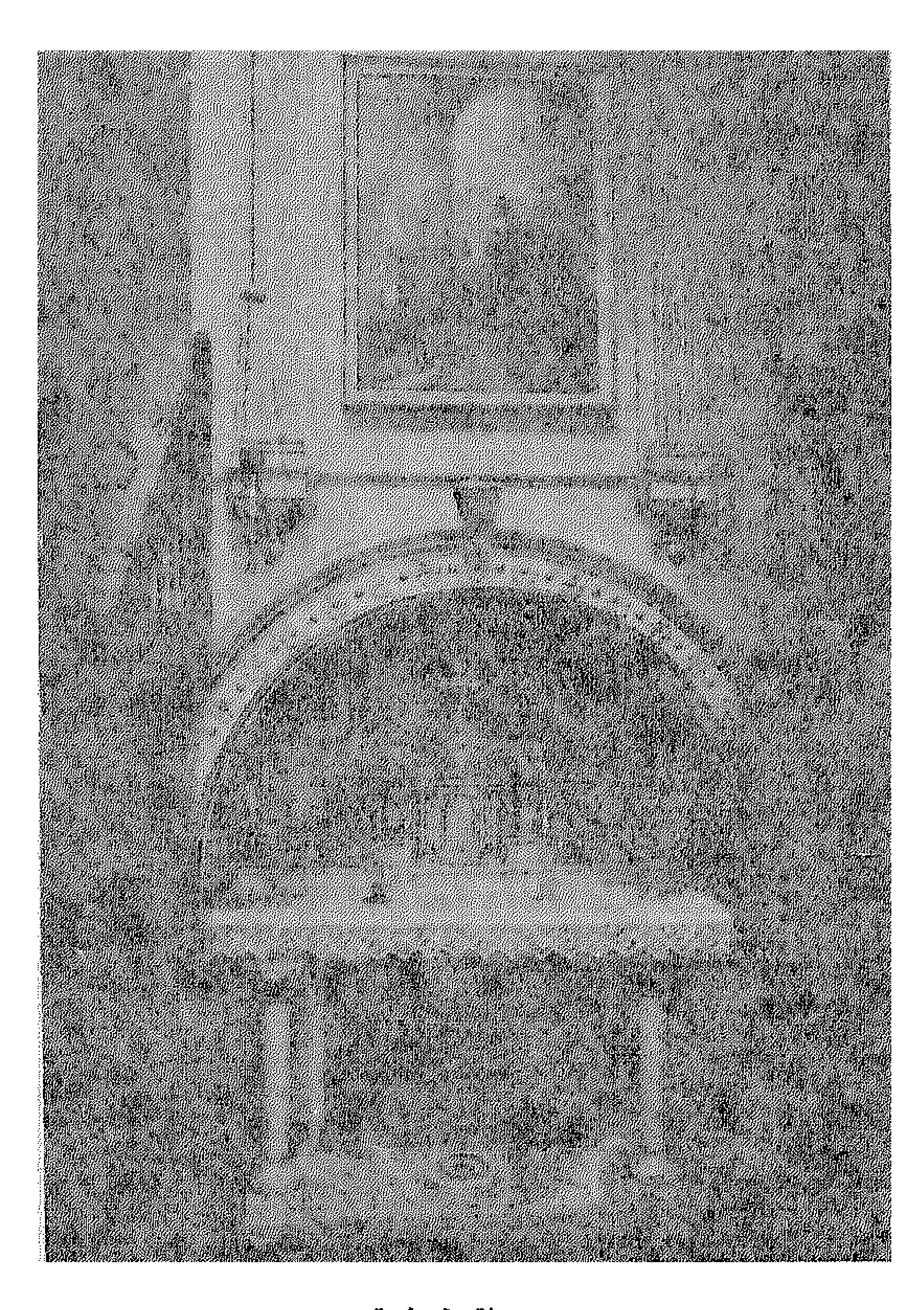
والى نحو ستين خطوة من هناك تبلغ الى مفرق آخر حيث كان احد ابواب المدينة. وقد سُمي بين المسيحيّين باب القضاء لان بيلاطس كان قد علّق على احد اعمدتهِ حكم الموت الصادر على يسوع وفق عادة ذلك الزمان. وهناك ايضًا على ما جاء التواتر المتواصل سقطة يسوع الثانية وهي المرحلة السابعة. والى زاوية الغرب القبليّ معبد صغير يُرقى منهُ الى كنيسة اكبر وهو حريّ بالذكر لما فيهِ من الدلائل ذات الشأن عند الأثريّين. فانك ترى على الصخر قناة عميقة مرتفعة الشكل يقوم عليها عمود رخاميّ

شامخ قد زال عنهُ تاجهُ . واما قاعدتهُ فلم تزل مقحمة في حائط من بناء الرومانيّين . وطول العمود سبعة أمتار وقد شاهد العلماء امامهُ الى زاوية الغرب الشماليّ عمودًا يشبههُ لم يزل قائمًا حتى نصف القرن السادس عشر . وبعدهُ فلا يبعد عن الاحتمال ان العمود الحاليّ قد كان في محلّهِ هذا عند مرور فادينا الالهيّ خارجًا من المدينة الاثيمة ذاهبًا الى الجلجلة . وقد اختلف الرواة في هل كان يسوع حاملًا صليبهُ في سقطتهِ الثانية ام لا زال يحملهُ عنهُ سمعان القيروانيّ حتى الجبل المقدَّس

— ١٠ —

+ المرحلة الثامنة حيث التفت السيّد الى بنات اورشليم الباكيات

وبعد اجتياز الطريق المعارض المدعو طريق باب العمود تصعد امامك تاركًا عن الشمال منزل البروتستانت الالمان فتبلغ المحل الذي كان خاويًا اذ ذاك في ظاهر المدينة حيث عاين يسوع زمرة من النساء ينحنَ ويندبنَ على مصابهِ جلّ شأنهُ فالتفت نحوهنَّ قائلًا : « يا بنات اورشليم لا تبكين عليَّ بل على انفسكنَّ



المرحلة السابعة

وعلى اولادكنَّ » وزعم قوم ان النساء كنَّ برفقة البتول الطاهرة وصادفنَ يسوع في موقع المرحلة الخامسة . غير ان الرأي الاعمّ وما يؤيدهُ التواتر المتواصل هو ان هذه الملاقاة كانت بين باب القضاء والجلجلة . وترى في الحائط الى الشمال رسم صليب يشير الى هذه المرحلة الثامنة ومنها الى التاسعة ليس ببعيد . غير ان طريق الآلام ينقطع هنا بمعارضة دير مار كارالمبوس حيث كانت سكنى قانونيّي القبر المقدَّس اللاتينيّين . فيقتضي الرجوع الى الوراء لاتخاذ الطريق من الجهة الأُخرى

— ١١ —

✝ المرحلة التاسعة والسقطة الثالثة

بعد عَوْدك الى الوراء انحدارًا تلتفت عن اليمين فتسير في السوق الضيّق نحو مائة خطوة اذ ترى عن اليمين ايضاً ثماني وعشرين درجة متتابعة على مرقى عريض متلوٍّ وراء منزل النبلاء الروسيّين الشامخ البناء . ثم تتبع الى نحو تسعين مترًا طريقًا لا يستقيم له اتجاه فتبلغ بهِ الى باب كنيسة الاقباط حيث ترى الى الجهة اليمنى عمودًا في الجدار يدلك على محل المرحلة التاسعة . وان



المرحلة التاسعة

التفتَ الى الشمال ترى ملحقات كنيسة القيامة مما يؤكد لك ان المدى هناك الى الجلجلة ليس ببعيد. وكان يسوع في هذه السقطة الثالثة حاملًا صليبهُ باجماع الكتبة والتواتر معًا . اما لانهُ تعالى شاء ان يسترجعهُ واما لان الجند اجبروهُ على ذلك لمطابقة العادة المرعية بان يحمل المحكوم عليهِ آلة عذابهِ الى حيث تنفيذ الحكم . وهذا ما سبَّب لهُ جلَّ اسمهُ السقوط ايضًا حتى التزم الجند ان يساعدوهُ في النهوض ويسندوهُ في السير حتى قمَّة الجبل

— ١٢ —

كنيسة الاقباط

عند المرحلة التاسعة مدخل دير الاقباط وكنيستهم ومسكن اسقفهم وزوَّارهم . وهناك حاصل ماء فسيح يُدعى صهريج القديسة هيلانة تنزل اليهِ في ثلاث واربعين درجة منقورة في الصخر . والى شمال الكنيسة تنحدر على بعض درجات الى سطح تنفذ في وسطهِ قبَّة كنيسة القديسة هيلانة او مغارة وجود الصليب . وهذا السطح هو من شرقيّ حضيض المرتيريون او كنيسة قسطنطين الفسيحة التي اشادها بقرب قبَّة القيامة . وكان على عهد الصليبيّين بيت المائدة لقانونيّي القبر المقدَّس وترى لهُ حتَّى الآن آثارًا ظاهرة لجهة الجدار الغربيّ ويسكنهُ اليوم الحبشان ولهم بالقرب من

هناك كنيسة يقيمون فيها فروضهم بلغتهم القديمة الايتيوبيَّة لاهل كورش

ولإتمام طريق الآلام يقتضي الرجوع الى درب العمود . ثم المرحلة الثامنة فبعد مسافة وجيزة صعودًا تلتفت الى الشمال فيبلغك الطريق الى كنيسة القيامة حيث المراحل الخمسة الباقية كما ذكرنا في الكلام عن كنيسة القيامة فعليك بالمراجعة



جبل صهيون
او مدينة داود

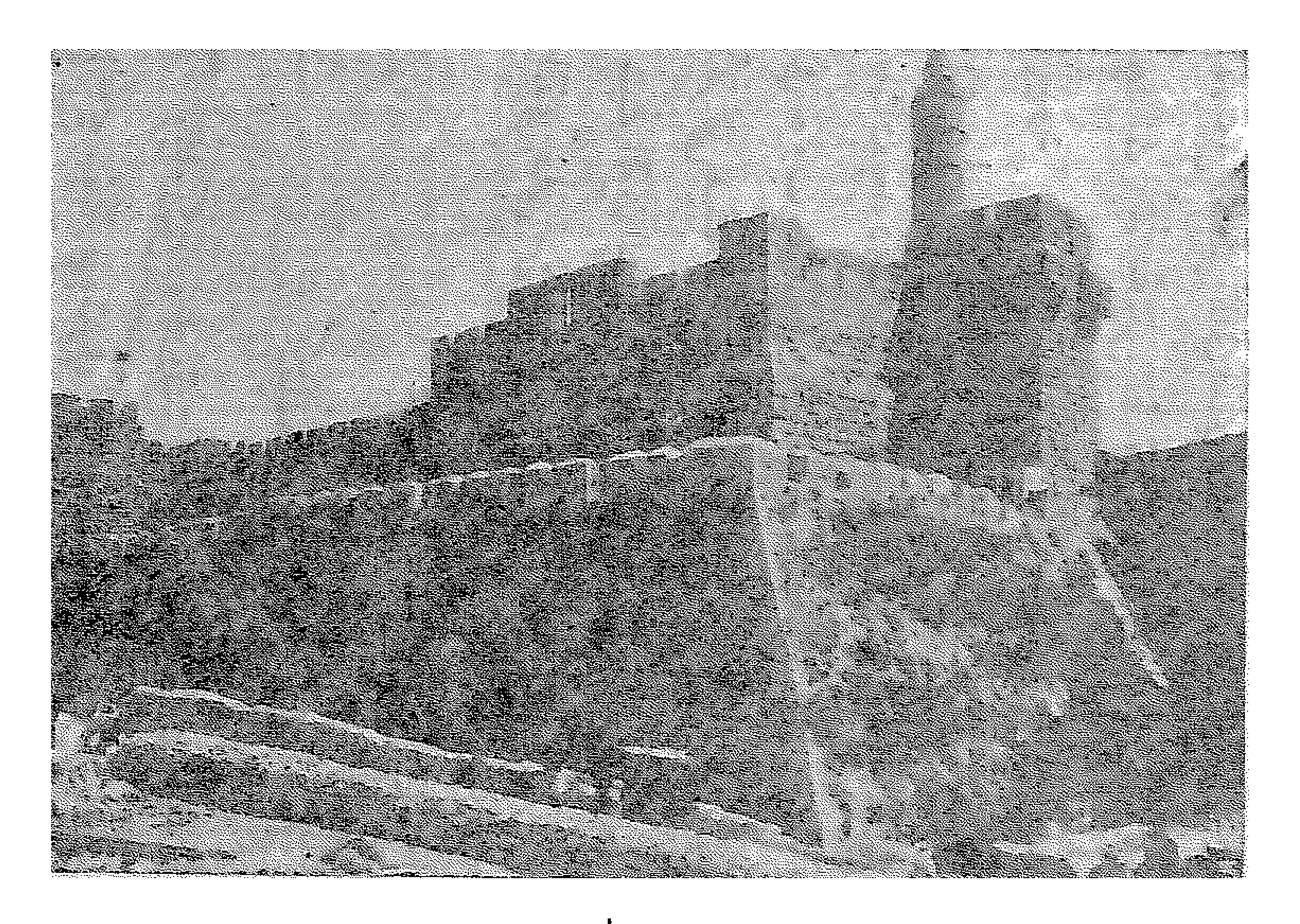
لا شك ان مدينة داود هو جبل صهيون نفسهُ وقد سُمّي باسم هذا النبيّ مذ استتب لهُ الملك وجعل هنالك عاصمة مملكته ومسكنهُ الشخصيّ . وحسبنا في ذلك عن الف شاهد قبر هذا النبيّ الكريم . فان الكتاب الشريف مع علماء اليهود ومؤرخيهم يتفقون اجمع على ان داود وسليمان واغلب ملوك يهوذا قد دُفنوا في صهيون « في مدينة داود » . ولما عاد الشعب من سبي بابل لم يعسر على المشائخ ان يتذكروا محل قبور الملوك كما تذكروا محل الهيكل السليمانيّ الجليل ولذا يراهـا محميا بلا تردد في صهيون

مدينة داود . وحتّى اواخر القرن الثاني قبل المسيح دخل الحبر يوحنا هركان هذه المقبرة الشريفة عساهُ يرى فيها ما يساعدهُ على استنقاذ المدينة في حصار انطيوخُس التقيّ . ثم خرق حرمة هذه المقبرة هيرودُس الاكبر طمعاً في كنوزٍ ربما يراها مدفونة هنالك . ولكي يسكّن حنق اليهود عن جسارتهِ وفعلتهِ هذه اقام لهم على قبر داود مقاماً بديعاً من الرخام الابيض . وبطرس الرسول في احدى عظاتهِ يذكر للشعب هذا القبر كامر قد اشتهر وشاع قائلًا : وقبرهُ الى اليوم بيننا (اعمال ٢ : ٢٩) ولذا عرف المؤمنون بمجرد معرفة هذا القبر جبل صهيون ومدينة داود كما عرفها اليهود في اجيالهم الغابرة . وعليهِ يذكرهُ لنا اوزابيوس وايرونيمس وغيرهما بلا ارتياب بل قد اقرّ وصرّح غير واحد من علماء الربيّين او الحاخاميّين انفسهم بان النصرانيّة قد ابتدأت في المحل عينهِ حيثما وضع داود النبيّ اساسات مملكتهِ ومجدها المتيد

— ١ —

برج داود

الى الجهة القبلة من باب يافا ترى القلعة وتُدعى عند النصارى برج داود قد احتلّها الفرس عام غزوتهم سنة ٦١٤ . ويخبرنا احد كتبة العرب من رهبان مار سابا وكان قد استأسرهُ الفرس انهُ رأى هناك معبدًا للمسيحيّين ومحرابًا للاسلام باسم



برج داود

الملك داود النبيّ . والحصن الحاليّ مع الفسحة امامهُ الى الشرق هو محل القصر الثاني الذي اشادهُ هيرودس الكبير لسكناهُ والى هنالك أتاهُ المجوس اذ اقبلوا يسألونهُ « اين المولود ملك اليهود » واستبقى هذا الحصن طيطس اذ حاصر المدينة وافتتحها وهدم فيها ودمَّر. ولكن جوليوس سيڤيرس بعدهُ قد خرّبهُ فاشادهُ بعد ذلك ادريانس وجعلهُ قلعة . ثم تخرّب منهُ شيءٌ كثير في حروب متوالية الى ان نقضهُ الخليفة المعتصم سنة ١٢١٩ فلم يُقَم على هيئتهِ الحاليَة الّا في عهد سليم الاوّل وسليمان الثاني اي في القرن السادس عشر. ما خلا الزاوية السُفلى لجهة الشرق القبليّ فهي من بقايا عمار ادريانس

— ٢ —

+ كنيسة الثلاث مريمات

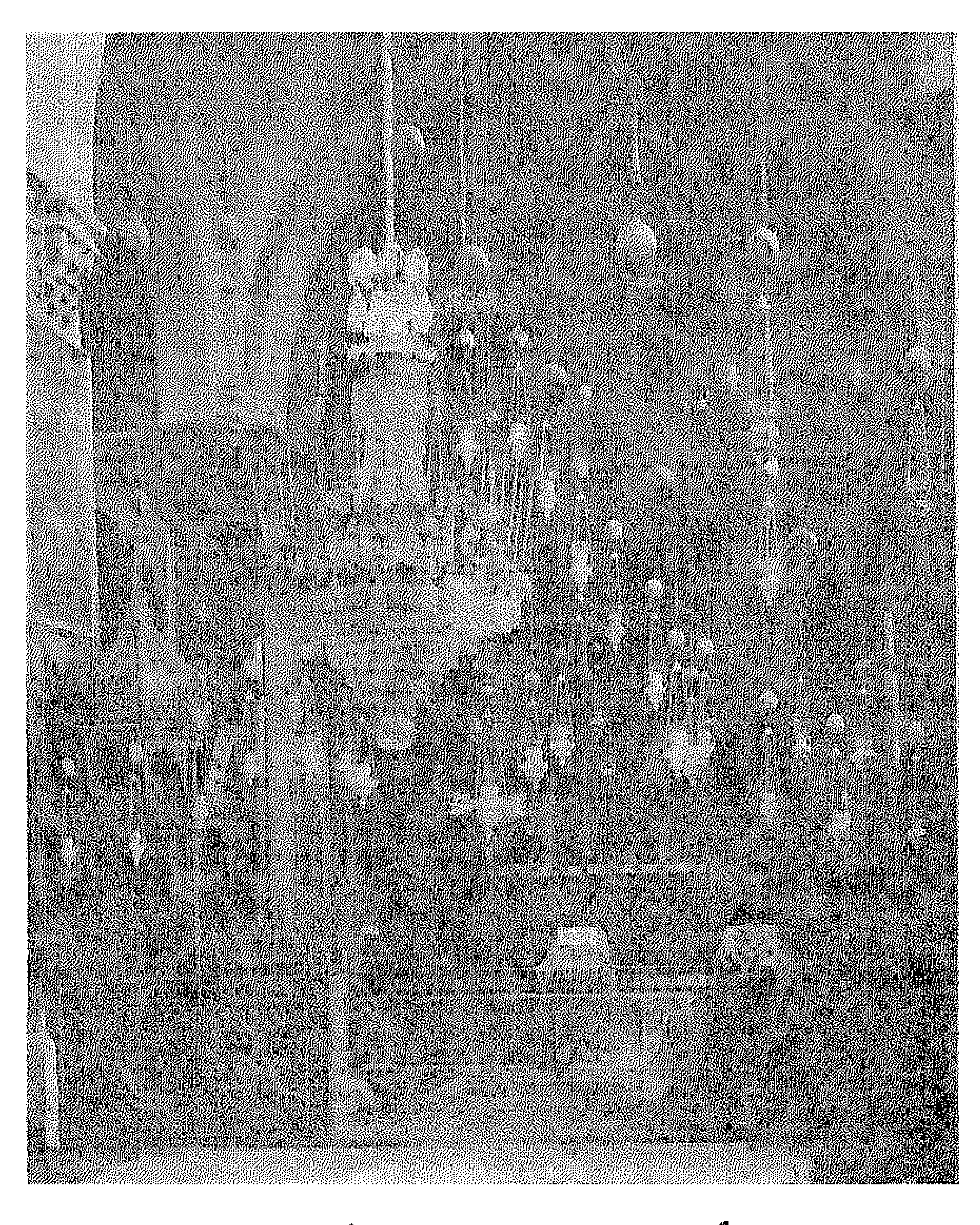
وراء كنيسة البروتستانت الانكليز المدعوة عندهم كنيسة المسيح القائمة على شرقيّ الفسحة لاجتماع المرتدين من اليهود ترى آثار كنيسة صغيرة حيث ظهر السيّد بعد قيامتهِ للمريمات وامرهنَّ ان يبشّرنَ بانبعاثهِ التلاميذ المجتمعين في العليَة الصهيونيَة

(متى ٢٨ : ٨ — ١٠) واخطأ مَن زعم انها كنيسة القديس يعقوب الاصغر اذ تلك بالاجماع على شرقيّ الهيكلِ حيث محل استشهادهِ تقريباً . ولمّا كانت كنيسة المريمات قد حُجزت فغابت عن اعين المؤمنين اعتادوا ان يستدلّوا على محلّها بحجر كبير في تلك الفسحة . والى الشمال نحو الجهة المقابلة مدخل الحصن ترى كنيسة اخرى قد جُعلت الآن بيتاً للسكنى

— ٣ —

☩ كنيسة القديس يعقوب الاكبر

بعد ان تتجاوز الموقف وتمشي في الطريق الى جهة القلعة تبلغ حارة الارمن حيث ترى الى اليمين بساتين البطركخانة . والى الشمال مدخل الدير والمقام البطريركيّ وكلّهُ للطائفة المذكورة . وفيهِ ايضاً كنيسة القديس يعقوب الاكبر . يُقال انها أُشيدت في المكان الذي استشهد القديس فيهِ وقُطع رأسهُ سنة ٤٤ للمسيح بامر هيرودس اغريبا الاوّل حفيد هيرودس الاكبر او ابن ابنهِ . واماً عهد الكنيسة فهي في الغالب من القرن الثاني عشر وقد ترمّمت في الثالث عشر . ولها قبّة تذكر في بنائها فهي



كنيسة القديس يعقوب الاكبر

قائمة على اربع دعائم ويحوطها ثمانية عقود وتستند على دعائمها من جهة وعلى الجدران من اخرى وقد زالت عن الدعائم الاعمدة الصغار ربما سنة ١٢١٩ فلم يبقَ الّا تيجانها واستحالت كل دعامة الى ركيزة مربعة مصفحة بألواح القيشاني الازرق الاسباني بعد ان كانت مجموع اعمدة لطيفة متعاضدة . والى الحائط الشمالي معبد صغير مستوفي الزينـة حيث قُطع رأس الشهيد . وفي الخورس عرش اسقفي قديم العهد يدعونهُ عرش يعقوب الرسول . والى القبلة باب تخرج منهُ الى الِبرتِكُس المسدود من جهتيهِ وهو مع ذلك يُذكّرك بفسحة كنيسة حسنة الهندام . والى الشرق ترى ثلاثة احجار مستّفة الاوّل أُتي بهِ من الاردن والآخر نُقل من طور طابور والأعلى من طور سينا

قد حضر بطريرك الارمن سنة ١١٤٢ المجمع الاورشليمي حيث اشتهر بايمانهِ الكاثوليكي وبعلمهِ وتقواهُ معًا حتى دُعي الكاثوليكي . وهو الذي بنى بعد المجمع هذه الكنيسة . وكان كل رهبانهُ من تابعي الايمان والحبر الروماني وسلطانهِ الأعلى . وكثيرًا ما دافعت الحكومة الاسبانيَّة عن هذه الكنيسة فانها كانت تحت حمايتها ولم يزل شعار المملكة عليها حتى القرن الثامن

عشر . وهنالك كان الاخوة الاصاغر يحتفلون كل سنة بعيد استشهاد القديس يعقوب الى سنة ١٨٧٠ حيث اغتنم بطريرك الارمن تلك الفرصة محتجًا بالحق وعرفان الجميل معًا ومنع اللاتين عن التمتع بحقوقهم المقرَّرة منذ السنين العديدة

— ٤ —

☩ معبد الملائكة وبيت حانان عظيم الكهنة

في دير الارمن هذا بعد ان تجتاز من الفسحة الكبيرة حيث المطبعة ومنزل الغرباء والمدارس للصبيان والبنات الخ الى فسحة ثانية نحو اليمين ترى مسكن الدارسين الاكليريكيين ومتحفًا صغيرًا ثم تبلغ اخيرًا الى دير الزيتونة حيث مقام الراهبات الارمنيات على اسم الملائكة القديسين وكنيستهنَّ القديمة منذ القرن الثاني عشر على آثار اخرى ربما اقدم منها عهدًا وهي في محل بيت عظيم الكهنة حانان حيث اقتاد الجند يسوع بعد ان قبضوا عليهِ في بستان الزيتون . فان حانان هذا كان حمو قيافا الذي كان عظيم الاحبار تلك السنة (يوحنا ١٣ : ١٣) وقد جاء عن يوسيفوس المؤرخ بان حانان كان عظيم احبار هو ايضًا وأقام في هذه الوظيفة تسع سنين الى ان عزلهُ الوالي غراتوس (سنة تسعة من تاريخنا

المسيحيّ) ولكن اذ كان غنيّاً ومكّاراً فتمكّن بخبثهِ ان يُقيم اولادهُ في هذا المنصب من بعدهِ اربع سنين متوالية ثم صهرهُ الذي لبث في الوظيفة تسع عشرة سنة . واماً هو فمع انعزالهِ لم يزل روح مجمع اليهود وذا اليد الطولى بينهم ولذا اقتاد الجند يسوع اليهِ اولاً . وجاء عن بعض الكتابات القديمة ان هذا المعبد قد أُقيم على اسم الملائكة لان هناك قد سترت وجوهها عندما صفع الخدم وجهَ فادينا القدوس . مماً يدلّ على ان التواتر العام اذ ذاك كان بانهُ تعالى قد لُطم في بيت حانان او انهُ سبحانهُ قد احتمل هذه الاهانة مرّتين . واما هذا التعبير « قد سترت الملائكة وجوهها » فكان عاماً بين آباء الكنيسة للدلالة على استقباح الفعلة الفظيعة . وفي خورس هذا المعبد الى الشمال حُجرة صغيرة مكرسة خصوصاً للسيّد القائم امام حانان . وان خرجتَ الى صحن دير الراهبات ترى هناك زيتونة عليها او على سالفتها في هذا المحلّ قد رُبط يسوع ولذا دُعي المكان كلهُ باسم دير الزيتونة . ومنهُ تجتاز في دهليز ضيّق ينتهي الى باب يقابل باب النبي داود ومنهُ تبلغ الى العليّة ولكن لا بدَّ للمرور فيهِ من اعطاء شيءٍ للراهبة او البواب

— ٥ —

باب النبي داود او باب صهيون

هو احد ابواب القدس حالاً وقد اشادهُ السلطان سليمان الثاني سنة ٩٤٧ للهجرة الموافقة (سنة ١٥٤٠ او ١٥٤١) وقد أُخذت حجارتهُ من السور القديم . ويُرى على احد طرفيهِ وراء الضرفة الحديديَّة حجرًا عليهِ كتابة لاتينيَّة من فرقة الجنود الثالثة لجو بيتر ذكرًا لاحدى نصراتهم في عهد تراجيانس سنة ١١٦ للمسيح

— ٦ —

+ ممرّ جنازة البتول الطاهرة

على اربعين خطوة من باب النبي داود ترى عن اليمين عمودًا الى الحائط تذكارًا للاعجوبة التي جرَت اذ كان الرسل الاطهار حاملين جنازة مريم البكر الطاهرة الى قبرها الشريف بقرب الجسمانيَّة . فانهم بينما كانوا مارّين من هناك هجم عليهم قوم من اليهود لايقاف الموكب الشريف فاوَّل مَن تجاسر على الحمل الطاهر يبسَت يدهُ للحال وعُميَت عيناهُ مع كل مَن معهُ فامتلؤوا جميعًا خوفًا واندهالاً وندموا على فعلتهم والتجؤوا الى هامة الرسل القديس بطرس فشفاهم الله بصلاتهِ . فآمنوا جميعًا



باب النبي داود او باب صهيون

بالسيّد المسيح وامهِ البكر الطاهرة وصاروا مسيحيّين . وقد هرع المؤمنون منذ الاجيال الاولى لتخليد هذه الآية الباهرة ذكرًا على توالي الاعصار . فقد ذكرها في القرن الخامس احد المؤرخين الارمن اذ قال : وراء المدينة في المحل الذي أوقف فيهِ اليهود جنازة العذراء وارادوا ان يمنعوا دفنها ترى قبّة على اربعة اعمدة من الرخام يعلوها صليب من نحاس . ثم تهدم هذا البناء ربما على عهد الفرس ولكن ذكرهُ لم يزل قائمًا بين المؤمنين . وقد جاء في مؤرخ آخر : والى هذا المكان عمود كبير يعلوهُ صليب حيث اراد اليهود الاستيلاء على جسمان البتول الطاهر . نعم اننا نرى بين الكتبة بعض الاختلاف في تحديد نفس المحلّ ولكن هــذا لا يزيد الحادث الّا تأكيدًا لشيوعهِ واجماع الرواة على نقلهِ وان اخطأ بعضهم في تعيين المحلّ

ومن هناك على عشرين خطوة تمرّ بكنيسة نياح البتول الطاهرة . وهي جديدة العهد يقوم بخدمتها البندكتيّون الألمان . ومنهــا على اربعين خطوة تبلغ الى مدخل العليّة الصهيونيّة او جامع النبي داود

— ٧ —

☩ العليّة الصهيونيّة

يُذكّرنا هذا المقام الشريف بحوادث مقدَّسة كثيرة اعظمها رسم السر الاقدس في العشاء الاخير ثم حلول الروح القدس على التلاميذ الاطهار . وها نحن نأتي بوصفها تباعاً بكل ايجاز ممكن

كان هذا المحل الجليل بيتاً لأحد الاغنياء من تلاميذ السيّد له المجد وقد اعدّ الرسولان بطرس ويوحنا هناك العشاء الفصحيّ وفق الناموس . وهناك قد غسل فادينا ارجل تلاميذهِ ليعدَّهم بانقى طهرٍ لسرّ الاسرار . وبعد ان اكلوا لآخر مرَّة الخروف الفصحيّ اتماماً للسنَّة الرمزيَّة شاء حمل الله قبل تضحية حياتهِ للآب الازليّ فداء عن البشر ان يمنحنا ذاتهُ القدوسة زاداً مُخلّداً فرسم سرّ الافخارستيا وذبيحة القداس الطاهرة . وهناك تنبأ بفمهِ العزيز على خيانة يهوذا الدافع ونكران بطرس السليح لمعلّمهِ الالهيّ ثلاثاً . ثم اضحت هذه العليّة المقدسة بعد موت المخلّص مجتمع المؤمنين . فهناك ظهر للرسل الاطهار مساء احد القيامة والابواب مُغلقة والى هناك عاد في الاحد التالي لتثبيت توما في الايمان .

العلّيّة الصهيونية

وهناك التأم الرسل والتلاميذ المائة والعشرين عددًا لانتخاب متيا رسولًا . وهناك حلّ الروح القدس بهيئة ألسنة نارية فقدّس الرسل وكمّلهم يوم العنصرة العظيم حتى خرج بطرس زعيمهم يكرز علنًا بالمخلص فأبدع في الخطاب فآمن لسماع كلامه ثلاثة آلاف نفس في الحال فنالوا العماد . وكانت لهم العلية اوّل الكنائس عهدًا واجلالًا وهناك اخيرًا قضت البتول الطاهرة نياحها السعيد واستودعَتْ روحها بين يدَي ابنها الوحيد فادينا الالهيّ

— لمحة تاريخية —

لم يذكر لنا الكتاب العزيز ولا احد المؤمنين اسم صاحب هذا المقام الشريف غير اننا اذ نرى الرسل والمؤمنين يتردّدون اليه ويجتمعون فيه كأنهُ يخصّهم اجمعين لا يبقى لنا من ريب بأنهُ كان لا شك من املاك احد التلاميذ الذين تخلّوا عن حطام هذه الدنيا وقدّموا امام اقدام الرسل كاما يملكون ليتوزع على العموم وفق الحاجة كما جاء في اعمال الرسل (٤: ٣٢—٣٥) ويخبرنا القديس ابيفانس بان هذا المحل الجليل لم يزل في يد المؤمنين حتى سنة ١٣٥ وكانوا يقيمون الصلاة في الكنيسة في الطابق الأعلى حيث اجتمع الرسل بعد صعود المخلّص في صهيون . فان هذه الجهة لم يمسّها ضرر حين تخرّبت المدينة . والقديس كيرلّس الاورشليميّ يذكر سنة ٣٥٠ هذه الكنيسة العليا فيدعوها كنيسة الرسل حيث

حلّ عليهم الروح القدس . ثم قد بنى المؤمنون كنيسة عظمى في القرن الرابع حزاء هذا المقام الجليل ــــ يذكرها المؤرخون وصفاً وتبييناً وهاك كلمات بعضهم فقد قال احد كتبة الارمن : كنيسة صهيون المقدَّسة هي على ميل من القيامة وطولها مائة ذراع في ٧٠ ذراعاً عرضاً تقوم على ثمانين عموداً مرتبطة معاً بالقناطر بلا عقد بل بسقف من خشب مُعلَّق فيهِ اكايل الشوك وينحدر على رأس المخلّص . والى يمين الكنيسة ردهة الاسرار يعلوها قبّة من خشب قــد رُسم عليها العشاء السيّديّ وهناك هيكل للذبيحة الليتورجيّة. وآخر يقول سنة ٣٩٢ : ان كنيسة صهيون الجبل المقدَّس تدلّ بوضوح وتشهد بجلاء بان المسيح قد اكل الفصح السنّيّ في القاعة الفوقيّة يوم فصح اليهود . وغيرهُ سنة ٤٣٨ يقول : ان العشاء الاقدس قد رُسم في عليّة صهيون على ان هذا البناء قــد تهدَّم سنة ٦١٤ ولكنهُ قد ترمَّم بعد ذلك بقليل اذ يذكر احدهم انهُ رآهُ قائماً سنة ٦٧٠ وقد تهدَّم ايضاً سنة ١١٠٢ ولكن الصليبيّون لم يتأخروا عن ارجاعهِ الى حالتهِ الاولى . فان احد المؤرخين يشهد سنة ١١٦٠ بانهُ رأى الطابق الأعلى حيث كان العشــاء الاخير والادنى حيث كان غسل ارجل التلاميذ . ثم يتلو بان في الكنيسة المبنيَّة الى جانبهِ الايمن ترى صورة العشاء وفي العقد القائمة عليهِ ترى صورة غسل السيّد ارجل التلاميذ . وكانت هذه الكنيسة المشادة على اسم عذراء صهيون مع العليّة باسم حلول الروح القدس في حوذة قانونيّ القديس اغسطينس حتّى القرن الثاني عشر وقام على حراستهما بعدهم برهــةً من الزمان رهبان السريان . ولمّا

تخرَّبت الكنيسة سنة ١٢١٩ مع اكثر مقادس اورشليم تحت العليَّة وكنيسة القيامة من الدمار كما يشهد مؤرخو ذلك العصر . وفي المعاهدة التي تقرَّرت على عشر سنين بين الملك الكامل وفريدريك الثاني سنة ١٢٢٨ أسرع الاخوة الاصاغر لاغتنام هـذه الفرصة للاستيلاء على المقادس باسم الحبر الاعظم غرغوريوس التاسع كما يتضح جليًّا من منشوره الرسوليّ الذي انفذهُ الى بطريركي انطاكية واورشليم بتاريخ اول شباط سنة ١٢٣٠ . ولمَّا قُتل الاخوة الاصاغر عن آخرهم سنة ١٢٤٤ ارسل الرئيس العام اذ ذاك سواهم في محلّهم بعد قليل اذ نرى فرمانًا باسم الخليفة ركن الدين بيبرز الثاني بتاريخ يوافق ١١ تموز سنة ١٣٠٩ بهِ يُثبّت لاخوة الحبلة حقّ التملك على مقادس صهيون والقيامة وبيت لحم استنادًا على ما مُنح لهم من سلفائهِ . ولكي يستتبّ لهم تمام حريّة التصرف هناك بلا معارض التجأ روبرتس دانجو ملك سيجيليا (صقلية) وقرينتهُ صنجا الى الخليفة محمد الناصر سلطان مصر والشام فابتاعا منهُ باثني وعشرين الف دوكاً كل الارض المحيطة بالعليَّة بما فيها من آثار كنيسة او دير ووهباها للكرسيّ الرسوليّ بشرط ان يتركها في يد الاخوة الاصاغر مؤبدًا وقبِل البابا اكليمنضس السادس هذا الشرط وايّدهُ بمنشورهِ (Nuper carissimi) المؤرخ في ٢١ ت ٢ سنة ١٣٤٢ وحينئذٍ جدَّد هؤلاء الرهبان بناء العليّة على ما ترى الآن تقريبًا . وفي خروجك من جامع النبي داود تأخذ اول طريق تراهُ عن شمالك فيبلغ بك الى عمار الالمان الجديد وفيهِ

— ٨ —

☩ كنيسة نياح العذراء

لا شك ان الدار التي تحتوي على عليَّة فسيحة كعليَّة صهيون تستلزم مخادع أُخر وصحن دار او ساحة وغير ذلك من المنافع الاعتياديةً في كل بيوت الاغنياء في ذاك العصر من اليهود او الرومانيّين . ولا شك ايضًا بان دار العليَّة مع كل ملحقاتها ومنافعها اضحت بعد صعود السيّد الى السماء للرسل الاطهار او بالحري لعموم المؤمنين وان مريم البتول قد لازمَت ذلك المحل وفيهِ قضت آخر حياتها . فلا بدع ان تكون قد انحازَت الى جهة من هذه الدار الفسيحة حيث تمّ نياحها السعيد . وكثيرًا ما جاء في كتبة الاعصار الاولى عن هذا المحل الشريف انهُ كان معروفًا مكرَّمًا بين المؤمنين في اورشليم بقرب عليَّة صهيون . وقد ابتاع هذه الارض غليوم الثاني فوهبها للالمان الكاثوليك فاشادوا فيها بمساعي جمعيَّة فلسطين الكاثوليكيَّة في كولونيا (المانيا) كنيسة مستديرة على مثال كنيسة آكس لا شابيل الشهيرة فوق عقد سفليّ هو ذاتهُ بناء فاخر على احسن هندام والى جانبها دير مستوفي الانتظام . وعُهد الدير والكنيسة للآباء البندكتيّين الالمان

فاستلموهُ في ٢١ آذار سنة ١٩٠٦ . ومن هنالك تعود نحو باب النبي داود في طريق بين سور المدينة شمالاً ومقابر الروم والارمن واللاتين يميناً فتدخل فسحة الارمن حيث ترى مقبرة بطاركهم القديمة وهناك

— ٩ —

☩ حبس المسيح في دار قيافا

فان الجند بعد ان ألقوا القبض على يسوع في بستان الزيتون واخذوهُ الى دار حانان استاقوهُ بعد ذلك ليلًا الى دار صهرهِ قيافا الذي كان عظيم الاحبار في تلك السنة . فسألهُ عن بعثتهِ وتعليمهِ وزعم انهُ جدَّف فحكم عليهِ بالموت . وكان بطرس آن هذه المحاكمة في الفسحة الخارجة او السفليَّة حيث نكر معلّمهُ الالهيّ ثلاثاً . ثم أُسلم السيّد لاهانة الخدم والجنود انتظار الفجر كي يقدّموهُ امام المجمع (يوحنا ١٨ : ٧ — ١٢ ولوقا ٢٢ : ٥٤ — ٦٢) وقد ذكر المؤرخون هذا المحل منذ القرن الرابع والخامس وما يليهما حتى الثاني عشر والثالث عشر . فمَن قال انهُ يُشاهَد من عليَّة صهيون ومَن قال انهُ بالقرب من محلّ نياح العذراء . وقال غيرهم انهُ الى شماليّ جبل صهيون . وكل الروايات

على اختلافها اسلوبًا تراها في طباق تام للحقيقة . وكان بين آثار دار قيافا عمود قد رُبط عليهِ يسوع انتظار الفجر وقيل انهُ جُلد ايضًا عليهِ فنُقل الى كنيسة صهيون فوُضع الى جهة بابها . واذ تهدَّمت هذه الكنيسة وانكسر العمود في غزوة الفرس الى نصفَين فبقي نصفهُ في كنيسة صهيون ونُقل النصف الآخر الى كنيسة دار قيافا . ومن هذا الحبس الى الشمال ترى ارضًا مرصوفة بالفسيفساء القديمة وهي لا شك من بقايا كنيسة مار بطرس العظمى وقد جاء ذكرها فيما كتبهُ المؤرخون . واذ قدم الصليبيّون لم يرَوا منها الّا اطلالًا دارسة . وقد اشاد الارمن على جزء منها معبدًا صغيرًا . ومن هناك تجتاز فسحة الى الشمال ايضًا فترى معبدًا قديمًا يُدعى حبس المسيح وهو المكان حيث وضعهُ الجند مربوطًا الى الفجر وقد أُشيد عليهِ مقامًا مربّعًا يشابهُ كثيرًا معبد التكليل بالشوك في القشلة امام كنيسة حبس المسيح في ايوان بيلاطس الّا ان هـذا بلا قبّة . وعلى الهيكل قطعة من الحجر الكبير الذي دُحرج على باب قبر الخلاص

— ١٠ —

✝ مبكى القديس بطرس

قد ذكر الكثيرون من قدماء الكتبة مغارة جليلة قد انحاز اليها هامة الرسل بعد انكارهِ معلّمهِ الالهيّ فانفرد يبكي ذلتهُ بالدموع السخينة وكلّهم يعيّنون موقعها بالقرب من سور المدينة لجهة الباب النافذ الى جوار الهيكل على مائة خطوة من دار قيافا ولم تزل محلّ اجلال وصلاة لدى المؤمنين . ويُرى فيها آثار الفسيفساء وبعض انقاض العمار حولها . ولكن اذ كان بابها واقعاً في آخر مزرعة او ارض مفلوحة وليس طريق يوصل اليها يصعب زيارتها على الراغبين

وقد ابتاع حديثاً الآباء الصعوديون والاخوة الاصاغر ورهبان الارمن اراضي فسيحة الى جبل صهيون لجهة الشرق وباشروا فيها حفائر متتابعة انتظاميةً وكلها تؤكد باجلى وضوح موقع مدينة الملك والنبي الكريم صاحب المزامير وآثار عهد السيّد المسيح وما كانت عليهِ اورشليم في ذلك الزمان . ثم ترجع الى المدينة من باب النبي داود فبعد ان تمرّ بكنيسة القديس يعقوب الاكبر التفت لاوّل زقاق تراهُ الى اليمين تجد حائطاً وبناء

مسندًا بالاخشاب وهو محل كنيسة قديمة كانت تدعى كنيسة القديس توما للالمان وقد جُعلت مرارًا بعد سفر الصليبيّين جامعًا فلم يلبث قطّ قائمًا

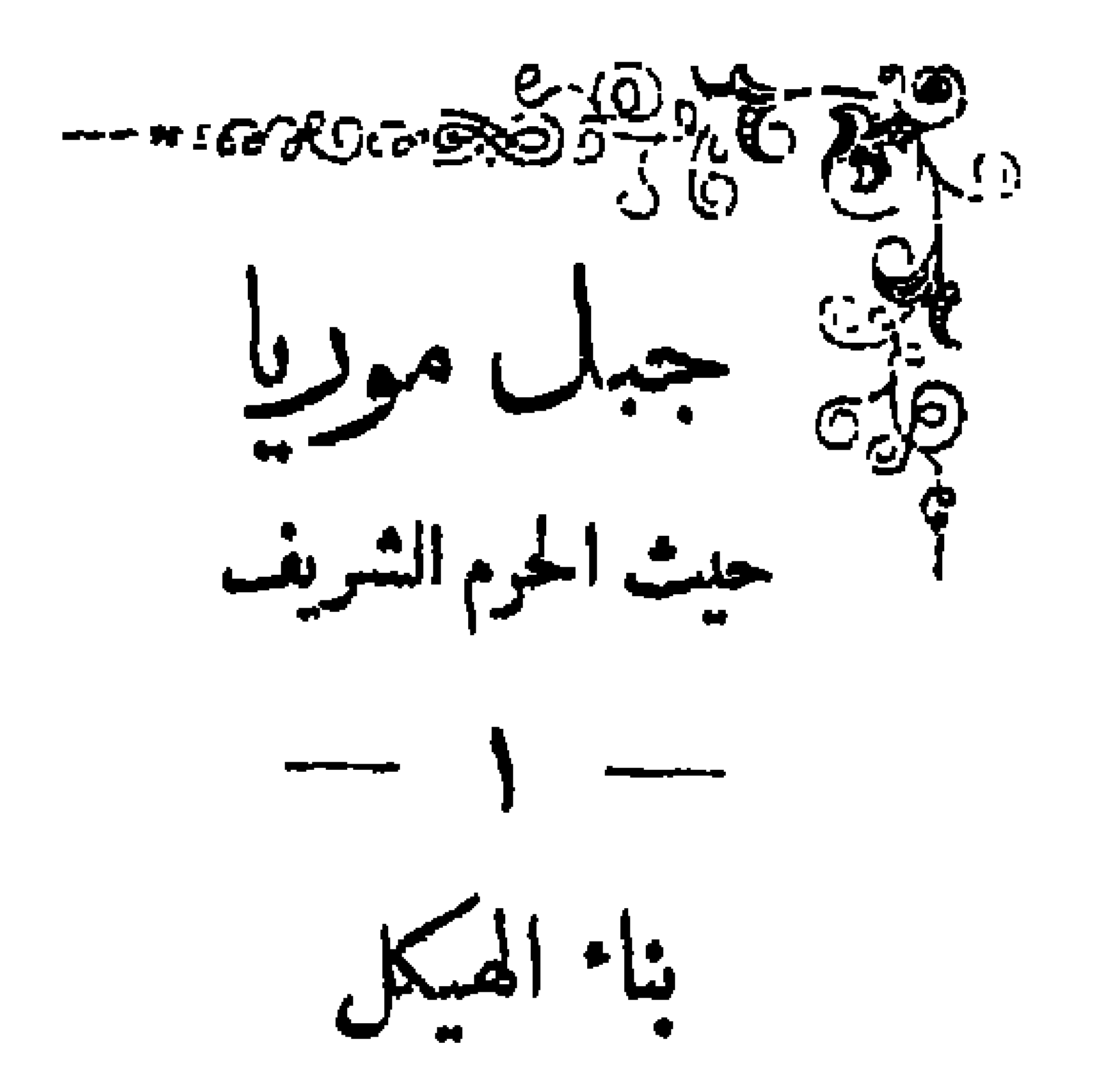
ومن كنيسة القديس توما المذكورة الى ١٨٠ خطوة نحو الشمال الشرقيّ تبلغ الى دير السريان اليعقوبيّين حيث يقيم اسقفهم وهو المحلّ حيث كان

— ١١ —

✝ بيت مريم ام يوحنا مرقس

فانك ترى امامك بعد الحضير كنيسة على البيت الذي كانت تسكنهُ مريم ام يوحنا الملقَّب بمرقس والى هناك ذهب بطرس بعد ان انقذهُ ملاك الرب من الحبس والقيود فقرع الباب فخرجت الخادمة لتفتح لهُ واذ علمت من صوتهِ انهُ هو عادت مُبشِرةً اهل البيت بقدومهِ وتركتهُ ينتظر خارجًا (اعمال ١٢ : ٣ — ١٧) وهذه الكنيسة الحالية هي من بنايات القرن الثاني عشر قد أُقيمت على آثار اخرى قبلها ربما كانت منذ القرن السادس وعلى هيكلها ترى ايقونة لمريم البتول بديعة الصنع

قديمة العهد . وهناك ايضاً حوض معمودية رخامي قد أقيم على ما يُقال تذكاراً لعماد مريم البتول في ذلك البيت . ولا مانع بان تكون البكر الطاهرة قد خضعت للعماد فقد تعمّد ابنها يسوع بيد يوحنا . ولكننا لا نرى اثراً لهذا التواتر قبل القرن الخامس عشر



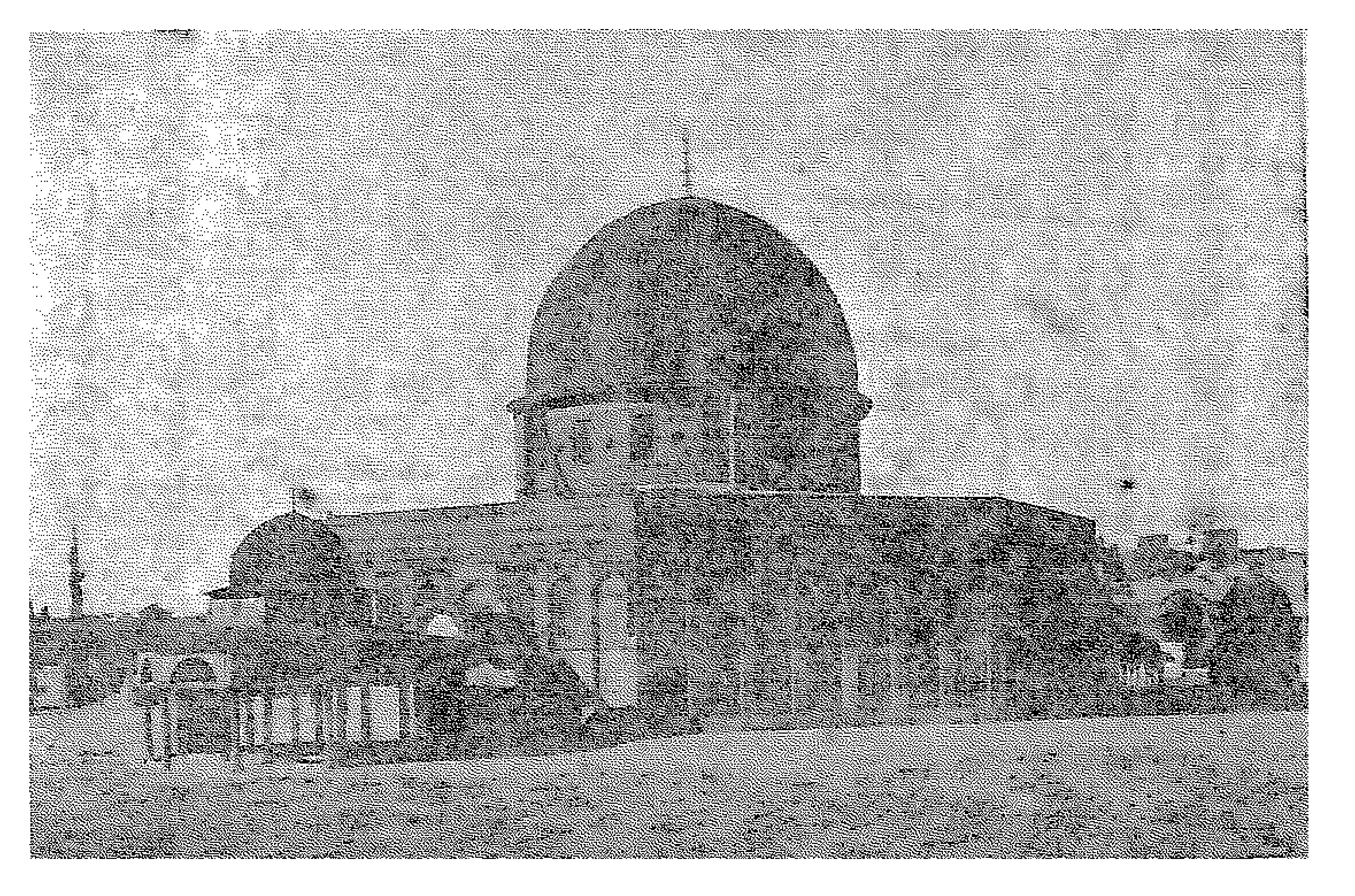
جبل موريا

حيث الحرم الشريف

— ١ —

بناء الهيكل

ان جبل موريا هو ارتفاع متطاول يحدّهُ الى الشمال صخور بيزيتا والى الشرق وادي قدرون والى الغرب وادٍ آخر يقابلهُ وكلاهما مجتمعان عند مؤخرهِ القبلي اذ ينتهي على شكل زاوية محددة . وكان هذا المكان على عهد النبي داود لليابوسيين قد تملّك عليهِ رجل يُدعى أَرَوْنا وقد جعل اعلاهُ بيدراً لدراس الحنطة .



واجهة الحرم الشريف

ولمّا امر النبي في اواخر سني ملكهِ باحصاء شعبهِ وأرسل الله عليهِ الطاعون قصاصاً لكبريائهِ . كان يوماً يرفع عينيهِ ملتفتاً نحو هذا الجبل فرأى فوقهُ ملاكاً قد استلّ سيفهُ على المدينة فتاب داود الى ربّهِ وصعد خاشعاً الى الجبل فابتاعهُ من أرَونا اليابوسيّ بخمسين مثقالاً من الفضة وقدّم هناك ذبائح الاستغفار (٢ ملوك ٢٤) ومن ذاك الحين أعدّ جبل موريا لهيكل العليّ الموكول بناؤه الى سليمان بن داود وخليفتهِ . ولمّا كان اليهود أميّين في صناعة البناء بعث سليمان الحكيم الى حيرام ملك صور لينفذ اليهِ البنائين الماهرين والصيّاغ والنجّارين مع كلما يقتضي لبنيان ذلك الهيكل البديع مما لم يُرَ مثالهُ قطّ فابتدأ العمل سنة ٩٦٦ ق . م . واستمرّ سبع سنين وستة اشهر بهمة ونشاط لا مزيد عليهما . فدشّن سليمان الملك هيكل الرب وبنى الى الجهة القبليّة القصور الفسيحة لسكناهُ مع اسرتهِ وحرسهِ وللكهنة واللاويّين القامين لخدمة الدين . في ذلك الهيكل العظيم الذي لم يزل يتزايد ابّهة وجمالاً على عهد سليمان وخلفائهِ من بعدهِ الى ان احرقهُ وخرّبهُ بختنصر سنة ٥٨٨ ق . م . ولمّا أخذ في تجديدهِ وأُشيد ثانيةً بعد الرجوع من سبي بابل سنة ٥٣٦ ق . م . كان المشائخ الذين قد عرفوا الهيكل

الأوّل بعزّهِ وجمالهِ لا يتمالكون من البكاء والنحيب لما يرون من التفاوت العظيم بين القديم والجديد . فان هذا كان دون ذاك ابّهة بما لا يقدّر . ولمّا اراد هيرودس تجديدهُ سنة ١٧ ق . م . ليحبّب نفسهُ لدى اليهود استحضر لذلك عشرة آلاف عامل ورفع المقام الداخليّ في ثمانية عشر شهرًا والباب ومتعلقاته في ثماني سنين واما المخادع والاروقة حولهُ فلم ينجز بناؤها الّا سنة ٦٤ للمسيح وكان القائمون بالعمل اذ ذاك ثمانية عشر الف عامل

— ٢ —

موقع الهيكل وترتيب مشتملاتهِ

لم يكن الهيكل السليمانيّ الّا بنيان رَحِب شامخ يشابهُ في هندامهِ الخباء حيث كان تابوت العهد وهذا الخباء لم يكن الّا فسحة رحبة مكشوفة امام خيمة مقسومة الى مخدعَين . واذ لم يكن عند الفينيقيّين هندسة مخصوصة بهم اخذوا في بناء الهيكل السليمانيّ عن هندام المباني المصريّة والاشوريّة . وكان البنيان على قمة جبل موريا مربّعًا مدعوم الاطراف بحجارة ضخمة يمتدّ على نحو مائة وثمانين مترًا طولًا ومثلها عرضًا . وقد وسّع هذه

المساحة هيرودس من الطرفَين قبلةً وشمالاً . ولنتَّخذنَّ الآن الصخرة الواقعة تحت قبَّة الجامع نقطة ابتدائيَّة نستند عليها في تشخيص الهيكل الاورشليميّ على ما كان في ايام السيّد المسيح

فعلى هذه الصخرة المذكورة كان هيكل المحرقات مكشوفًا تحت السماء مصفحًا بالنحاس وعليهِ كانت تُحرق الذبائح للرب صباحًا ومساءً . وكان موقعهُ في وسط ساحة تدعى دار الكهنة . وهو فضاء رحب مرتفع داخليّ مختصّ بالكهنة واللاويّين ومَن جاء من الشعب بالذبائح والقرابين . وفي هذه الفسحة الرحبة كان البحر النحاسيّ وهو كناية عن حوض كبير من نحاس مسبوك يقلّهُ تماثيلِ الثيران العظام المسبوكة من نحاس ايضًا وهي اثنا عشر تمثالاً . ومدخل هذه الفسحة من الشرق والقبلة والشمال حيث ترتفع ثلاثة ابواب شامخة تقارب شبهًا واجهات هياكل المصريّين . ويوصل هذه الابواب معًا الاروقة والمخادع على الطرفَين . والى غربيّ دار الكهنة قدس الاقداس يُرقى اليهِ على سلالم حجريَّة فترى الى يمينك ويسارك عمودَين مسبوكَين من النحاس الصافي يبلغ كل واحد الثلاثة عشر مترًا علوًا ويُدعى الايمن « ياكين » اي الله يبني والايسر « بُوعز » اي الحول بهِ .

وكانا هناك لحوض الزينة وامامهما الى الغرب الباب الكبير او الواجهة المكونة من عضاضتين او حصنين منيعين على اثني وثلاثين مترًا علوًّا . واليهما واجهة المقدس ومدخلهُ الاعظم على عرض عشرة امتار وعمق خمسة ومنهُ تدخل فسحة طولها عشرون وعرضها عشرة أمتار وخمسة عشر علوًّا وهي القدس وفيها هيكل البخور حيث كان يدخل الكاهن مرَّتين كل يوم لتقدمة العطور . وهناك ايضًا الموائد الخمس الذهبيَّة يُوضع فوقها خبز التقدمة . والمنائر العشر الذهبيَّة المسبَّعة الشُعَب بسُرُجها الذهبيَة ايضًا على كل شعبة . ففي هذا المكان ظهر ملاك الرب لزكريًّا فبشرهُ بميلاد السابغ يوحنا الحصور (لوقا ١:٥ — ٢٢)

وبعد هذا تدخل اخيرًا الى قدس الاقداس او المحراب . وهو كناية عن غرفة مربَّعة على عشرة أمتار طولًا وعرضًا وهو مظلم تمامًا بلا كوة ولا نافذة وهناك كان مقرّ تابوت العهد المحتوي على لوحَي الوصايا وسفط المنّ وعصى هارون . وكان هذا التابوت قبل السبي البابليّ موضوعًا على مائـدة ذهبيَّة تحت جناحَي الكاروبين يُظلّلانهِ يمنةً ويسرةً الّا انهُ فُقِد بعد ذلك فلم يعثر اليهود عليهِ عند رجوعهم من السبي . ولم يكن لاحد

دخول قدس الاقداس (حيث كان مقرّ الجلال الصمدانيّ على الارض) ما خلا عظيم الكهنة مرة واحدة في السنة. ولم يكن فاصل بينهُ وبين بيت المقدس الادنى الّا حجاب حريريّ موشّى وهو الذي انشقّ الى نصفَين من فوق الى اسفل اذ اسلم فادينا الروح على الصليب (مرقص ١٥ : ٣)

واماً فسحة الشعب فهي حول دار الكهنة تختصّ باليهود فقط الى الجهة الشرقية وفيها مكان محفوظ للنساء واليهِ الباب الشرقيّ الذي يُصعَد اليهِ بخمس عشرة درجة الى دار الكهنة وعنها ترتبت المزامير الخمسة عشر المدعوة (graduales) «اي المراقي» ومن هذا الباب قد دخلَت مريم البكر الطاهرة يوم قدَّمَت يسوع للهيكل على يدِ سمعان الشيخ الذي سبّح العلي اذ ذاك بنشيدهِ الشهير: «الآن اطلق يا رب عبدك بسلام» (لوقا ٢ : ٢٢ — ٣٨). وقد ذكر علماء اليهود هذا الباب فقالوا بانهُ كان من نحاس وكان يقتضي لهُ قوّة عشرين رجلًا لفتحهِ. وقد انفتح من نفسهِ قبل خراب بيت المقدس باربعين سنةً وهي السنة نفسها التي بهــا باشر فادينا الالهيّ بالوعظ والتبشير. وخارجاً من هذا الباب كان يُعلَّق على الجدار صندوق اوخزانة

لجمع الحسنات وهناك صادف يسوع تلك الارملة التي وضعت في تلك الخزانة فلسَين فمدح سخاءها وعيّر بها الاغنياء (لوقا ٢١ : ١ — ٤)

والى الجهة الشماليَّة من دار الكهنة كانت القاعة الفسيحة حيث اجتماع المحفل من علماء اليهود حتى عهد السيّد المسيح وهناك ادهش لذكرهِ السجود وهو في الثانية عشرة من عمرهِ الكتبة والمشائخ من علماء الناموس بتعاليمهِ السامية . وهناك ايضاً قدَّموا لهُ تعالى تلك الامرأة الخاطئة مدَّعين بوجوب رجمها وفق ناموس موسى فخلَّصها من ايديهم (يوحنا ٨ : ١ — ١١)

وحول فسحة اسرائيل الى الجدار فناء آخر يُدعى فسحة الامم حيث يجوز دخول اي شاء من الملل الغريبة وهناك كتابات باليونانيَّة واللاتينيَّة والعبرانيَّة تُعلِن وتنبّه كل غريب عن ديانة اليهود بالَّا يتجاوز ذلك المكان متقدماً الى داخل المقام حيث لا يجوز الدخول الَّا لبني اسرائيل دون سواهم ومَن تعدَّى هذا الحد يستوجب القصاصات الشديدة . وقد وُجد في اورشليم واحد من هذه الاعلانات باليونانيَّة وهو الآن في متحف اللوفر في باريس

والى شرقيّ فسحة الامم كان مجال آخر فسيح حيث دكاكين الصيارف والتجّار وباعة الحمام ويُدعى لذلك بالحانوت . وقد اكتشف احد مشاهير الاثريّين اساساتهِ من عهد ليس ببعيد على ١٥ او ١٩ مترًا من شرقيّ الحرم الشريف وهناك كان محل باعة الثيران والغنم والحمام مع بضائعهم مما يقتضي للذبائح والقرابين والمحرقات كما وبائعي الزاد ايضاً كالحبوب والبقول وغيرها من المأكولات . وكان عدد الباعة يتكاثر في المواسم والاعياد فيتطرقون الى الداخل نحو اروقة الامم ويبلغون احيانًا حتى فسحة بني اسرائيل . ولذا لمّا رآهم يسوع يوماً ضفر سوطاً من حبل وطردهم بهِ فاخرجهم جميعاً الى الحانوت حيث مقرهم المخصوص بهم ووبخهم على تعدّيهِ (يوحنا ٢ : ١٣ — ١٧) وربما الى هذه الجهة كان الباب المدعو بالحسن او الجميل الذي يدعوهُ احد الربيّين باب عزرا حيث شفى هامة الرسل يوماً باسم يسوع ذلك المخلع والقى ذلك الخطاب البديع في لاهوت فادينا المصلوب (اعمال ٣ : ١ — ١١)

وكان يسوع يتردَّد كثيرًا الى الهيكل للصلاة او لتعليم الشعب او لمناظرة الفريسيّين فهناك قال يوماً علنًا : انقضوا

هذا الهيكل وانا في ثلاثة ايام اقيمهُ . واعني بذلك عن هيكل جسدهِ (يوحنا ١١ : ١٩) ومرَّة اذ كان تلاميذهُ يعجبون من جمال هذا البناء اجابهم عن قريب لا يبقى من كلما ترونهُ حجر على حجر الَّا سيهدم . وقد تمَّت هذه النبوة فعلًا في عهد تيطوس

واستمرّ الهيكل قاعًا صفصفًا نحو خمس وستين سنة اي الى سنة ١٣٥ حيث بنى ادريانس على آثارهِ معبدًا ليوبتر . وهذا ايضا لم يبقَ كثيرًا حتى تهدَّم فان احد المؤرخين يعلمنا بانهُ لم يرَ منهُ سنة ٣٣٣ الَّا اطلالًا دوارس . ولمَّا أذن لليهود الامبراطور جليانس الجاحد ان يجدّدوا بنيان هيكلهم ليكذب بذلك نبوة فادينا الالهيّ اسرع الشعب الى العمل بهمَّة لا مزيد عليها ولكن مساعيهم ذهبت ادراج الرياح لما كان يعارضهم من الزلازل وانبعاث النيران بين ايديهم حين العمل كما يشهد عدد من المؤرخين . وهذا ما حمل المسيحيّين على كراهة هذا المقام الجليل والنفور من الدنو منهُ

— ٣ —

الجامع العمريّ

قد ابتدأ الخليفة عبد الملك ابن مروان بانشاء هذا المقام

البديع والجميل سنة ٦٨٨ ودعاهُ قبة الصخرة واكملهُ المأمون من بعدهِ سنة ٨١٣ . ثم تخرَّبت القبَّة بالزلازل فرمَّمها عليّ الظاهر سنة ١٠٢٢ . وربما دُعي هذا المقام بالجامع العمريّ اجلالاً للخليفة عمر الفاتح الذي كان اوَّل مَن زار هذا المكان سنة ٦٣٥ وابتدأ بتنظيفهِ مما كان متجمعاً هناك من الانقاض والاقذار ومهّدهُ وصلّى فيهِ وهو قاعاً مكشوفاً تحت السماء

وفي عهد الصليبيّين جُعل كنيسة دُعيت هيكل الرب ولكنهم لم يغيّروا شيئاً في بنائهِ سوى انهم وشّحوا الصخرة بالمرمر وجعلوا فوقها الهيكل الكبير وكان يقوم بخدمتها زمرة من القانونيّين قد أُنعم على رئيسهم بامتياز التاج وبقي الحال على ذلك الى سنة ١١٨٧ اذ استرجع صلاح الدين المقسام ورمّمهُ وزيّنهُ سنة ١١٩٤ . واحتاج بعد ذلك الى ترميمات أُخر فقام بها محمد بن قليون سنة ١٣٢٧ والسلطان سليمان الثاني في القرن السادس عشر

امَّا المكان القائم في وسطِ الجامع المذكور ومشتملاتهُ فهو رصيف فسيح غير منتظم التربيع يعلو ما يحيط بهِ من الارجاء فيُرقى اليهِ من اركانهِ الاربعة اي شرقاً وغرباً وقبلةً وشمالاً بثماني درجات واسعة عريضة تقوم على كلٍ من الجوانب الاعمدة

والقناطر ثلاثاً ورباعاً واليهـا المداخل الاربعة المتقابلة وتُدعى بالموازين وتشخّص لنا تقريباً ابواب الهيكل السليمانيّ الاربعة . وامّا الجامع نفسهُ فهو بناء مثمَّن الاضلاع يبلغ قطرهُ اربعة وخمسين متراً ويعلوهُ قبة مستديرة قياس قطرهـا اثنان وعشرون متراً ونصف واربعة وثلاثون متراً ارتفاعاً عن وجه الحضيض وفوقها الهلال وطولهُ ثلاثة أمتار . وامّا مداخل الجامع فاربعة ايضاً الى الاركان الاربعة على مقابلة الابواب الاربعة او الموازين . والجدار المثمَّن الاضلاع مرصوف بالرخام من خارجهِ الى علو خمسة أمتار على الدائر اجمع وربما كان محاطاً بالاعمدة من كل جهاتـهِ كما يستدلّ من اعمدة الابواب القائمة حتَّى الآن . والى اعلاهُ صف من الشبابيك رسم البركار مرصوفة بالقيشاني الازرق وكانت في الاصل هذه الشبابيك مزدوجة يعلو كلاًّ منها قنطرتان مستديرتان تستندان الى عمود لطيف في وسطها والكل مرصوف بالفسيفساء التي ظهرآثارها عندما رمَّمها السلطان سليمان الثاني . والى قاعدة القبَّة ايضاً صف آخر من النوافذ المستديرة الاقواس المدبَّجـة بالقيشاني المكتَّب باحرف بيضاء على الازرق اللامع الحسن المنظر. وامّا القبَّة نفسها فهي منحدرة قليلاً نحـو قاعدتها ومحددة نوعاً عند رأسها وكلها مصفحة بالرصاص . وفي الجملة فهو جامع لطيف لا ينقصهُ شيء من الابّهة والجمالـــ لولا ان قبَّتهُ اعظم من ان تناسب كبراً البناء المرتفعة هي عليهِ

والى الشمال الغربيّ من الجامع بناء صغير لطيف مثمَّن الاضلاع ايضًا باعمدة وقبّة ويظهر انه كان في الاصل مفتوح الجوانب بين اعمدته وعليهِ كتابة عربيّة تشعر بانهُ ترمم سنة ١٢٠٠ وعلى ما يلوح لنا انهُ مقام قد أُنشئ لمنح المعموديَّة امام هيكل الرب في عهد الصليبيِّين . ويؤيّد ذلك حوض يُشاهَد حتى اليوم الى شماليّ البناء المذكور

ويُرى ايضًا حذاء باب الجامع الى الشرق بناء آخر في غاية الهندمة والانتظام البديع وهو لا شك من بنايات القرن الثامن ويُدعى محكمة النبي داود او قبّة السلسلة مسدَّس الزوايا يقوم على دائرتَين من الاعمدة على مركز واحد . فالدائرة الداخليَّة على ستة اعمدة وحولها دائرة اوسع على احد عشر عمودًا فيرى الناظر اعمدتها السبعة عشر من كل جهة ويظهر ان الاعمدة بتيجانها وقواعدها قد أُخذت من ابنية اقدم عهدًا

واما داخل الجامع فمن اجمل وابدع ما يرى من البنايات لما فيهِ من انتظام الخطوط وتناسب الاجزاء وتلاعب النور النافذ من الشبابيك مع احكام البنيان وهندمتهِ وحسن الزينة والتزويق . فان مساحتهُ الفسيحة بين الجدار المثمَّن الزوايا والاضلاع تنقسم بدائرتَين من الاعمدة اوسعها يقوم على ثماني دعائم منبعة الى زواياها

الثماني . وبين كل زاويتين عمودان عظيمان كل من حجر واحد من اجمل انواع المرمر المحبّب المختلف الالوان من اخضر واسفنجي وغيره من بدائع الجنس والصنع معاً . وكل اعمدة هذه الدائرة وهي اثنا عشر عموداً ترتكز على دعائم مختلفة الهيئة والشكل . واما تيجانها فاكثرها من صنع البيظنطيين وعلى التيجان يستند طنف يتبع دائرة الاعمدة ويعلوهُ الحنايا المستديرة الى جهاتهِ الثماني كلها مرصوفة بالفسيفساء . واما الدائرة الوسطى فهي مؤلفة من اربع دعائم ضخمة بين كل واحدة واختها ثلاثة اعمدة مختلفة النوع والشكل فيكون مجموع الاركان ستة عشر بين اعمدة ودعائم . وكل عمود هو حجر واحد من المرمر الفاخر الثمين يستند على قاعدة لطيفة يعلوهُ تاج مزخرف يقارب في الغالب هندام المباني اليونانيَّة شكلاً وليس بين الاعمدة والدعائم الّا الحنايا بلا طنف . والسقف بين اعمدة الدائرتين هو من خشب موشح بالجص او الملاط المزخرف المحلّى بالالوان البديعة والنقوش المذهبة . واما الحنايا على اعمدة الدائرة الوسطى التي عليها يستند السقف من جهة ودائر القبَّة من الجهة المقابلة فهي مزدوجة اي على صفَّين يفصل بينهما طنف ناتئ فخيم . فالصفّ الادنى يوازي ارتفاع السقف على الدائرة الوسطى بين الجدران واوّل دائرة الاعمدة والدعائم . واما الصفّ الاعلى فتتوسَّطهُ النوافذ تحت كل حنيَّة نافذة وبين كل هذه الزينة من زخرفة ونقوش ترى آيات القرآن مكتوبة بخط بديع مذهّب وحولها الفسيفساء الملونة البيظنطيَّة مما يدهش الابصار مع انَّها قد ترمَّمت غير مرة على عهد السلطان صلاح الدين

واما الزجاج على الشبابيك والنوافذ فكلّها ملونة بابدع اسلوب واحسن اتقان ممَّا يجعل مرور الاشعة فيها من اجمل المناظر لطافة وابّهة . والواحا المختلفة كلّها طبيعيَّة غير مدهونة بالاصباغ وليست مجموعة بقضبان الرصاص كما يصنع الاوربيّون فيما شاكلها بل مصنوعة على طرز مخصوص بالشرقيّين في غاية الحسن والاتقان . واما القبَّة الشاهقة الفسيحة على عرض عشرين مترًا قطرًا وتسعة وعشرين مترًا علوًّا من صحن الجامع فاضلاعها خشبيَّة اجمع قد تلبَّست بالجص المحلّى بالذهب والنقوش الملونة وتنتهي برواق صغير على دائرها تقلهُ اعمدة صغيرة مخروطة من الخشب وهو منمق مخرَّم يتخلَّلهُ النور اللطيف فيزيد ذهب القبة والواحا البديعة لمعانًا وابهة

— ٤ —

✠ الصخرة الشريفة

قد ذكرنا ان هذه الصخرة الشريفة هي المحلّ الشهير حيث كان بيدر أرْونا اليابوسيّ فهناك قد اقام داود النبي هيكلًا وذبح القرابين فانحدرَت نار من السماء فاحرقتها . وهناك بنى سليمان هيكل المحرقات فلبث حتى خرَّب الرومانيّون بيت المقدس . وفي القرن الرابع كانت تجتمع اليهود حول هذه الصخرة ليبكوا تخليةُ تعالى عن الشعب الاسرائيليّ ويتوسلون اليهِ ان



الصخرة الشريفة

يتعطف عليهم ويرسل المسيح الموعود . ثم اتخذت الاسلام بعد الفتح هـذه الصخرة الشريفة مقاماً للعبادة ثم جامعاً ثم اتى الصليبيّون فاقاموا عليها هيكلا . وبالنتيجة فانها ولا شك صخرة مباركة فهي الذخيرة الوحيدة التي بقيت على حالها منذ عهـد سليمان الحكيم ومن آثار هيكلهِ الزائع الصيت

والى الشمال الشرقيّ ترى باباً جميلًا برسم البركار شكلاً تنحدر منهُ بخمس عشرة درجة تحت الصخرة الشريفة الى مغارة فسيحة مستديرة يبلغ قطرها عشرة أمتار طولاً . وربما كانت في ايام أرَوْنا اليبوسيّ هريّاً يجمع فيهِ القمح بعد الدراس اقرب منهُ بئرًا كما زعم بعضهم فان الفوهة التي ترى في سقف المغارة تصلح لانصباب الحبوب كما للاستقاء . وفي عهد اليهود كانت لسيل المياه المقتضية لغسل الذبائح فتجري الى وادي قدرون بدليل القناة الممدودة بينهما وقد ذكرتها لها التقاليد الربيّة

ثم تتجهُ نحو الباب القبليّ حيث سقيفة طويلة تُدعى السدّة تستند الى اعمدة رخام حيث يحفظ نسخة بديعة من القرآن تُنسَب الى عمر الخطّاب والى جانب الباب من الداخل يميناً وشمالاً ترى خزانة الكتب وهناك مجتمع العلماء وقد ذكر التلمود

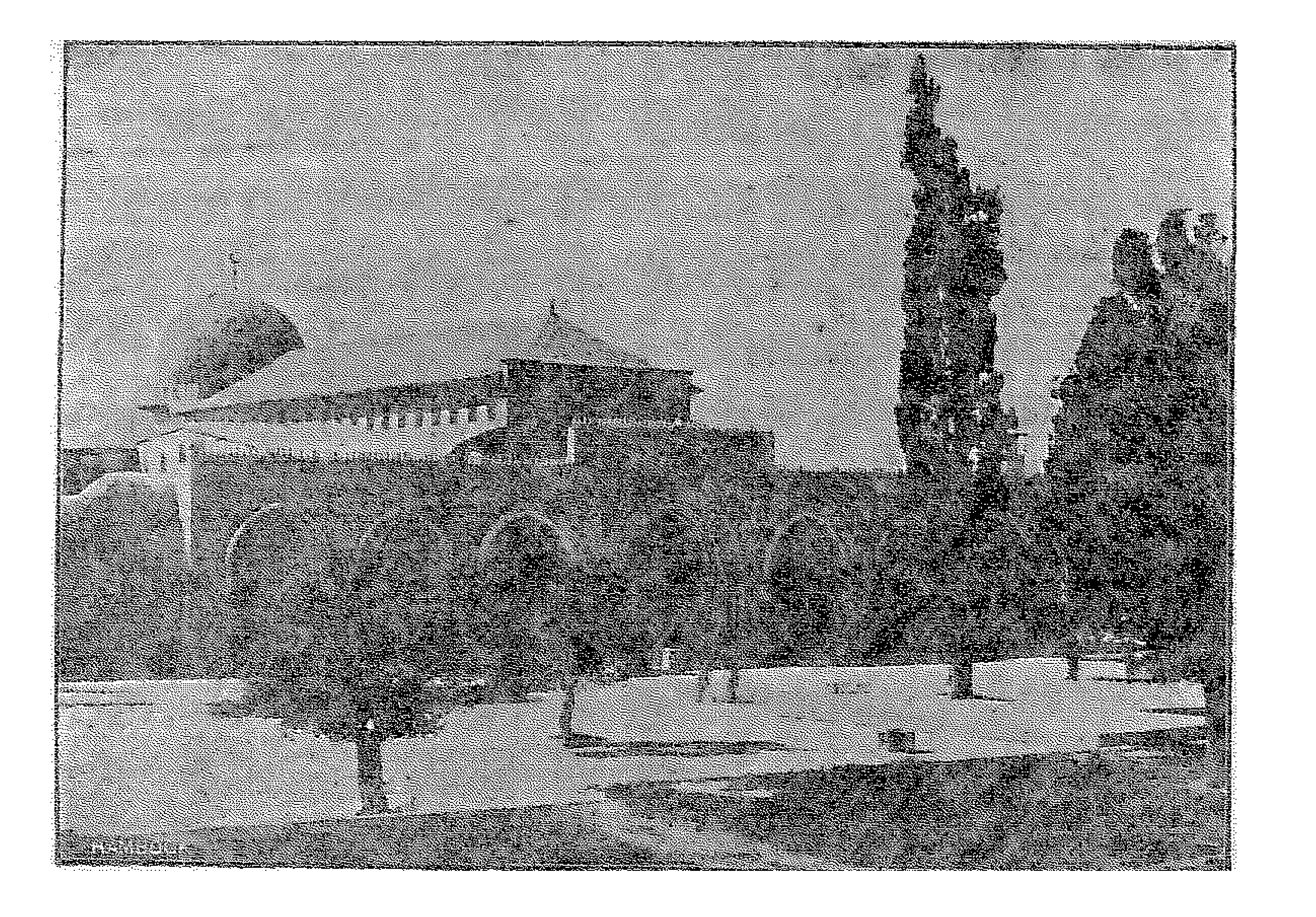
البيت حيث فيهِ كان يجتمع محفل الكهنة والشيوخ لتفسير الشريعة الموسويَّة وتعليم الشعب . والى الشمال دار الكهنة اي في هذا المكان تقريباً . وترى بقرب الحنايا الاربع قبل الدرج الشماليّ عن اليمين منبرًا جميل الصنع يُنسَب الى القاضي برهان الدين وعليهِ تُلقى الخطب كل يوم جمعة في شهر رمضان

ثم تخرج من المقام فتنحدر في سلم على عشرين درجة فتبلغ ارضًا مغروسة زيتونًا وسروًا وعلى الطريق تصادف حوضًا مستديرًا علوهُ متر واحد تنحدر اليهِ ببضع درجات وفي وسطهِ بركة مستديرة او فسقيَّة من بلاطات المرمر ونافورة مستديرة يندفق منها من ثمانية ثقوب الماء الآتي من رأس العين اي النبع المختوم الواقع الى شماليّ بيت لحم . والى الشرق ترى فوهات آبار عديدة محفورة في الصخر مغطاة بالعقود منها ما يبلغ الثلاثة عشر مترًا عمقًا والعشرين في وسع دائرتهِ . ومن هناك الى الشرق ترى بابَين من ابواب الحرم الشريف اي باب السلسلة وباب المغاربة ووراءهما مِئذنة جامع ابي بكر ومِئذنة جامع المغاربة المدعو ايضًا البراق

— ٥ —

الجامع الاقصى

واماً في الجهة القبليَة من الحرم فكانت بنايات سراي سليمان ودار ارز لبنان حيث اشاد بعد ذلك هيرودس القصر الملوكيّ وهو اجمل ما بُني الى عهدهِ وكان الدخول فيهِ مباحاً للامم وان يكن محازياً الهيكل لانهُ لم يكن منهُ . وهنالك قد بنى الامبراطور يوستنيانس في القرن السادس كنيسة عُظمى على ثلاثة اسواق فجعل سوقيها الى الجانبين على طبقتَين واقام على الاوسط القبَّة العالية وسمّاها كنيسة السيّدة ام الله . وهنالك البطريرك سفرونيوس التي خطبتهُ الشهيرة ليلة عيد الميلاد الموافق عهد الفتح . ويخبرنا احد المؤرخين سنة ٨٠٨ بان تلك الكنيسة لم تزل قائمة لذلك العهد يخدمها اثنا عشر اكليريكياً بين كهنة وشمامسة . ولا شك ان الجامع الذي أُقيم في جانبها لجهة الشمال قد أُشيد من انقاضها فانها كانت قد تهدَّمت بزلازل اوحريق . وهذا هو الجامع الاقصى القائم حتى الآن وعهدهُ بعد هارون الرشيد بقليل ورتبتهُ سامية في الاجلال عند الاسلام



واجهة الجامع الاقصى

والنصارى معاً وقد جعلهُ الصليبيُّون في ايامهم كنيسة باسم دخول السيّدة للهيكل

واماً هندمة البناء في هذا الجامع على عظمتهِ وفساحتهِ فهو خالٍ من الانتظام والتناسب فترى بناء واسعاً على سبعة اروقة ثلاثة من كل جهة بعرض واحد والرواق الاوسط مزدوج العرض بقبَّة في صدرهِ ولكنهُ بلا خورس ولا حنيَّة وراء القبَّة . واعمدتهُ التي تبلغ السبعين عدّاً مختلفة كلها شكلاً وهيئةً في قواعدها وتيجانها ممَّا يدلّ صريحاً على انها أُخذت من انقاض بناء سابق كما اشرنا . وترى الاعمدة الستة التي تقلّ القبّة ليست على اتم الانتظام طولاً وتناسباً مع انها لا شك بيظنطيَّة الشكل والهندام وفي ذلك دليل قاطع على ان بانيها ليس بيظنطيّ النحلة وانهُ مقلّد قد استعمل انقاضاً مأخوذة من بناء آخر الى غير ذلك من الدلائل الجليَّة نعدل عن ذكرها لوضوحها عند ارباب الفنّ والعلم

والى الجدار القبليّ منبر حسن الصنع مزيَّن بالنقوش والفصوص الصدفيَّة والاعمدة الخشبيَّة المخروطة وعليهِ كتابة تدلّ انهُ من صنعة عامل حلبيّ سنة ١١٦٨ بامر نور الدين وابنهِ الملك الصالح وقد نقل ربما الى القدس في عهد صلاح الدين . والى غربيّ هذا المنبر شبكة حديديَّة مذهّبة جميلة الصنع تنفتح عن مصلّى مزدوج الناحية بمحرابَين احدهما على اسم عيسى والثاني

على اسم موسى النبيّ وكلاهما مزيّنـان بالفسيفساء الملونة بين فصوص الذهب اللامع وهي من عهد السلطان صلاح الدين . واماّ الشبابيك الزجاجيّة الملونة فهي من صنع القرن السادس عشر

والى الجدار الغربيّ لنحو صدر الجامع مدخل ينفرج من ايوان فسيح طولاً وعرضاً ينقسم الى رواقين بتسع ركائز متوالية متناسقة على طول المحلّ تحمل الحنايا وهو من عمل الهيكليّين على عهد بدوان الاوّل فهناك كان انشاء طريقتهم واوّل اديرتهم واماّ الآن فهو محلّ الصلاة للنساء المسلمات . والى الجهة المقابلة اي الشرقيّة مدخل آخر الى مصلّى كدهليز مقبيّ بعقود متتابعة موحدة وفيه محراب يُنسَب الى عمر الفاتح . وان عدتَ الى الجامع ترى من الجهة عينها محرابَين آخرَين احدهما يُنسَب الى زكريا والآخر الى ابنهِ يحيي او يوحنا المعمدان وعساهما في نفس المحلّ حيث كان في عهد الصليبيّين هيكلان على هذَين الاسمَين. وفي خروجك من الجامع ترى تلقاء واجهتهِ سلالم بها تنحدر الى

— ٦ —

الباب الاسفل المزدوج

فانك ترى بعد انحدار ست عشرة درجة رواقاً مزدوجاً وثيق

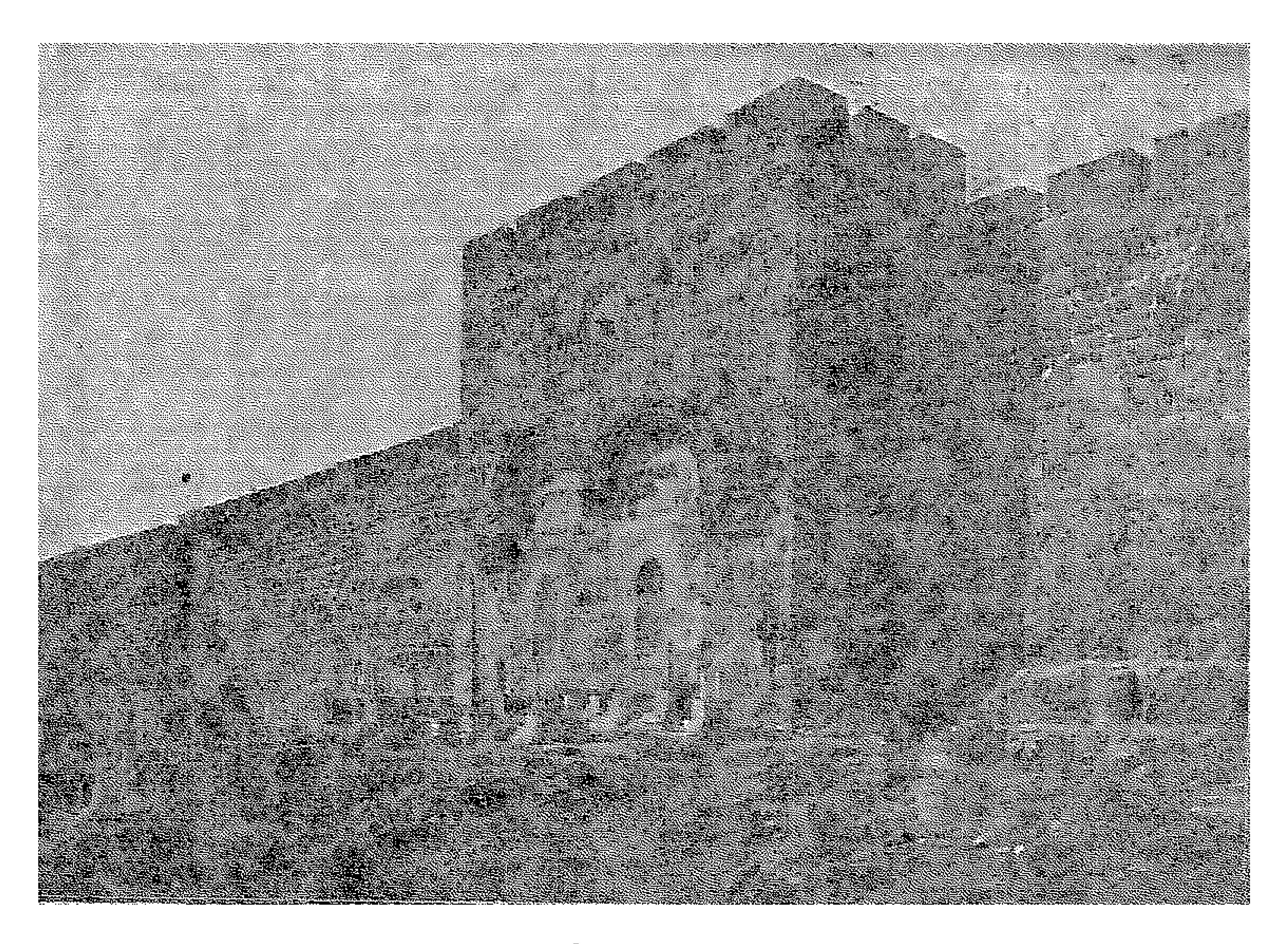
الاركان يبلغ نحو ٧٥ مترًا طولاً يتجه انحدارًا نحو الشمال فينقسم اولاً بحائط منيع على طول ثلاثة وعشرين مترًا ثم بدعائم سبع بحناياها الضخمة وعقودها المتينة . والى منتهى الرواق لجهة الغرب ترى جداره الى الحضيض مؤلفًا من حجارة عظيمة الحجم تشهد بكبرها المفرط على قِدَم عهدها . ثم تنحدر في سلم آخر على ثماني درجات الى فسحة توازي الرواقَين عرضًا فتبلغ ثلاثة عشر مترًا يقوم في وسطها عمود رخاميّ مفرط الضخامة فبالكاد يتمكن ثلاثة اشخاص من ان يحيطوا بهِ عرضًا بفتح ذراعيهم وتاجهُ الذي هو معهُ قطعة واحدة مزيّن باوراق الشوكيّ او النخل النافرة قليلًا . والى القبلة عضاضة جسيمة ايضًا مرتكزة الى سطح الارض تفوق العمود المذكور بمتر ونصف علوًا والى جانبها نصفَي عمود مندمجَين ائيها فربما كانت دعامة الممرّ على الدرجات الاصلية . والى الشمال نصف عمود مندمج الى دعامة قياسها مترين واربعين سنتي عرضًا واربعة أمتار وعشرين سنتي طولاً مؤلفة من الحجارة الضخمة المجدّدة على اقدم طرز وجدران المدخل ايضًا مبنيّة من هذه الحجارة الضخمة . فهذا كلما يمكن معاينتهُ من وراء الباب المزدوج وكلها دلائل واضحة على ان هذا البناء من اقدم ما يُشاهَد الآن ويصعد الى عهد هيرودس على الاقل وربما الى عهد ملوك يهوذا . فهذا اذن لا شك احد الابواب الثلاثة التي كان يصعد منها الى الهيكل السليمانيّ . وعلى ستين مترًا الى شرقيّ هذا الرواق باب آخر مثلَّث ليس اقلّ من هذا في العظمة والقدميَّة

ومن صحن الجامع اذا ما اقتربتَ الى الجدار القبليّ ترى من خلال النوافذ المدفعيَّة وادي قدرون المحازي رواق الهيكل الشهير ومدخلهُ الاعظم الذي احترمهُ هيرودس وخلفاؤهُ فلم يمسّوهُ بتشويهٍ كما يشهد يوسيفوس المؤرخ اليهوديّ ومن هذه الناحية قد طَرح اليهود الرسول القديس يعقوب الاصغر الى وادي يوشافاط حيث قتلوهُ

— ٧ —

✠ باب الداهريَّة

والى مائتي خطوة من هناك ترى الباب الذهبيّ او الباب الجميل كما كان يُدعى في القديم وتسمّيهِ العامة اليوم « باب الداهريّة » تنحدر اليهِ على اثنتي وعشرين درجة . فمن هذا الباب دخل المدينة هرقلوس الملك سنة ٦٢٩ مكشوف الرأس حافي الرجلَين حاملًا صليب الخلاص الذي استرجعهُ من يد الفرس في غزوتهِ الشهيرة . ومن هذا الباب ايضًا على ما خلّدهُ التواتر قد دخل المخلّص عام آلامـهِ قبل الفصح الأخير اذ استقبلتهُ الجموع بالتعظيم والاجلال على اصوات التهليل باوشعنا لابن



بأب الداهريّة

داود ومبارك الآتي باسم الربّ . ولم يكن ينفتح هذا الباب في عهد الصليبيين الّا مرّتَين في السنة اي يوم احد الشعانين ويوم عيد ارتفاع الصليب اماً الآن فمسدود بالحجارة والطين من عهد بعيد . وهو قريب الشبه في طرز بنايتهِ الى الباب المزدوج لكن اروقتهُ قد تخرَّبت كلها ولم يبقَ سوى شيء من المدخل الذي رمَّمهُ يوستنيانس على جداريهِ الاصليَّين واطاريهِ المنبعَين من الخارج حيث يقيس الطرف الواحد ثلاثة أمتار ونصف والآخر اربعة ونصف طولاً وكلاهما في العرض متريَن وعشرة سنتي وكلها قديمة العهد تصعد الى زمن بني اسرائيل . وربما هذا هو الباب الذي دُعي ايضاً في الكتاب باب المحاكمة اوباب العدل وهو الذي انفتح من ذاتهِ امام بطرس هامة الرسل اذ بلغ اليهِ بعد ان انقذهُ ملاك الرب من القيود والسجن . وهناك هذا الرسول شفى المقعد منذ الولادة اذ قال لهُ باسم يسوع الناصريّ قُم وامشِ

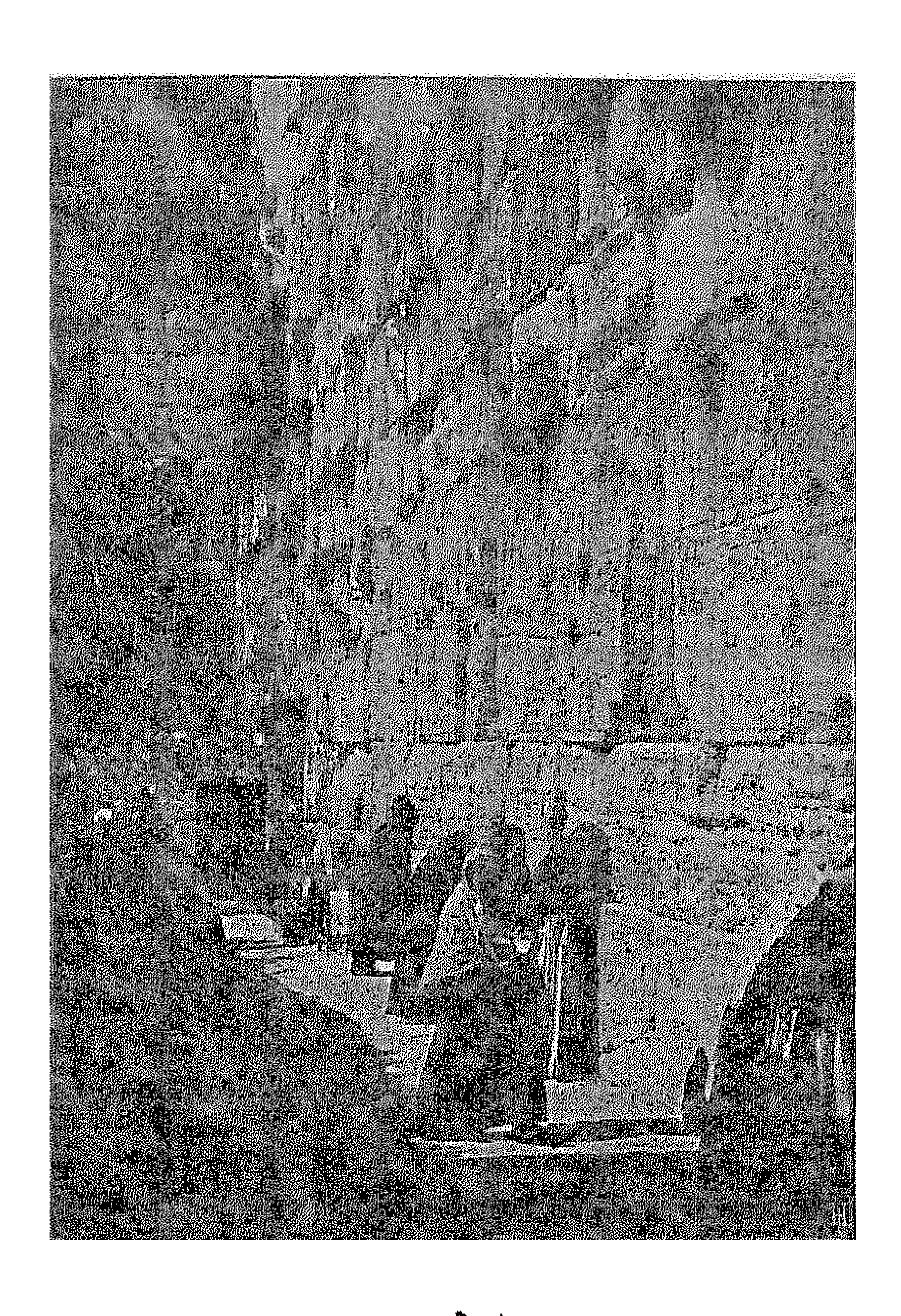
واذا بلغتَ من هناك الى زاوية الساحة بين القبلة والشرق ترى باب الاسباط ومنهُ تبلغ الى بركة اسرائيل ومنها الى الغرب داخل السور تمرّ بباب حطة ثم الباب العتم وكلاهما ينفذان الى

الطريق الآتية انحداراً من حنية هوذا الرجل الى وادي يوشافاط . وما تراهُ هناك من البيوت الجميلة كانت من القرن الثالث عشر الى الخامس عشر كتاتيب معدّة لطلبة الدروس العالية . وبعد ان تمرّ بالبناء المثمن الزوايا تحت قبتهِ وتدعى قبّة سليمان ترى صخر الجبل المقطوع عمودياً وكان قد شيّد عليهِ قصر انطونيا وايوان بيلاطس وهو الآن مقرّ العسكر او القشلة وكان في القديم بين هذا الجبل والهيكل شارع للصيّاغ ولكن هيرودس الكبير وجعل بدلاً منهُ صحنان فسيحان تكتنفهما الابواب المحصّنة كيما تتسع ساحة الهيكل وتتصل بقصر انطونيا

— ٨ —

جدار النحيب

اذا خرجت من الجامع الاقصى مارّاً بباب السلسلة ترى على مائتي مترٍ منهُ الى الغرب مفرقاً في آخر السوق فتتجهُ الى يسارك في زقاق يتلوى مرّات حتى يوصلك الى جدار النحيب حيث يذهب اليهود للبكاء والصلاة خصوصاً عشيّة السبوت والاعياد من العصر حتى المساء اي الى ان يدخل السبت او العيد . ولا شك ان جدار الهيكل القديم في تلك الناحية يدلّ باصرح بيان على طرز البناء في عهد بني اسرائيل . فانك ترى الجدار على حالتهِ الاصليّة حين



جدار النحيب

وضعهِ الاوَّل فلم يتغيَّر في شيء الى علو اثني عشر متراً الّا القليل في اعلاهُ ممَّا يشير الى عهد اقرب . وهذا الجدار القديم الظاهر على ما تراهُ من ضخامة حجارتهِ واحكام تنضيدها ووضعها ينغمس حتَّى الخمسة وعشرين متراً في قلب الارض التي ارتفعت حولهُ على توالي الدهور . وكان دخول القدس الشريف محذوراً في عهد الامبراطور أدريانُس حتَّى سمح لهم بهِ قسطنطين الكبير مرَّة في السنة كما يشهد المؤرخون وقد نوَّه بذلك القديس غرغوريوس والقديس ايرونيمُس . واماَّ في القرن الثاني عشر وربما قبل هذا العهد ايضاً قد أُبيح لهم ان يأتوا متى شاؤوا بقرب هذا الجدار الممتدّ على ثلاثين متراً طولاً للصلاة والنحيب

وان اتجهتَ من هناك نحو باب المغاربة تمرّ بعين سلوام ثم بوادي قدرون كما سترى في الزيارة الآتية . ومتى خرجتَ الى ظاهر الباب المذكور يمكنك اتباع السور لجهة الشرق حتَّى باب القديس استفانس المدعو الآن باب ستي مريم او لجهة الغرب حتَّى باب النبي داود

مزارات

وادي يوشافاط

— ١ —

☩ بيت هيرودس انتيبا

تبتدئ هذه الزيارة من كنيسة حبس المسيح ذهاباً نحو الوادي فاوّل طريق تراهُ عن شمالك يُدعى سكة دير العدس ويبلغ بك الى باب للمدينة يُعرف عند الافرنج باسم باب هيرودس وعند الاهلين باب الزاهرة . ففي اوائل هذه السكة اي بعد مسيرك فيها نحو اربعين خطوة ترى عكفة ضيقة الى الشمال في صدرها كنيسة قديمة قد أُشيدت او تجدَّدت في القرن الثاني عشر وتُعرف الآن بدير العدس وهناك (وفق اجماع التواتر القديم وان خالفهُ بعض المحدثين في اواخر القرن السادس عشر) كانت دار هيرودس انتيبا الذي هزأ بالسيّد المسيح وألبسهُ ثوباً ابيض وارجعهُ الى بيلاطس من حيث جاء (لوقا ٢٣ : ٦ — ١٢) .

واماً لدخول هذه الكنيسة التي هي الآن بيد الروم عليك ان تأخذ السكة التي تذهب صعوداً بين حنية هوذا الرجل وحبس المسيح ثم تلتفت الى اوّل سكة تراها عن يمينك فتتبع اعوجاجها الى ان تبلغ بك باب الكنيسة المذكورة

وفي رجوعك الى شارع حبس المسيح تواصل اتجاهك كالاوّل نحو الشرق فترى عن اليمين الباب العتم المؤدّي الى الجامع العمريّ وعن الشمال تجاه الزقاق العتم ترى برجاً مربعاً تدلّ حجارتهُ المنجدة على قدم عهدهِ وانهُ قد ترمّم في القرن السادس. فيزعم بعض الاثريين انهُ الجهة الشرقيَّة من حصن انطونيا وليس من دليل قاطع ينافي هذا الزعم . ومن هناك الى بضع خطوات عن اليمين شارع يأتي من باب حطة فيبلغ حتى الحرم الشريف ثم بعدهُ تبلغ نواحي

— ٢ —

بركة اسرائيل

وهي حوض فسيح محجوز اليوم عن العيان بما حولهُ من البنايات قد اعتبرهُ الاقدمون حتى القرن الرابع عشر بركة باب الغنم او بركة الضان وبالعبرانيّة بيت حسدا حيث اقام يسوع

سقيماً مقعداً منذ ثمانٍ وثلاثين سنة (يوحنا ٥ : ١ — ١٥) واما في حالتها الحاضرة فليس ما يدلّ على انها البركة ذات الازوقة الخمسة حيث كانت تنغمس المرضى بعد ان يُحرّك ملاك الرب الماء فيبرؤون. فلذا لم يتأكد المحدثون انها هي البركة الانجيلية الّا بعد ان اندثر تحت الانقاض ما كان الى شماليّها من الاحواض المملوءة ماء. وهذه البركة تحاذي الجدار المحيط بالحرم الشريف وتقيس طولاً مائة متر وثمانية وثلاثين سنتي عرضاً وعشرين عمقاً وهي لا شك قديمة الوضع وقد كانت قبل عهد السيّد المسيح باجماع الآراء والتواتر معاً. ومما يُؤسَف عليهِ انها قد امتلأت الآن انقاضاً وأتربة فلم تعد تُعرَف وعمّا قليل ربما تغطيها البنايات تماماً. وامام هذه البركة الى الشمال

— ٣ —

☩ كنيسة القديسة حنة

تراها وسط بناء فسيح قد اشادتهُ الآباء البيض مدرسةً لاكليريكيي الروم الكاثوليك وهي من مآثر الحبر النبيل الكردينال لافيجري. واما الكنيسة نفسها فهي قديمة العهد قد أُشيدت

واجهة كنيسة القديسة حنة

في نفس المحل حيث كان بيت القديسَين يواكيم وحنة وهو منزل بعضهُ بنيان وبعضهُ نقر في الصخر وهذا الآن تحت الكنيسة الحاليَّة حيث يكرّم المؤمنون ميلاد العذرآء البريَّة من الدنس

— لمحة تاريخية —

قد جاء عن تيودوسيوس الشمّاس في تاريخهِ منذ سنة ٥٣٠ «ان دار بيلاطس تبعد نحو مائة خطوة عن بركة الضان حيث اقام يسوع المقعد الذي نرى حتى اليوم سريرهُ هناك وبالقرب من هذه البركة قد أُشيدت كنيسة لمريم البكر الطاهرة». ويؤيد هذا الكلام اعتقاد العموم من زمن مديد ان العذرآء القديسة قد ولدت في اورشليم وقد ذكر ذلك الكثيرون من المؤرخين والقديسين وزاد بعضهم في الشرح تصريحاً اذ قال: ان كنيسة العذرآء بقرب بركة الضان قد أُشيدت حيث ولدت مريم البتول وفي قدوم الصليبيّين لم يكن باقياً في الدير المحاذي للكنيسة الّا ثلاث او اربع راهبات ولكن لم يتم ان شُفعن بغيرهنَّ من ذوات اليسار وكثر عديدهنَّ واقيم للدير ايرادات ثابتة حتّى اصبح من الاديرة الغنيَّة

واما انتساب الكنيسة للقديسة حنة ام البتول الوالدة فهو مستند الى كتاب مزوَّر يُنسب للقديس ايرونيمس مع انهُ ليس لهُ. وفيهِ يقول المؤلف ان العذرآء الطاهرة ولدت في الناصرة. فعلى هذا الاساس الكاذب استند اولاً اللاتينيّون فلم يروا في هذا المحل

الّا بيت القديسَين يواكيم وحنة والدَي العذراء . ولذا بعد ان رُمّمت الكنيسة دُعيت نهائيًّا باسم القديسة حنة . وفي عهد صلاح الدين سنة ١١٩٢ جعل الدير مدرسة عالية والكنيسة جامعًا سُمّي بالصلاحيّة . ثم أُهملَت الدروس في القرن الخامس عشر والجامع في الثامن عشر وقد استمرّ بل اضحى خرابًا وانقاضًا وامّا المدرسة فكانت قد تدمرت من عهد مديد . وسنة ١٨٥٦ أنعم السلطان عبد المجيد بهذه الكنيسة وتوابعها على دولة فرنسا فرمّم الافرنسيّون الكنيسة بحذق حتّى عادت تقريبًا الى ما كانت عليهِ منذ القرن الثاني عشر ثم عُهدت الى الآباء البِيض وفُتحت للعبادة سنة ١٨٧٨

وتقوم الكنيسة على ثلاثة اروقة ينتهي كل رواق منها بمحراب واربع حنايا تتصل من الباب اليهِ . وعلى الرواق الاوسط قبّة تستند الى الحنايا رأسًا بلا دائرة قائمة . ومن الرواق الايمن بعد العمود الثاني سلم تنحدر بهِ على ست عشرة درجة الى فسحة صغيرة تدخل منها الى باب اوّل ثم اربع درجات اخرى فتبلغ الى باب ثانٍ فترى عن اليمين طاقًا منهُ كانت تدخل آباء الارض المقدسة الاخوة الاصاغر الى المغارة الشريفة مع الحجّاج اذ لم يتمكنوا من الدخول من باب المقام . ثم ترى درجتَين تبلغ بهما الى مغارة بلا هندام ولا شكل مخصوص طولها سبعة أمتار من شرقيّها الى غربيّها وعرضها خمسة أمتار ونصف من القبلة الى الشمال وكل هذه والمغارة بمراقيها ومداخلها من اعمال البيظنطيّين ما خلا الترميمات . والى جهة الشرق الشماليّ منها هيكل جميل والى جانبهِ شبه محراب منقور في الصخر . والى الشرق القبليّ ممرّ ضيّق ينتهي الى جدار بئر

مستديرة منقورة في الصخر ايضاً . فهذه هي المغارة الشريفة التي جاءها للزيارة والصلاة الامم المختلفة على مرور الاعصار اكراماً لعذراء العذارى التي اشرقت هناك بلا دنس من مستودع القديسة حنة الوالدة المغبوطة . وقد وُجد في جوار الكنيسة عند ترميمها عمود مع قاعدتهِ قطعة واحدة وهو لا شك من طرز العهد اليهوديّ كما نرى مثلهُ في بقايا بناياتهم القديمة وكما ظهر في محفورات حبس المسيح وثلوم وغيرهما . وهذا العمود هو قائم الآن في ساحة الكنيسة الى جهة الشمال الغربيّ

— ٤ —

بركة بيت صيدا

على خمسين متراً الى الشمال الغربيّ من كنيسة القديسة حنة قد اكتشف الآباء البيض على محراب كنيسة صغيرة تصعد الى القرن الثاني عشر عهداً . وهي فوق عقد قد أُشيد على ظهر بركة طولها ستة عشر متراً وعمقها كذلك وعرضها ستة أمتار وفيها مراقي للانحدار من الكنيسة الى العقد ومنهُ الى البركة . وهي مقسومة بحائط متين في الوسط لحمل العقد والكنيسة فاتحيا معاً على طرفها القبليّ . وقد اكتشف ايضاً الآباء في محفوراتهم على بركة اخرى واسعة تشابهُ تلك عمقاً . فلا شك ان بركة اسرائيل هي على مقربة من هذا المكان . ولكن ليس الى الآن دلائل قاطعة تقرّر مركزها تماماً . وفي خروجك من دير الآباء البيض تضحى على مقربة من

-- ٥ --

باب القديس استفانس

ان باب المدينة الشرقيّ وهو الوحيد اليوم لجهة وادي قدرون قد سمّاهُ الزائرون منذ القرن الرابع عشر باب القديس استفانس . مع ان هذا الاسم بين الكتبة ونقلة الاخبار في القرن الثاني عشر والثالث عشر كان يُطلق على باب نابلس او باب العمود . لكن الاوربيّون لا يزالون يدعونهُ بهذا الاسم مع ان الاهلين يسمّونهُ باب ستّي مريم . وهو على كل حال الباب الذي كان يُدعى في عهد السيّد المسيح بباب الغنم او الضان . واما في حالتهِ الحاضرة فهو من بنايات القرن السادس عشر

فبعد ان تخرج من هذا الباب ترى الى اليمين على مسافة ثلاثين خطوة في ذات السور بناء ضخماً كبرج حصين وهو لا شك من بقايا البنايات السليمانية . فانك ترى فيها الحجارة المنجدة الضخمة يبلغ كل واحد من الخمسة الى السبعة أمتار طولاً في متر كامل عرضاً . وينغمس في الارض هذا البرج الى عمق ستة وثلاثين مترًا حتى قعر الوادي المارّ من هناك وكان هذا في

زاوية السور القديم حول الهيكل المقدَّس . وعلى مائة واربعين مترًا من هناك ترى الطريق المؤدي من اورشليم الى اريحا مجتازًا بهذا الوادي وادي قدرون او يوشافاط

— ٦ —

✝ وادي قدرون او يوشافاط

يبتدئ هذا الوادي بقرب قبور القضاة على نحو ألفَي متر من المدينة لجهة الشمال الغربيّ فيمرّ على مقربة من قبور الملوك ثم على منحدر جبل اسكوبوس حيث يلتفت على زاوية قائمة نحو القبلة فيفصل بين مدينة اورشليم وجبل الزيتون . وهناك في الغالب موقع وادي الملوك حيث جاء ملكيصادق لمقابلة ابرهيم الخليل عند رجوعه من غزوته وانتصاره على كدرلاعومر فباركهُ وقدَّم عنهُ لله قربان الشكر خبزًا وخمرًا . وقد دُعي الوادي هنا باسم وادي يوشافاط منذ القرن الثالث الى الرابع . وتذهب العامة ان فيهِ سيكون مرسح القيامة يوم الدين . ويستند هذا الزعم على ما جاء في يوئيل النبي « اجمع جميع الامم وانزلهم الى وادي يوشافاط واحاكمهم هناك من اجل شعبي ». (٣ : ٢) وقد اجمع

الربيّون من علماء اليهود ان لا وادٍ بهذا الاسم وانما التعبير مجازي فلفظة يوشافاط تعني في لغتهم « الله الديّان » . ومع ذلك فالمذهب عام بين اليهود والاسلام والنصارى بان يوم الحساب سيكون في هذا الوادي وربما قد توطد هذا الاعتقاد بآية الكتاب من اعمال الرسل « ايها الرجال الجليليّون ما بالكم واقفين تنظرون الى السماء ان يسوع الذي ارتفع عنكم الى السماء سيأتي هكذا كما عاينتموهُ منطلقًا الى السماء » (اعمال ١ : ١١) . وكان اليونان يدعون هذا الوادي بلغتهم بيرينوس « اي الناريّ » وحتى الآن يدعو الاهلون هذا الوادي بعد عبور بئر ايوب وادي النار فانهُ ينحدر من هناك الى قرب دير مار سابا حيث يتجهُ نحو البحر الميت . وقبل بلوغه اي على خمسة عشر كيلومترًا من مصبّ الاردن الى الغرب الشماليّ من بئر ايوب يُدعى هذا الوادي نفسهُ عند العرب وادي سلوام نسبةً لعين سلوام ويدعوهُ غيرهم وادي ستي مريم . ويظهر صريحًا من كلام المؤرخين القدماء ان اليهود كانوا قد نحتوا في الصخر درجًا عريضًا ينحدر من باب الداهريّة او الباب الذهبيّ الى وادي قدرون ثم يذهب صعودًا حتى جبل الزيتون . وقد اكتُشِف مؤخرًا في المحفورات هناك

على آثار هذا السلم العظيم . ونشاهد هناك بعض درجاتهِ في مُلك الروسيين سالمة كاملة مما يؤيد كلام المؤرخين

— ٧ —

† محلّ استشهاد القديس استفانس

قد دِين استفانس امام المحفل وصرخ الحاضرون بصوت عظيم وسدّوا آذانهم وهجموا عليهِ بعزم واحد ثم طرحوهُ خارج المدينة ورجموهُ (اعمال ٧ : ٥٧) ولذا نرى بين المسيحيّين القدماء من شرقيّين وغربيّين يكرّمون محلّ استشهاد هذا القديس اوّل الشهداء في قاع وادي قدرون بقرب الدرج العظيم المنحدر اليهِ من جهة الهيكل . ولكنَّا نرى بين العلماء المحدثين مَن يذهب غير هذا المذهب استنادًا على بعض الروايات التاريخيَّة . وعلى كل فجسم القديس الجليل قد نُقل سنة ٥٦٠ من جبل صهيون الى الكنيسة المشادة على اسمهِ بقرب باب دمشق الى جهة الشمال الغربيّ من المدينة كما سنذكر في محلّهِ . واما الآن فلنتّجهْ من ذلك الدرج على الجسر الراكب فوق الوادي فنرى على ستين مترًا

— ٨ —

الجسمانيّة

ان القديس مرقس يدعو هذا المحل حقلاً والقديس متّى يسمّيه ضيعةً (اي عقارًا او ارضًا مستقلة) والقديس يوحنا بستانًا . ولفظة جسمانيّة ذاتها تعني معصرة الزيت . فمن هذه ومن تردُّد يسوع الى هناك اعتياديًّا واحياء الليالي في صلاة الله بلا مانع ولا مُعارض كما ومن دفن مريم البتول هناك يظهر انها كانت بقعة فسيحة بمشتملاتها يصدق عليها اسم البستان والحقل والضيعة معًا . وانها كانت تخصُّ احد تلاميذ السيّد المسيح مُلكًا عن آبائهِ وانها في ظاهر المدينة الى عبر وادي قدرون . واوزابيوس والقديس ايرونيمس يقولان انها على سفح جبل الزيتون . واما ما قد جرى فيها ليلة الآلام السيّديّة فهاك تفصيلهُ وهو : ان فادينا الالهيّ بعد ان قضى العشاء الاخير الطقسيّ وفق السنّة مع تلاميذهِ خرج صحبتهم حسب عادتهِ الى الجسمانيّة وكان الوقت موخرًا والليلة باردة . فلمَّا بلغوا الى المغارة قال لهم : امكثوا ههنا للراحة وللرقاد فاني ذاهبٌ لاصلّي واخذ معهُ منهم بطرس ويعقوب

ويوحنا كيما يكونوا شهود نزاعهِ كما كانوا شهود تجلّيهِ على طور طابور فمشى معهم بين الاشجار خطوات ثمّ قال لهم : « ان نفسي حزينة حتى الموت فامكثوا ههنا واسهروا معي » . ولم يبعد عنهم الّا مسافة قليلة حتى جثا مصلّيًا . فسمعوا توسلاتهِ وهم ساهرون اجابةً لطلبهِ وطاعةً لأمرهِ . ولمّا طالت صلاتهُ غلب عليهم النعاس فرقدوا فانهُ تعالى اذ جاء اليهم وجدهم نيامًا . فقال لبطرس : « يا سمعان هل انتَ نائم . أهكذا لم تقدروا ان تسهروا معي ساعةً واحدة » . ممّا يدلّ على ان رقادهم كان تناعسًا احرى منهُ نومًا . فهو بين اليقظة والرقاد فيهِ يرى المرء ويسمع . ولذا كلّمهم يسوع فوعوا ولكنهُ لم يلحّ عليهم ولم ينتظر سماع الجواب بل عاد الى صلاتهِ مكرّرًا « يا ابتِ ان كان لا يُستطاع ان تعبر عني هذه الكأس إلّا ان اشربها فلتكن مشيئتك » . ثمّ جاء تلاميذهُ ثانيةً يُعاتبهم برقّة ولطف تكرارًا وعاد الى صلاتهِ . وحينئذٍ دخل في ذلك النزاع المرّ الأليم حتى عرق دمًا . وبعث اليهِ الآب بملاك يعزّيهِ ويشدّدهُ . وكان كلّما ازداد في نزاعهِ اكتئابًا وكمدًا يزداد في صلاتهِ حرارةً وادمانًا ارشادًا لنا وتعليمًا لكلّ فردٍ منا كيما نقتدي بهِ فنستحق الرحمة وغلك السلام . واذ اتمّ تعالى

صلاتهُ قام وجاء الى تلاميذهِ فوجدهم نياماً من الحزن فقال لهم تعطفاً واشفاقاً « ناموا الآن واستريحوا » فقاموا وذهبوا معهُ حيث سائر التلاميذ اي الى المغارة حيث كان قد تركهم يسوع . وبعد زمن لا يعيّنهُ الانجيل الشريف جاءهم السيّد المسيح فأيقظهم جميعاً قائلاً : « يكفي ما بالكم نائمين فقد اتت الساعة . هوذا ابن البشر يُسلَم الى ايدي الخطأة . قوموا لننطلق فهوذا قد قرب الذي يُسلِمني » (مرقس ١٤ : ٤١ — ٤٢) وللوقت « اقبل يهوذا الاسخريوطيّ ومعهُ جمع كثير بسيوف وعِصيّ ومصابيح ومشاعل . وكان الدافع يعرف الموضع لان يسوع كان يجتمع هناك مع تلاميذهِ كثيرًا . فاقتاد الجمع الى المغارة توًّا وخشية ان يمنعهم ظلام الليل عن معرفة شخصهِ القدوس من بين التلاميذ اعطاهم علامةً قائلاً : « الذي اقبّلهُ هو هو فامسكوهُ وقودوهُ باحتياط . امَّا السيّد فخرج اوَّلاً للقاء الآتين ولمَّا رآهُ الدافع مقبلاً عليهِ غفلةً اضطرب منهُ الفؤاد وللوقت جاء ودنا اليهِ وقال : « السلام يا معلّم وقبّلهُ » وكان التلاميذ قد تبعوا سيّدهم مستعدين للدفاع عنهُ فقال زعيم الرسل : أنضرب . واستلَّ سيفهُ . . . امَّا يسوع فاجاب « اردُد سيفك الى غمدهِ . . .

الكأس التي اعطاني الآب ألا اشربها » . واسام ذاته طوعاً واختيارًا (يوحنا ١٨ : ٢—١١)

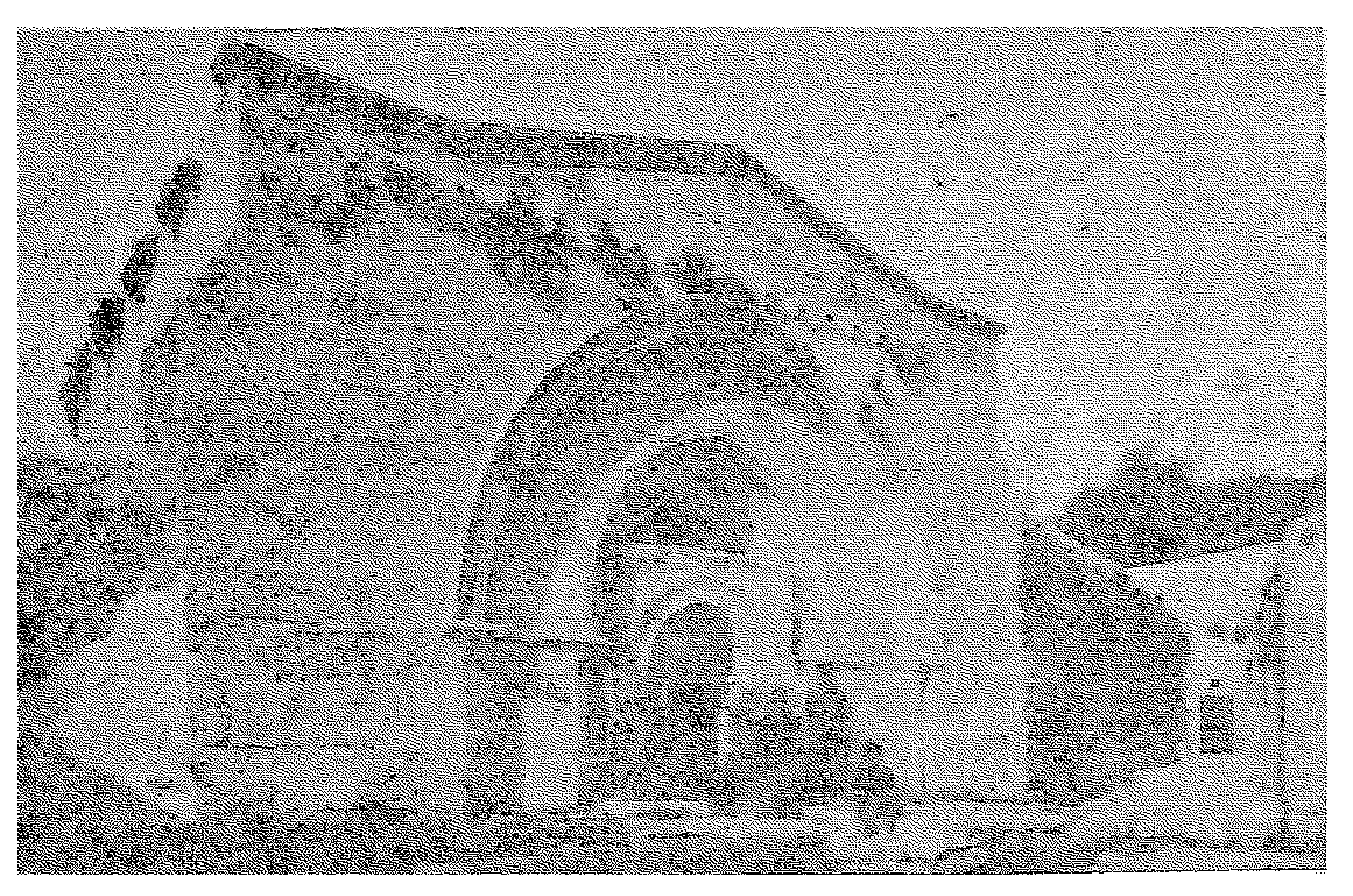
— ٩ —

قبر السيّدة مريم البتول

على نحو ثلاثين مترًا من الجسر ترى الى الشمال سلّماً تنحدر به على خمس عشرة درجة الى فسحة مربّعة على خمسة عشر مترًا طولاً وعرضاً فهذه ساحة كنيسة انتقال مريم البكر الطاهرة الى السماوات . واماَّ الكنيسة ذاتها فهي تحت الارض . والبناء الذي تراهُ امامك فهو ساحة قد أُحدثت في القرن الثاني عشر امام الدرج المؤدّي الى القبر الذي حاز جثمان البتول قبل انتقالها الى السماوات في اليوم الثالث من رقادها الشريف

— لمحة تاريخية —

ان الاعتقاد بانتقال البكر الطاهرة مريم البتول الى السماوات في اليوم الثالث من نياحها السعيد قد انتشر وعمّ بين المسيحيّين منذ صدر النصرانيّة حتّى ذكرتهُ الاناجيل المزوَّرة التي وان يكن لا يُعتدّ بها الّا انها تشف عن الاعتقاد العام في تلك الاعصار . ثم ذكر ذلك الكثيرون من المؤرخين والقديسين ومنهم القديس



واجهة كنيسة قبر السيّدة مريم البتول

يوحنَّا الدمشقيّ في عظةٍ القاها في هذه الكنيسة في اواسط القرن الثامن بحضور الكثيرين من الاساقفة والكهنة والرهبان . وممَّا جاء في هذا الصدد منذ القرن الخامس ان يوڤينالس مطران اورشليم اذ مرَّ بالقسطنطينيَّة لحضور المجمع الخلكيدونيّ سنة ٤٥١ قال لهُ الامبراطور مرتيانس وزوجتهُ بلكريا : قد بلغنا ان جسم البتول الطاهرة مريم التي حملت ربَّ الحياة هو في كنيسة الجسمانيَّة الجليلة . فهل لك ان تبعث الينا بهذه الذخائر الثمينة فتكون هنا في هذه العاصمة . فاجاب الحبر المذكور : انهُ لتقليد وثيق وعريق في القدم بان الرسل الاطهار قد سمعوا حول القبر الشريف تراتيل الاجواق الملائكيَّة بالحان شجيَّة في الايام الثلاثة الاولى ثم انقطعت الالحان والتراتيل . ولمَّا فتحوا القبر بعد ذلك اجابةً لالحاح احد الرسل الذي كان غائبًا يوم الدفن الكريم وجدوهُ خاليًا خاويًا . ففهم التلاميذ من ذاك الحين بان مَن شاء ان يشرق منها حافظًا بكارتها رام ايضًا ان يحفظ جسانها من الفساد وينقلهُ الى فردوس النعيم دون انتظار القيامة العامَّة . فاذ سمع الامبراطور والامبراطورة ذلك طلبا اليهِ ان يرسل اليهما التابوت الشريف واللفائف المقدَّسة التي لم تزل محفوظةً فيهِ . ففعل . وقد وُضعت هذه الذخيرة الجليلة في كنيسة مريم البتول البلاكرنيَّة احدى الكنائس العُظمى في العاصمة ثم نُقلت الى كنيسة اخرى قد أُشيدت خصوصًا لذلك وسُمّيت بكنيسة تابوت البتول . وقد رمَّم الصليبيُّون سنة ١٠١٠ كنيسة قبر السيّدة . وسنة ١١٣٠ اقاموا حذائها ديرًا للبندكتيّين من كاوني . ثم تهدم الدير وتركت الكنيسة الى ان حاز رهبان الارض

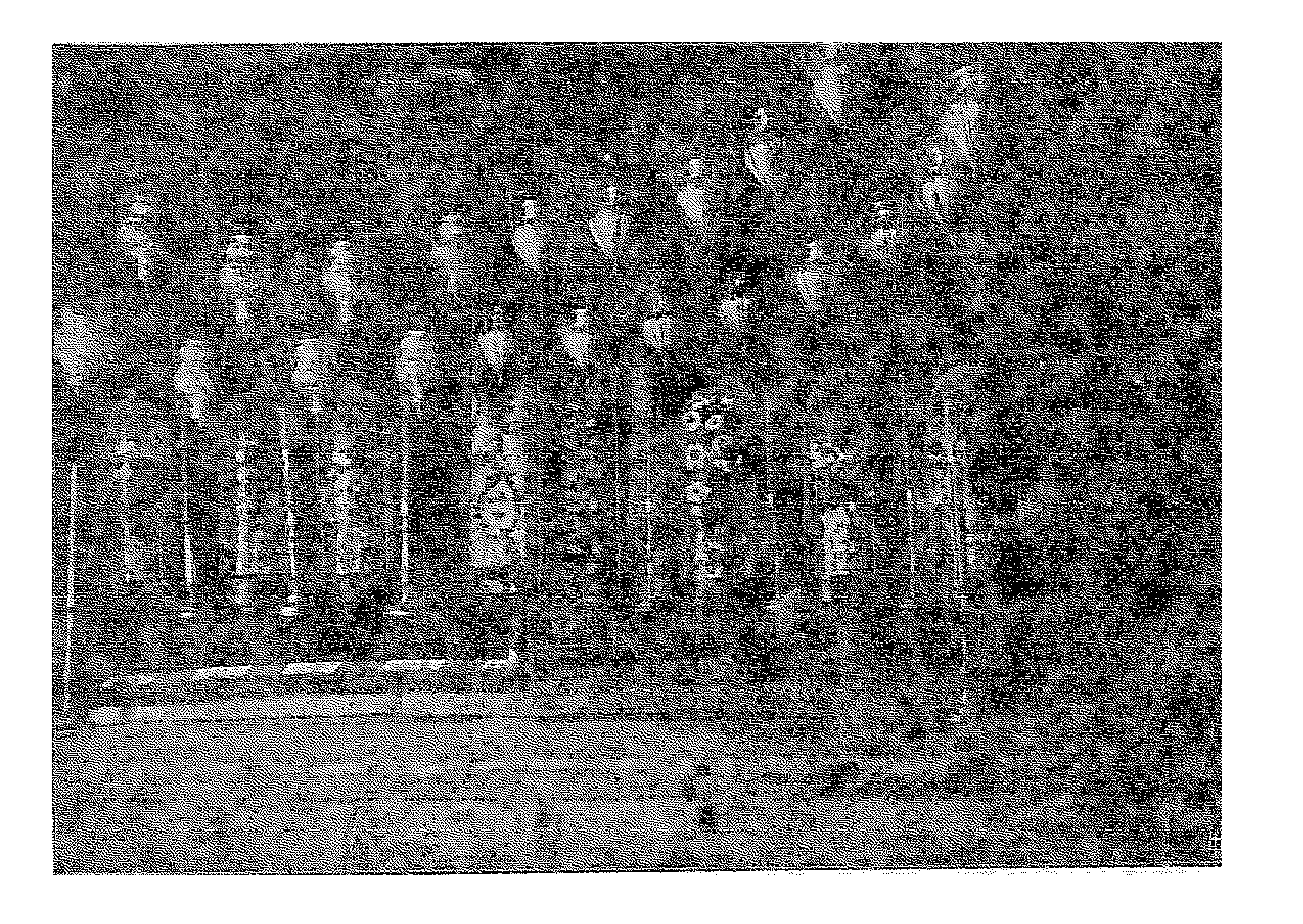
المقدَّسة الاخوة الاصاغر فرمانًا سنة ١٣٦٣ من السلطان باسترجاعها فبقيت في حوزتهم حتَّى القرن السابع عشر اذ اغتُصبَت منهم فاسترجعوها ثانيةً بفرمان آخر سنة ١٦٦٦ ولكنهم لم يبقوا فيها سوى الى سنة ١٧٤٠ اذ اغتُصبت منهم ثانيةً فاسترجعوها ايضاً ولكنهم فقدوها ثالثًا بالقوَّة سنة ١٧٥٧

— ١٠ —

حالة كنيسة الانتقال وقبر السيدة في الحاضر

انَّ باب هذه الكنيسة اليوم مدفون في الحضيض الى عمق متر ونصف وكان شامخًا مربَّعًا على ثمانية أمتار عرضًا وعلوًّا وكانت واجهتهُ الموجَّهة الى القبلة مزدانةً بقنطرتَين متباعدتَين محددتَي القمَّة نوعاً وتنحدر تفاريضهما العديدة ومخاريمها المختلفة فوق صحن واحد يستند على اربعة اعمدة نحيفة بقواعدها وتيجانها المورَّقة بتشعبات لطيفة وكلها من الرخام الابيض النقيّ . واما الطنفة الأعلى البديع فلم يبقَ منهُ الَّا صف من بعض ركائزهِ مشوَّهة ناقصة والباب الشامخ من بنايات القرن الثاني عشر اضحى مسدودًا بجدار في وسطهِ باب صغير ومنهُ تنحدر الى الكنيسة بسلَّم حجريّ عريض على ثماني واربعين درجة فالاولى تبلغ بك الى موازاة الباب الشامخ القديم وباقي الدرجات توصلك الى صحن كنيسة الانتقال

واذ تأخذ في الانحدار على الدرجات الاولى ترى بعد عشر درجات هيكلًا اومصلًّى عن اليمين + باسم القديسَين يواكيم وحنة



قبر السيّدة مريم البتول

وبعد قليل عن الشمال مصلّى آخر على + اسم القديس يوسف ومن هناك كان مدخل الكنيسة قبل عهد الصليبيّين ثم تبلغ آخر السلالم الى قاعة الكنيسة او ارضها وهي كلها قديمة ما خلا العقود البركارية من ترميمات القرن الثاني عشر

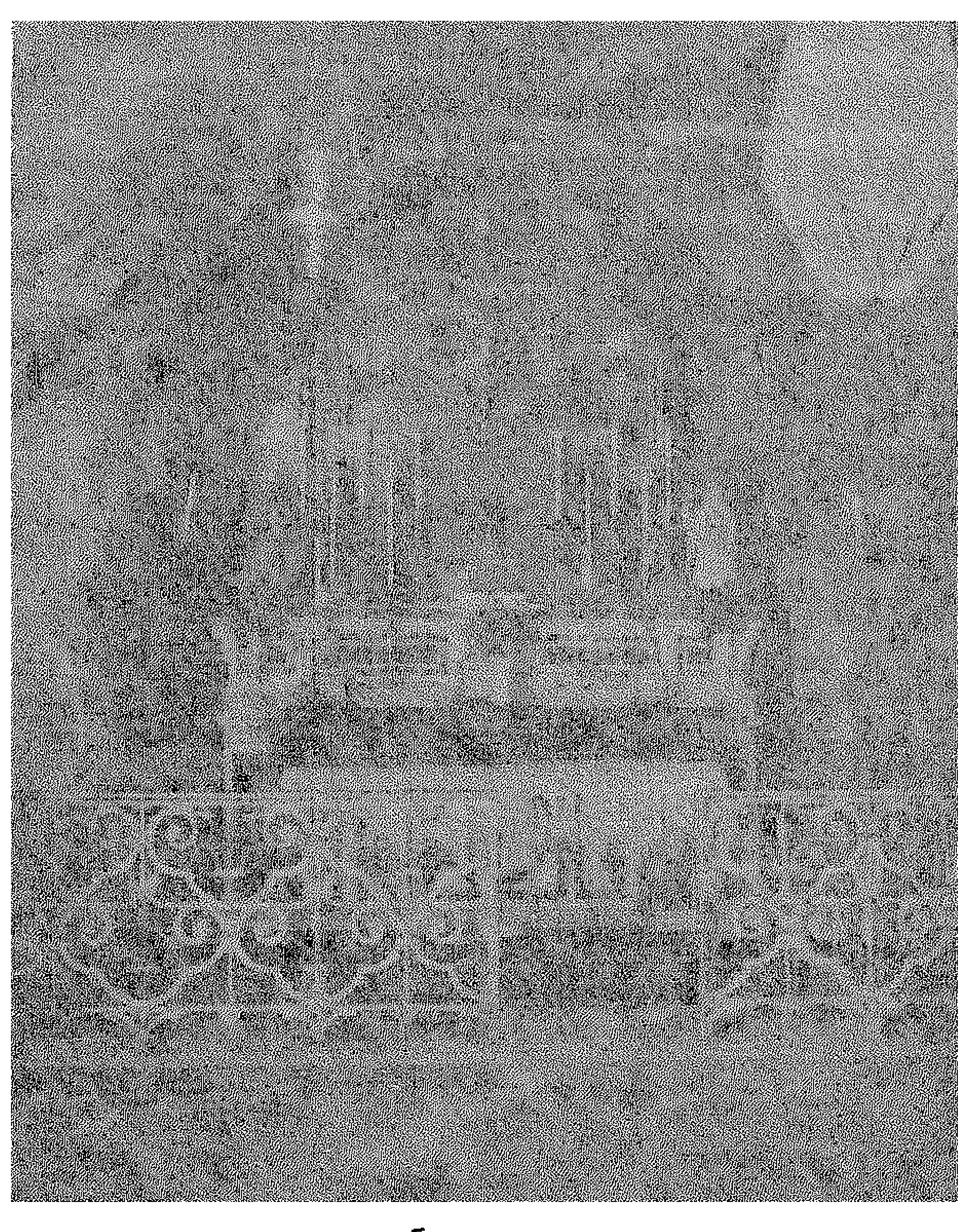
ورسم الكنيسة على شكل صليب لاتينيّ تمتدّ اطول عارضيهِ من الشرق الى الغرب على نحو ثلاثين مترًا والى طرفَيها حنيّتان على نصف دائرة والى ثلثيّ طولها يعارضها الجناحان بعرض ثمانية عشر مترًا يتجهُ احدهما نحـو السلّم حيث الباب ويقابلهُ الآخر حيث سلّم آخر ضيّق على ثماني عشرة درجة ينتهي الى قبو معقود لا نعلم الغرض منهُ وليس في هذه الكنيسة نقوش . غير ان جدرانهـا كانت مغشاة بالتصاوير الملونة فانها كانت منورة بالطيقان من اعلاها بين العقود . واما الآن فلا ينيرها سوى المصابيح وفي وسط الجناح الأيمن لجهـة الشرق يقوم القبر الشريف اي ضريح البتول الطاهرة . وكلّهُ منقور في الصخر وأرضـهُ تنخفض الى عمق اثني عشر مترًا عن ميل الوادي او قعرهِ الصخريّ الأصليّ وهذا المقام الجليل هو كناية عن بيت مكعّب تقريبًا يعلوهُ قبّة قليلة الارتفاع بالكاد براها الداخل. وواجهتهُ محجوبة الى الشمال بهيكل الارمن . وفيهِ الى اليمين باب صغير منخفض ومنهُ تدخل الى مخدع لا يسع اكثر من اربعة اشخاص فترى دكة على علو متر عن ارضهِ تشغل كل جهتهِ الشرقيّة وكلهُ بالرخام الابيض . فهنا وضع جسمان البتول الطاهرة

فبعد ان يصلّي المؤمن بقلب خاشع في هذا المقام الجليل يخرج من باب آخر الى الشمال فيرى امامهُ مصلّى السريان وعن يمينهِ هيكل الروم في وسط الحنية والى وراء الحائط الواصل بين جدار الكنيسة والضريح الشريف محراب مندمج في سور المعبد نفسهِ . وفي خروجك من باب الكنيسة ترى الى الشمال دهليزًا ضيقًا ينتهي الى باب تنحدر فيهِ على تسع درجات الى

— ١١ —

☩ مغارة الجسمانيّة

لم تزل هذه المغارة الجليلة محلًّا فضيلًا مقدسًا لدى المؤمنين منذ القديم يستدعيهم للصلاة الخاشعة وينعش في الفؤاد روح العبادة والتقوى . ولا بدع ولا عجب . فطالما قد تقدس بخلوات السيّد المسيح وصلواتهِ الليليَّة ومسامراتهِ مع رسلهِ الاطهار . وهي المقدس الوحيد الذي لم يزل الى يومنا هذا على ما كان تقريبًا في عهد المعلِم الالهيّ فان نفس التصاوير الملونة التي قد رُقشَتْ على جدرانهِ الطبيعيَّة منذ الاعصار الخالية قد زالت واضمحلَّت فلم يبقَ منها الَّا آثار لا تُذكر . والفسيفساء التي رُصفت بها



مغارة الجسمانيّة

ارضها لم يعد منها الَّا الفصوص القليلة فترى الصخر العاري من كل جوانبها كما كانت تقريباً تلك الليلة الشريفة مساء خميس الاسرار عشيَّة الآلام القدسيَّة . ما خلا مدخلها الذي كان في عهد السيِّد لهُ المجد من الجهة القبليَّة حذاء بستان الجسمانيَّة حيث ارتفعت الارض على توالي الاعصار بتراكم الاتربة فغمرتهُ ففتح هذا الباب الحالي لجانب كنيسة انتقال البتول . وكانت هذه المغارة الشريفة حتى عهد تيودوسيوس سنة ٥٣٠ مظلمة لا نافذة فيها وبعد هذا العهد فُتح الطاق الذي ينيرها من اعلاها الصخريّ المدعوم الآن بستّ ركائز من البنيان وهي في الجملة بيضاويَّة الشكل على غير هندام يقيسها سبعة عشر مترًا طولا وتسعة عرضاً وثلاثة ونصف علوًّا وفيها اربعة هياكل . وهي في حوزة آباء الارض المقدسة الاخوة الاصاغر منذ سنة ١٣٩٢

وفي خروجك منها تصعد من امام كنيسة الانتقال الى الطريق لجهة الشرق القبليّ من الساحة فتبلغ حيط بستان الزيتون حيث تصادف عن اليمين طريقاً آخر يوصلك بخطوات قليلة الى

— ١٢ —

✝ صخرة الرسل

فان الارتفاع الصخريّ الذي تراهُ عن شمالك على ما جاء بهِ التواتر المنقول هو المحلّ حيث قال يسوع لتلاميذهِ الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا : نفسي حزينة حتى الموت فامكثوا هنا واسهروا معي . وابتعد عنهم رمية حجر حيث خرَّ ساجدًا يصلّي بحرارة حتى غرّق الحضيض بعرقهِ الدمويّ العبيط . ولذا يُدعى ذلك الارتفاع صخرة الرسل . والى آخرهِ ترى عمودًا مندمجًا في الحائط يدعوهُ اليونان « عمود يا ابتاه » ويرى بهِ الشرقيّون علامة المحلّ الشامل اسرار صلاتهِ تعالى تلك الليلة المؤثرة المخلدة ذكرًا

— ١٣ —

☩ كنيسة النزاع

قد أسرع المؤمنون منذ القرون الاولى فشيّدوا معبدًا في أشرف محلّ على الارض بعد الجلجلة وقبر الخلاص اي حيث صلّى فادينا الالهيّ وعرق دمًا لاجلنا . فقد روى التاريخ منذ سنة ٣٨٥ بان الاسقف كان يخرج كل سنة بجمهور حافل يوم

خميس الاسرار متجهاً نحو كنيسة الانتقال ومنهــا الى موضع صلاة الخلّص ليلة آلامهِ حيث كنيسة لطيفة يُقرأ فيها تلك الليلة الاناجيل المخبرة بما جرى اذ ذاك من صلاتهِ تعالى وتسليم نفسهِ طوعاً ليد المعذّبين . غير ان هذه الكنيسة قد تهدّمت مرارًا على كرور القرون واعيد بناؤها لثالث مرّة في القرن الخامس عشر . واماّ الآن فهي تحت الردم والامل معقود على انها ستنهض من جديد فوق اساساتها الباقية

— ١٤ —

☩ بستان الزيتون

ترى امام صخرة الرسل باباً صغيرًا بالقرب من انقاض كنيسة النزاع تدخل منهُ الى بستان الجسمانيّة حيث الزيتونات الثماني يقيس قطر كل واحدة من الستة الى الثمانية أمتار . وهي لا شك اشرف زيتونات البسيطة فان لم تكن من عهد السيّد المسيح فانها قد افرعت لا شك على اصول تلك اللواتي شهدنَ صلاة الخلّص ونزاعهُ عشيّة آلامهِ المقدسة . وقد اجهد الاخوة الاصاغر ان يتركوا هذا البستان على اصلهِ بورًا مُسيَّجاً بالصبّير ما استطاعوا



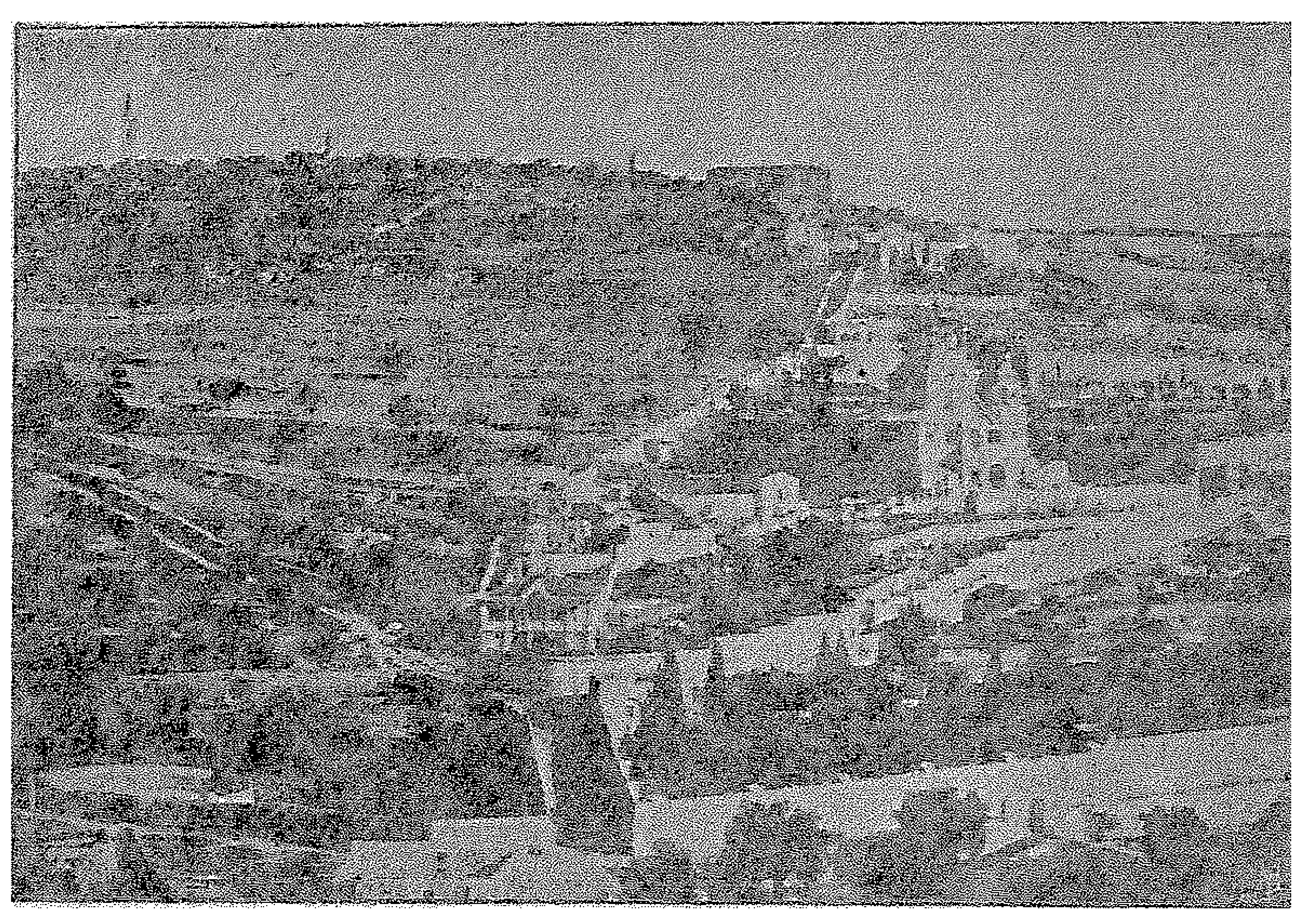
بستان الزيتون

اجابةً لتقوى الزائرين ولكنهم التزموا سنة ١٨٤٨ ان يُسوّروهُ بحائط على دائرهِ على نحو سبعين مترًا الى كل جهة من اركانهِ الاربعة . وسنة ١٨٧٣ أقيم على دائر سورهِ من الداخل مراحل درب الصليب تسهيلًا للعابدين الراغبين ان يتأملوا اسرار الآلام حيث تسلّح فادينا لاحتمالها بالصلاة ارشادًا وتعليمًا لنا . والى الجهة الشرقيّة ترى لوحًا من رخامٍ ابيض قد نُقش عليهِ صورة يسوع ساجدًا في الصلاة وملاكٌ يُقدّم لهُ كأس المشيئة الصمدانيّة . وهو من عمل احد مشاهير الايطاليان ثمّ قد زُيّن البستان بالازهار المختلفة للتوزيع على الراغبين تذكارًا من ذلك المحلّ الشريف . فالأخ الجنائنيّ لا يبخل بذخيرة على طالب ما خلا زيت تلك الزيتونات وعجوها المنظوم سبحًا فتوزيعهُ منوط بالرئيس العام على الارض المقدّسة .

— ١٥ —

كنيسة الروس على اسم القديسة مريم المجدليّة

تراها في خروجك من بستان الجسمانيّة على قمة صخرة الرسل . وقد اشادها الامبراطور اسكندر الثالث سنة ١٨٨٨ وهو



كنيسة الروس على اسم القديسة مريم المجدليّة

بناء لطيف يعلوه سبع قبب نضرة بنوافذها الملونة وصلبانها اللامعة وفيها من التصاوير ما يستحقُّ الالتفات اليهِ . وعن شمالها ترى جزءًا مكشوفًا من ذلك السلَّم الفخيم القديم الذي كان يأتي من نواحي الهيكل السليماني الى جبل الزيتون مارًّا بوادي قدرون انحدارًا وصعودًا كما ذكرنا

ثم الى الزاوية بين الشمال والغرب على قارعة الطريق ترى المحلَّ حيث القت السيّدة زنّارها بين يدَي توما الرسول + وهي على الغمام حين انتقالها المجيد لتؤكد لهُ ارتفاعها الى العلى كما أكَّد لهُ ابنها الوحيد قيامتهُ المجيدة . غير ان التواريخ القديمة لا تذكر شيئًا عن هذا الحادث

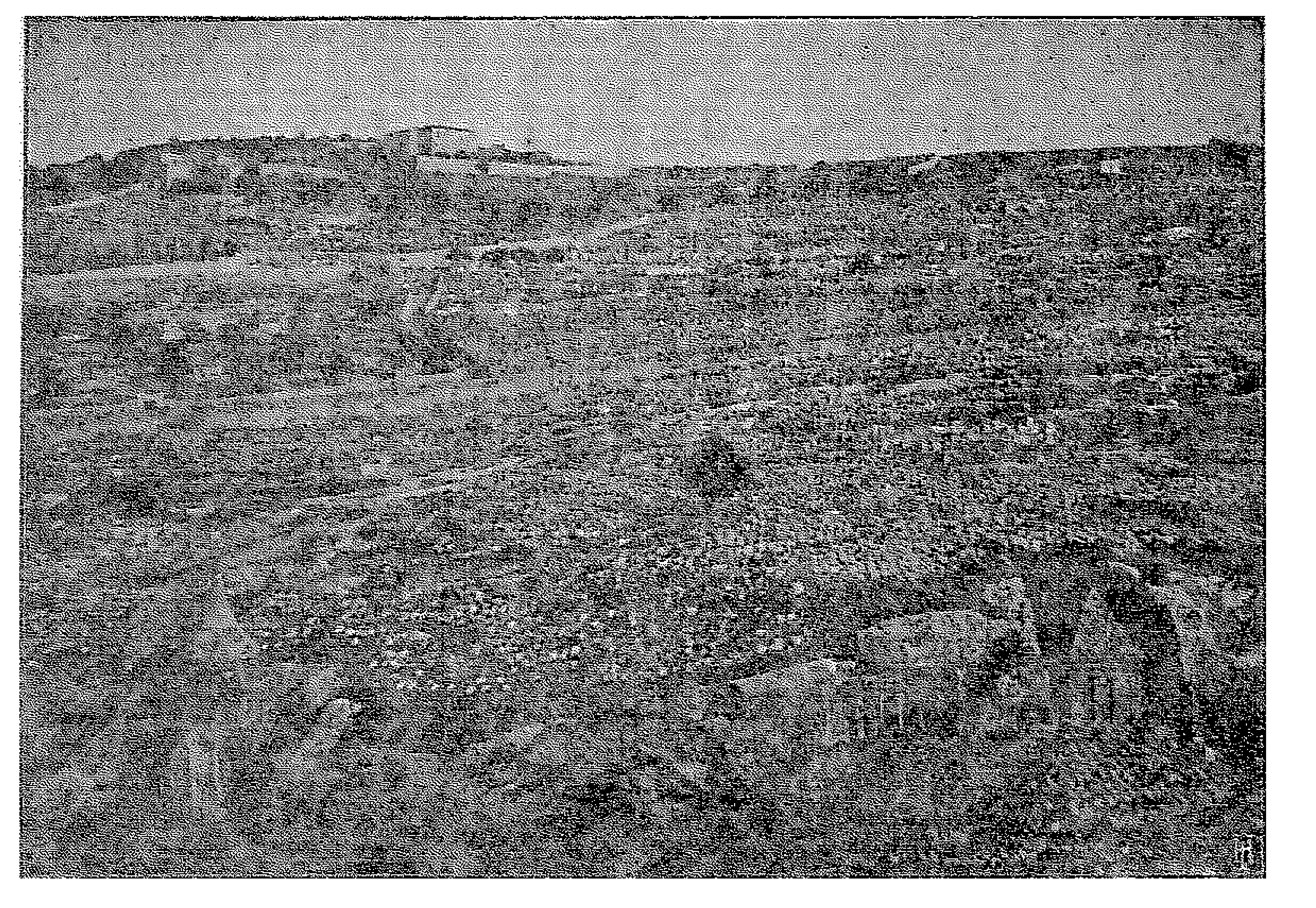
وامام هذا المحل من الجهة المقابلة على الطريق شبكة حديدية تنفتح عن ارض فيها كنيسة خربة من بنايات القرن الثاني عشر وهي وفق تناقل ذلك العصر محل الصخرة حيث كانت تصلّي مريم البتول حين رجم القديس استفانس . وهنالك تضحى قريبًا من كنيسة مبكى الرب على اورشليم وكنيسة الابانا وسنذكرهما في الزيارة التابعة

— ١٦ —

قبور ابيشالوم ويوشافاط و † يعقوب وزكريا

في هذا الوادي اربعة قبور تستحق الالتفات وهي قبر ابيشالوم وقبر يوشافاط وقبر القديس يعقوب وقبر القديس زكريا

فالى زاوية الشمال الغربيّ من بستان الزيتون تتّبع طريق أريحا الى القبلة فترى على نحو مائة وعشرين خطوة منحدرًا الى اليمين وعنهُ الى مائة وثمانين خطوة الجسر الثاني على الوادي وعن يدك الشمال رمس قديم مربّع الشكل تسميه اليهود والنصارى قبر أبيشالوم والاسلام طنطور فرعون. وهو بناء مكعّب الشكل متقن الهندام قياسهُ ستة أمتار وثمانين سنتي من جهاتهِ كلها طولًا وعرضًا وعمقًا . وينفصل تمامًا عن الصخر المحدق بهِ المنقور فيهِ. والى كل من اركانهِ الاربعة اربعة اعمدة تندمج فيهِ الى نصف محيطها ويعلوها افريز يونانيّ عليهِ طنف مصريّ وفي اعلاهُ بناء بحجارة ضخمة تمثّل دائرة يعلوها هرم او مخروط مستدير ينتهي رأسهُ بباقة من سعف النخل ولا يغفل اليهود اذا مرّوا بهذا القبر عن رمي الحجارة دلالةً على اشمئزازهم من صاحبهِ الولد العقوق . والظاهر انهُ بناء لا يتجاوز



قبور ابيشالوم ويوشافاط ويعقوب وزكريا

عهد هيرودس الكبير الّا ان يكون قد تجدَّد اذ ذاك على بناء قبلهُ والله اعلم

والى ثلاثة أمتار خلف قبر ابيشالوم على نفس الصخر المنقور فيهِ ترى واجهة جميلة الهندام مُزَيَّنة بالنقوش في وسطها باب يفضي بك الى مدفن يهوديّ فيهِ جملة نواويس او مخادع فيها القبور ويدعى هذا المحلّ قبر يوشافاط وقد سدَّ اليهود بابهُ منذ عشرين سنة وحجبوا واجهتهُ تقريباً عن العيان . وهذا البناء لا شك احدث من قبر ابيشالوم عهدًا . ونعلم من الكتاب ان الملك يوشافاط قد دُفن مع آبائهِ في مدينة داود فربما اخذ البناء هذه التسمية من نفس الوادي والله اعلم

وعلى خمسين مترًا من قبر ابيشالوم الى القبلة ترى عن يسارك مدفنًا اسرائيليًّا جسيمًا يُدعى قبر القديس يعقوب ويُسمّيهِ الاهلون ديوان فرعون . فمدخلهُ القائم على مرتفع صخريّ يقيس ستة أَمتار عرضاً في ثلاثة دخولاً عن البنيان الموازي حافتيهِ وعلى جانبيهِ ركيزة مندمجة الى نصفها ثم عمود على بعد متر ونصف الى الناحيتين حتى يبقى البعد بين العمودَين نحو الثلاثة أمتار . وعلى العمودَين والركيزتَين يستند افريز يونانيّ يعلوهُ طنف من

نوعهِ وعلى الافريز كتابة اراميَّة تُنبئ انهُ مدفن اسرة بني عزير او عازر من معاصري هيرودس الكبير على ما يُظنّ . وينقل لنا التواتر المتواصل ان القديس يعقوب الصغير قد اختفى في هذا المدفن بعد صلب فادينا . وعليهِ يكون السيّد قد ظهر لهُ هناك بعد قيامتهِ المجيدة

ثم الى بضع خطوات ترى مكعبًا آخر كرمس او مزار ينفصل عن الصخر من كل جهة قائمًا بنفسهِ يدعوهُ اليهود والنصارى بالاجماع قبر زكريا وتسميهِ المسلمون قبر زوجة فرعون وكل جهة منهُ تقيس خمسة أمتار وثلاثين سنتي طولًا وعرضًا وعليها عمودان آخران مندمجان في الركائز القائمة على الزوايا وعلى الاعمدة افريز بسيط ينتهي بطنف مصريّ يعلوهُ هرم او مخروط مربَّع . ولا شك ان هذا المكعَّب واخاهُ المنسوب الى ابيشالوم يختلفان كل الاختلاف عن قبور اليهود القديمة العاديَة بحسن البنيان وزخرفتهِ كقبرَي يوشافاط ويعقوب هنا ومــا شاكلها . فهذا النوع الاخير هو مدفن عائليّ لأسرة جليلة بلا ريب . واما النوع الآخر مثل قبرَي ابيشالوم وزكريا فيظهر انهما أُشيدا لتعظيم شخص مخصوص لا لمحض الدفن وربَّما يمكن الاستنتاج بصواب

ان عن هذين المكعّبين وما شاكلهما ممّا قد اندثر ينوه تعالى اذ يونب الكتبة والفريسيّين قائلًا : الويل لكم ايها الكتبة والفريسيّون المراؤون فانكم تشيدون قبور الانبياء وتزينون مدافن الصديقين وتقولون لو كنا في ايام آبائنا لما كنا شاركناهم في دم الانبياء فانتم تشهدون على انفسكم انكم بنو قتلة الانبياء (متى ٢٣ : ٢٩ — ٣١)

— ١٧ —

كفر سلوام وبركة ستي مريم

وعلى ثلاثمائة متر من قبر زكريا عند منحدر الجبل قرية تُدعى كفر سلوام تقوم اكثر بيوتها امام قبور قديمة للعبرانيّين منحوتة في الصخر وقد استعملها النسّاك والمتوحّدون من القرن الرابع الى السابع صوامع اسكناهم ومنها قد جعلوها معابد . والى شماليّ القرية قبر او مزار على طرز البناية المصريّة القديمة وعلى واجهته نقشة قد قُطع منها قسم منذ القرن الرابع لتوسيع الباب وفيها كتابة عبرانية تشابهُ كل الشبه ما اكتشف من الكتابات لعهد سليمان . وفي اواسط القرية سطح فسيح حجريّ يغطي بعضهُ البيوت

فيخفي اتساعهُ وشكلهُ الحقيقيّ وقد قُدَّ عموديًا لجهة الغرب . ويدعون الاهالي هذا السطح « الزويلة ». وقد ذهب علماء العاديات انها لا شك حجر زوحلَت المذكورة في سفر الملوك الثالث الفصل الاوّل حيث صنع ادونيًا دعوة حفلى ورام ان ينادوا بهِ ملكًا فأسرع داود الملك وامر ان يُمسح ابنهُ سليمان خليفةً عنهُ وملكًا على بني اسرائيل

وعلى مقربة من هذه القرية عين شهيرة وعريقة في القِدَم فمنها تمتلئ بركة شيلوحا او سلوام حيث اغتسل الاعمى منذ الولادة بامر السيّد فابصر . ومنها تستقي البساتين المجاورة وبستان الملك سليمان . وتُدعى هذه العين عند الاهلين عين ستي مريم ربما لمجاورتها الجسمانيّة حيث ضريح البتول الطاهرة كما دعوا باب المدينة الى تلك الناحية باب ستّي مريم بل نفس وادي قدرون خصوصًا ما يجاور من تلك الجهة فيقولون وادي ستي مريم . وتُدعى هذه العين ايضًا عين ام الدرج لان فيها ينحدر الزائر بسبع عشرة درجة الى مغارة طبيعيّة قياسها ثمانية أمتار عمقًا وهي لا شك نفس المذكورة في يشوع بن نون وفي سفر

الملوك الثاني والثالث باسم عين روجل ولها مقام عظيم في القدميّة فضلًا عن حالتَيها الطبيعيّة والصناعيّة معًا

— ١٨ —

بئر ايوب

وبعد عين سلوام المذكورة اعلاهُ اذا اتّبعت انخفاض الوادي تبلغ البساتين النضرة المدعوة بساتين سلوام وكان هناك بستان الملك سليمان بن داود يمتدُّ لجهة الشمال فان الماء كان يأتي اليهِ غزيرًا من عين سلوام او روجل كما كانت تُدعى في ذاك العهد . وهو غير البساتين المنسوبة لهذا الملك نفسهِ الى شمالّي بيت لحم حيث كان يذهب على مركبتهِ كما يُخبرنا يوسيفوس المؤرّخ . ثم عند آخر بيوت القرية الى الجهة القبليّة دار المساكين قد اشادتهُ بلديّة اورشليم سنة ١٨٧٥ لسكنى البرص فهم يتسوّلون نهارًا حيثما يريدون ويأوون مساءً الى هناك

وعلى انخفاضٍ منهُ الى ميل الوادي ترى بئرًا لا تتجاوز القرن السادس من تاريخنا تُدعى بئر ايوب . وربما لهذا السبب زعم قوم في القرن الثاني عشر بان حافرها هو ايوب الصديق .

ولا نبع فيها ولا عين بل يأتيها الماء رشحًا من اقطارها وهي عميقة يتصل سطح مائها انخفاضًا الى العشرين والخمسة وعشرين مترًا في الصيف واما في الشتاء فقد تمتلئ الى حافتها بل تفيض على ما حولها وهذه علامة سني الخصب عند الاهلين يقيمون لها عيدًا حافلًا . ثم في انحدارِ الى القبليّ بركة شيلوحا اوسلوام ترى حوضًا كبيرًا يدعوهُ يوسيفوس بحيرة سليمان ويسميه الاهلون البركة الحمراء . والى الشرق القبليّ منها حيث توتة قديمة بيضاء + محل استشهاد النبي اشعيا

— ١٩ —

✠ بِركة سلوان او شيلوحا او سلوام

والى شماليّ البحيرة على نحو تسعين خطوة نحو ارتفاع التلّ ترى بِركة طولها ستة عشر مترًا وعرضها من الاربعة الى الخمسة في عمق ستة أمتار والظاهر انها ترّممت على آثار البِركة الاولى التي كانت في عهد المسيح . فالى الجهة الشماليّة والغربيّة تُشاهَد آثار ترميمات القرن الرابع وقطع اعمدة من الرخام المحبب الاسمنجونيّ القديم . والى زاوية الشرق الشماليّ من هذه البركة درجات تؤدّي

الى قناة كانت تأتي المياه فيها من عين ستي مريم . وهذه القناة او السرداب هو من عهد اشعيا النبي اي قبل تملك حزقيا . وربما يصعد الى عهد سليمان الحكيم وقد اكّد ذلك كتابة وُجدت سنة ١٨٨١ وقف عليها الاثريون وجزموا عنها بصحة التواتر القديم بلا ريب . والى شماليّ البركة أُشيدت كنيسة منذ سنة ٥٧٠ باسم المخلّص المنير او المنوِّر وقد اكتُشفت آثارها من عهد ليس ببعيد ويشغل محلها الآن جامع بمئذنة قد اقيم منذ بضع سنوات

— ٢٠ —

حقل الفخّار او حقل الدم

ان الكثيب المحازي الوادي المدعو غفر الايلة لجهة القبلة يُسمّى ايضاً سوء المشورة او جبل المؤامرة . ويزعم اصحاب هذه التسمية ان هناك بيت لقيافا رئيس الكهنة حيث اجتمع الرؤساء والفريسيون فتآمروا ان يقتلوا يسوع (يوحنا ١١ : ٢٧) وهو تواتر ليس بعريق في القِدَم واما العرب فتسمي هذا المكان جبل ابي الثور او جبل القبور فهناك ترى مغائر صغيرة عديدة وهي قبور قديمة من آخر عهد العبرانيّين وصدر النصرانيّة وفيها

كتابات يونانيّة كثيرًا ما يقرأ عليها هاتان الكلمتان « صهيون المقدَّسة » ممّا يدل على ان هناك كان رهبان صهيون من القرن الرابع الى السابع يدفنون امواتهم. وقد ذكر احد الكتبة انهُ رأى المتوحدين من النسَّاك يسكنون تلك القبور لعهدهِ وهناك قبر مُزيَّن بافريز لطيف يونانيّ الطرز وبقايا تصاوير بيظنطيَّة على جدرانهِ ممّا يدلّ صريحًا على انهُ كان معبدًا. وقد استولى عليهِ اليونان سنة ١٨٧٤ وجعلوهُ كنيسةً على اسم القديس انوفريوس وهو احد مشاهير نسَّاك الصعيد ولكنهُ لم يأتِ قطّ سوريا

والى غربيّ هذه الكنيسة ترى حقل الفخَّار او حقل الفاخوريّ الذي ابتاعهُ رؤساء الكهنة بالثلاثين فضة التي ردَّها اليهم يوضاس الدافع فجعلوهُ مقبرة للغرباء ولذا سمي ايضًا حقل الدم كما ذكر القديس متى (٢٧ : ٣ — ٨) وقد أُعطي هذا الحقل لرهبان مستشفى مار يوحنا سنة ١١٤٣ وجُعل مقبرة ولم يبقَ اليوم منهُ سوى بناء متهدم بدعامة مركزيّة يمتد عليها عقد مستدير هو الآن على موازاة الحضيض. ومن فرجتَين فيهِ تشاهد ارض المكان منخفضة الى عمق خمسة أمتار عمّا حولها. وعلى نحو سبعمائة

خطوة الى الشمال الغربيّ نحو انحدار الوادي ترى طريق بيت لحم بقرب بركة السلطان على مقربة من باب يافا

مزارات



— ١ —

باب العمود

وقد دُعي أيضًا باب نابلس وسماهُ الكثيرون من القرن الرابع الى الثاني عشر باب القديس استفانس واماَّ الاهلون فيدعونهُ باب العمود ربما بسبب السوق الرومانيّ الذي بناهُ ادريانس بأروقتهِ واعمدتهِ متصلًا حتى جبل صهيون . ويُدعى ايضًا باب دمشق وهو اجمل ابواب اورشليم فانهُ من احسن نمونة بنايات القرن السادس عشر . تراهُ بين برجَيهِ العظيمَين يرتفع شامخًا فوق باب آخر اقدم منهُ عهدًا قد بُني من حجارة عظيمة منجدة تشابهُ حجارة دعائم الهيكل السليمانيّ وقد اختفى الآن بارتفاع الارض

باب العمود

حولهُ هناك الى اكثر من ستة أمتار فلم يعد يظهر منهُ للعيان الّا الشيء اليسير وهذا لا شك جزء من السور الثالث الذي اشادهُ هيرودس اغريبا الأول سنة ٤٣ من تاريخنا

— ٢ ...

مغارة ارميا

ومن باب العمود على مائة خطوة لجهة طريق الجسمانيّة تصادف عن اليمين المغائر الملوكيّة اومغائر القطّان او الكتّان وهي فسيحة تمتدّ تحت البلدة لجهة الشرق القبليّ الى نحو مائتي متر في عرض مائة متر ولكن زيارتها لا تخلو من خطر فعلى الداخل الاحتراس . وامام هذه المغائر الى الجهة الاخرى من الطريق مغارة ارميا تبلغ اليها من ممرّ عن شمالك يوصلك الى فسحة مغروسة . فترى انقاض قديمة آتية عن بناء قديم مستدير يصعد ربما الى القرن الرابع . ثم ترى جامعًا او تكية تُدعى الهيدميَّة . ثم تبلغ من مضيق الى المغارة وهي مستديرة على نحو خمسة وثلاثين مترًا قطرًا يقلّ سقفها دعامتين من نفس الصخر . والى الغرب القبليّ قبر السلطان ابرهيم . وقد اشتهرت هذه المغارة

منذ القرن السادس عشر بانتسابها الى ارميا النبي حيث كتب مراثيه البديعة

فبعد زيارة المغارة تعود نحــو باب العمود لتأخذ طريق نابلوس على مقابلة الباب فتصادف على زاوية الى اليمين كنيسة جديدة لكاثوليك الالمان وكان الى شماليهـا اسطبلات فرسان القديس يوحنا . وفي القرن الثاني عشر والثالث عشر اضحى منزلاً للزوّار ممّن لم يكن يسمح لهم بالسكنى داخل المدينة . واوّل عكفة تصادفها عن اليمين في طريق نابلوس يؤدي بك الى فسحة فيها قبر عبراني قديم وفيهِ الى احدى جهاتهِ اشارة صليب قد رسمها هناك ربما احد النسّاك اذ اتخذهُ لهُ مسكناً فزعم الجنرال غوردون باشا سنة ١٨٨٢ بانهُ قبر السيّد المسيح . وعلى مقابلة هذه الفسحة من الجهة الاخرى من هذا الدرب الضيّق تبتدئ ارض الآباء الدومينيكان اي رهبان القديس عبد الاحد (دومينيكوس) حيث ديرهم ومدرستهم للعلوم العليا في التوراة وكنيسة القديس استفانس الملوكيّة

— ٣ —

☩ كنيسة القديس استفانس الباسيليّة او ملوكيّة

ان الملكة اودوكسيا قد اشادت سنة ٤٥٥ خارجاً عن باب نابلوس او باب دمشق كنيسة كبرى شائقة على اسم القديس استفانس اوّل الشهداء وفيها دُفنَت سنة ٤٦٠ كما أوصت وسنة ٥١٨ قد جمع فيها القديس سابا محفلًا حضرهُ عشرة آلاف كاهن تحت رئاستهِ وجمهور من العلمانيّين . ويخبرنا احد المؤرخين انها كانت سنة ١٠٩٩ قد تخرَّبت فاعاد بناءها بعد ذلك الصليبيّون على طرز البنايات العصريّة اذ ذاك ولكنهم هدموها هم انفسهم سنة ١١٨٧ لاقترابها من المدينة ولم يتركوا هناك من البناء الّا الاسطبلات

وقد زعم قوم وجود آثار كنيسة هناك سنة ١٨٨١ فابتاع الآباء الدومينكيّون المكان وأخذوا بالنبش والتفتيش فافضى بهم سنة ١٨٨٩ الى وجود كنيسة على ثلاثة عشر مترًا طولاً وسبعة ونصف عرضاً ورافدة مذبح منقوش عليها

صورة السيّد بين رسله الاثني عشر وعلى مقربة منها اكتشفوا على كنيسة اكبر قد رصفت ارضها بالفسيفساء مع حنية واسعة الى صدرها. فقال الآباء وظنَّ الكثيرون من العلماء بانها كنيسة القديسة اودوكسيا ومحل رجم القديس استفانس واقاموها على آثارها باعظم حزق وابدع نظام مع المحافظة ما استطاعوا على رسمها القديم واستحصلوا لها من رومية امتياز الكنائس الكبرى الباسيليَّة او الملوكانية

وان خرجتَ من بناء الآباء الدومينيكيّين الجليل الفسيح وتتبَّعت الطريق السالك الى الجهة الشماليَّة ترى عن اليسار تلول المصابن وعن اليمين كنيسة البروتستان ومسكن اسقفها الانكليزيّ وبعد بضع دقائق تصادف طريقًا يذهب صعودًا الى اليمين ومنهُ ترى بعد قليل الى اليسار باب الساحة التي فيها

— ٤ —

قبور الملوك او السلاطين

لهذه القبور شأن خطير عند الاثريّين فقد ذكرها يوسيفوس المؤرخ وهي احسن انموذج حُفظ الى الآن من قبور اليهود

قبور الملوك او السلاطين

على الطرز الذي كانت تُصنع عليهِ حتى عهد المسيح ومنهُ تفهم باجلى وضوح كلمات النسوة بينهنَّ يوم احد القيامة اذ كنَّ آتيات ليحنطنَ يسوع «مَن يُدحرج لنا الحجر عن باب القبر» اذ يُشاهَد هناك على باب المدفن حجر قائم كمصراع الباب يدخل طرفاهُ في نقرتين من اعلاهُ ومن اسفلهِ فيروح عليهما ويجيء وفق ما تروم غلق باب المدفن او فتحهِ ولكن يستدعي لذلك قوَّة رجل جبَّار مما يعجز عنهُ طبعًا نسوة ضعيفات . وقد ابتاع هذه القبور سنة ١٨٧٩ قنصل فرنسا ووهبها لدولتهِ فنسفت ارضها واكتشفت على ما فيها من الآثار . واجلها ناوس منقوش بغاية الاحكام وعليهِ كتابة بالسريانيَّة والعبرانية قد نقل الى متحف اللوفر في باريس

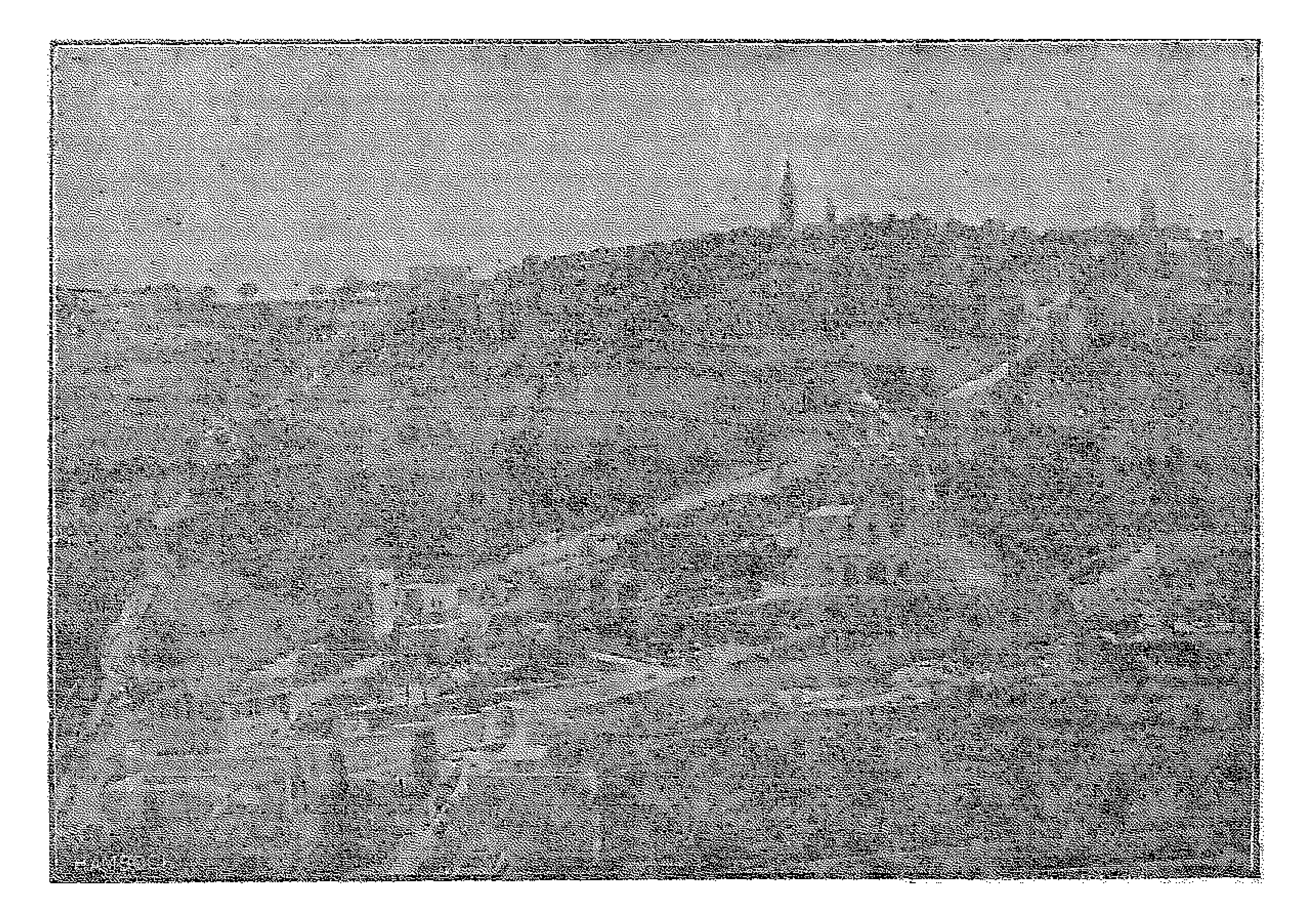
ومن قبور الملوك تتَّبع طريق نابلوس ايضًا لجهة وادي الجوز صعودًا الى ان تبلغ الى حيث السكة الحديديَّة التي أُنشئت سنة ١٨٩٨ فتترك طريق نابلوس وتأخذ هذه متجهًا نحو الشرق فتبلغ قمة الجبل حيث اتى اسكندر الكبير بعد افتتاح غزة للاستيلاء على اورشليم فخرج اليهِ رئيس الكهنة يدُّوس متشحًا بملابسهِ الحبريَّة مع جمهور غفير قصد استعطافهِ فاندهش الفاتح

لهذا المشهد وخضع للحبر فسار معهُ الى الهيكل وقرَّب لله القرابين . ومن هناك اذا ما اتّبعت الطريق نحو جبل الزيتون ترى منظر لا مثيل لهُ . ففضلًا عن المدينة بارجائها يمتد النظر الى الشرق على سهل يهوذا باتساعهِ حتى نهر الاردن وشيء من بحيرة لوط وسلسلة جبال جلعاد ومواب وهكذا الى ان تنتهي في سيرك الى

— ٥ —

جبل الزيتون

ويُدعى ايضًا جبل الطور وهو مقابل جبل بيت المقدس او الهيكل السليمانيّ لا يفصلهُ عنهُ الّا وادي قدرون . وينقسم هذا الجبل اي جبل الزيتون الى ثلاث قمم متتابعة أُولاها الشماليَّة وتُدعى جبل الجليل منذ القرن الثالث عشر ثم دُعيت في الرابع عشر جبل ايها الجليليّون الماعًا لآية الكتاب وما قالهُ الملاكان للتلاميذ القائمين هنالك يوم الصعود السيّديّ . ويُدعى اليوم كرم الصيّاد وهو الآن فسيح وفيهِ بيت اسقف أريحا للروم وآثار قديمة فتتركهُ الى اليمين ذاهبًا امامك على نحو ثمانمائة متر



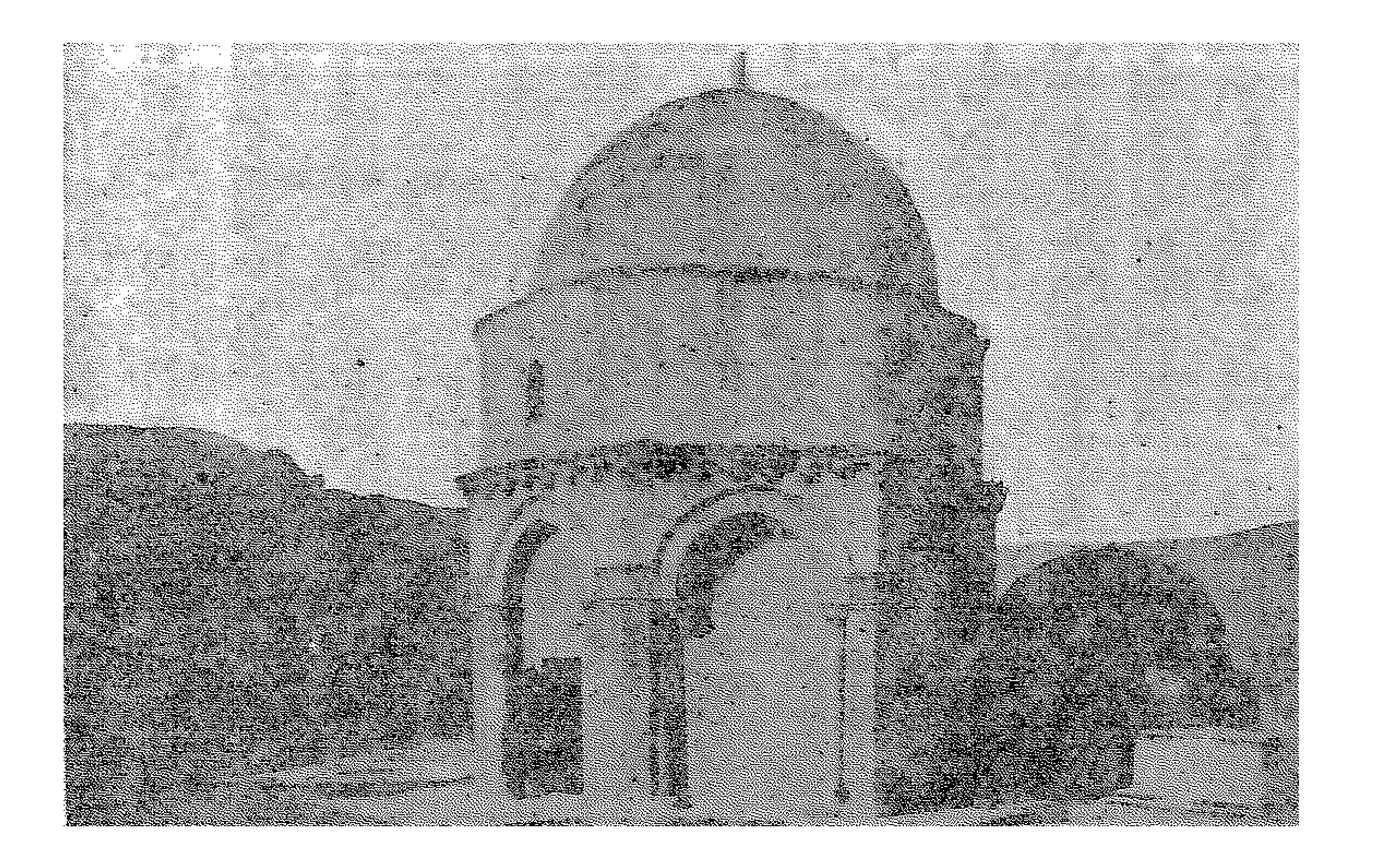
جبل الزيتون

فتبلغ محل الصعود نفسه وهو القمة الثانية وترتفع عن موازاة ساحة الهيكل نحو الستين مترًا ولا تبعد عنهُ سوى سبعمائة متر لو فرض البعد خطًا مستقيماً . ثم القمة الثالثة ولا اسم لها فانها تتصل ببطن الهواء وفيها قبور الانبياء وارتفاعها يوازي الحرم الشريف

— ٦ —

☩ محل الصعود

ان القديسة هيلانة قد أشادت بناءين فاخرين على هذه القمة احدهما دُعي الهيكل وهو في محل الصعود نفسه والثاني دُعي الزيتونات وموقعهُ على المغارة حيث تنبأ السيد على خراب اورشليم وعلى مجيئه الاخير (متى ٢٤ : ٣) ولم يكونا في الحقيقة الّا واحدًا كما كان القبر المقدس والمرتيريون واحدًا فالاول كان لحض الذكر وهو المقام واما الكنيسة حيث اجتماع المؤمنين واقامة الرتب البيعيّة والصلوات فهو الثاني في كلا المحلين كما يُرى الى الآن في بعض كنائس ايطاليا المنفصلة عن حوض المعمودية القائم بنفسهِ الى جانبها . ولذا لا عجب ان نرى في بعض الكتبة



محل الصعود

ذكر مقام واحد . ان الكنيسة او الزيتونات لم يُشاهَد لهـا اثر حتى الآن ولذا زعم قوم انها كنيسة الابانا . واماً الهيكل ذاتهُ او مقام الصعود فيخبرنا القديس ايرونيمس انهُ كان بناء مستديرًا مكشوفًا . ونعلم عن سواهُ بان البناء المكشوف المستدير كان كناية عن ساحة فسيحة تحيطها ثلاث دوائر متداخلة من الاعمدة يبلغ قطر الدائرة الصغرى خمسة وثلاثين مترًا وتعلو الاعمدة حنايا وقبب حول هذه الفسحة كمدخلَين عظيمَين اليها والارض مرصوفـة بفصوص الرخام والفسيفساء . واماً الصخرة الشريفة حيث ارتفع المخلّص تاركاً اثر قدميهِ الطاهرتين فكانت مكشوفة تحت السماء في وسط الساحة المذكورة محاطة بدرابزين معدنيّ والى جانبها هيكل مكشوف ايضاً . وفي القرن الحادي عشر كانت الصخرة تحت قبة مكشوفة الوسط ومحاطة بالجدران ربمـا من بنايات البندكتيّين او احد قياصرة الرومان في ذلك العهد . واماً القبة الحالية فهي من بناء الصليبيّين ما خلا بعض تغييرات طرأت عليها مع الزمان . واماً الصخرة الشريفة فهي التي قبّلها القديس ايرونيمس وقد زال مع الزمن اثر احدى قدمَي السيّد فلم يعد يُشاهَد الاّ اثر قدم واحدة . فهناك بارك المخلّص

التلاميذ لآخر مرة على هـذه الارض وامرهم ان يذهبوا لتعليم الامم وتعميدهم وتحريضهم على حفظ الناموس والوصايا ووعدهم ان يكون معهم حتى الانقضاء (لوقا ٢٤ : ٥٠ — ٥٣ واعمال ١ : ٩ — ١٣) والى الآن يذهب الاخوة الاصاغر آباء الارض المقدسة كل سنة من عشية الصعود الى هذا المقام الشريف فيقضون الليل هناك تحت الخيام حيث يجتمع الشعب لحفلة العيد وحضور الطقوس الكنسية فيتلى الفرض الالهي داخل المقام حيث ينصب الآباء تحت القبة هيكلين منتقلين تدوم عليهما الذبائح متواصلة من نصف الليل الى نصف النهار .

ومن هناك الى الشرق بناية مهمة الروسيين حيث بعض الآثار القديمة اخصها واجملها الفسيفساء البديعة مما يرتقي لا شك في القدم الى القرن الرابع وربما الى عهد السيد المسيح او اكثر

— ٧ —

✝ ظهور الملاك جبرائيل للبتول الطاهرة

الى الغرب القبلي من قمة ايها الجليليون حيث ينعطف الطريق الى الجسمانية نحو القبلة كان في القديم كنيسة كثر

ذكرها بين الكتبة والمؤرخين منذ القرن الرابع وقد ازيل آخر اثر من رسومها الباقية سنه ١٨٨٠ وهناك على ما جاء التواتر المتواصل ظهر الملاك جبرائيل للبتول مريم البكر الطاهرة اذ كانت ذاهبة لتصلّي في جبل الزيتون فبشرها انها ستنتقل بعد ثلاثة ايام من هذه الحياة لتكون مع وحيدها الى الابد واعطاها البشير السماويّ نخلةً اشارة الى دخولها دار الخلود بالغلبة والمجد الوسيم

— ٨ —

☩ كنيسة الابانا

ومن كنيسة الملاك الى القبلة ترى بناية راهبات الكرمل وهي تنطوي على دير فسيح الارجاء وكنيسة لطيفة . وذهب بعض الكتبة ان السيّد قد علّم صلاة الابانا هنالك (كما جاء في لوقا ١١ : ١ — ١٣) وقد ابتاعت هذا المحلّ الجليل اميرة طور دوفرن سنة ١٨٦٩ واشادت فيه كنيسة وديرًا اسكنتهُ سنة ١٨٧٦ الكرمليات الافرنسيات مواطناتها وترى في ظاهر الدير فسحة بأروقة تقوم على اقواس برسم البركار مستندة الى

اعمدة من طرزها والمفتوحة من هذه الاقواس ثمانية وعشرين وامامها الواح كبيرة من الخزف الملون اللامع مرصوفة على الجدران وعلى كل لوح منها صلاة الابانا مرسومة بلغة تختلف عن اختها والمجموع خمسة وثلاثين لوحاً ولغةً . والى شرقيّ الاروقة باب الكنيسة وهي متقنة الهندمة والزينة . وفي خروجك من الدير ترى عن شمالك الى الغرب على مقربة من الباب بئرًا قديمة قد جُعلت الآن معبدًا يُدعى مغارة نؤمن

— ٩ —

† المبكى السيّديّ

اذ تترك دير الكرمليَّات منحدرًا في طريق محجر نحو وادي يوشافاط تترك عن شمالك دير راهبات القديس مبارك الافرنسيَّات وتتبع المسير على نحو مائة وتسعين مترًا فتبلغ المحلّ حيث بكى يسوع على مدينة اورشليم يوم جاء من بيت عنيا راكبًا اتانًا (لوقا ١٩ : ٢٩ — ٤٤) ولا يعترض بوعورة المحلّ الآن فان الجبل كان كلهُ مغروسًا في القديم تعلوهُ الاتربة المخصبة . واماَّ بعد تعريتهِ فقد جرفَت السيول الاتربة وكشفَت

الصخر فضلًا عن ان الطريق الى المدينة كان من هناك منذ عهد عريق في القِدَم . وقد أُشيد الى جانب هذا المكان في القرن الثاني عشر كنيسة على الجهة الشمالية من الطريق ثم اضحت جامعًا دُعي بالمنصورية وهو الآن خرابًا . وقد اشـاد الاخوة الاصاغر آباء الارض المقدسة امامهُ الى الجهة الاخرى من الطريق نحو القبلة معبدًا صغيرًا سنة ١٨٩١

ثم تعود من حيث اتيتَ نحو كنيسة الكرمليّات فتأخذ الطريق القبليّ فتبلغ على مائة وخمسين خطوة الى قبور الانبياء وهي دياميس او مغاور متعدّدة متشعبة ذهب المحققون من الاثريّين انها مقابر للمسيحيّين الغرباء . فمنذ القرن الرابع والخامس قد دُعيت بقبور الانبياء ربما لوجود قبر كان قد اشادهُ الفريسيّون على اسم احد الانبياء في تلك الجهة والله اعلم

ثم تعود نحو زاوية الشمال الغربيّ من دير الراهبات فتلتفت الى اليمين نحو الشرق متّبعًا الطريق الآتي من كنيسة مبكى السيّد المسيح على اورشليم وقبل ان تقطع حدود بستان الكرمليّات ترى الى شمالك محلًّا يعلوهُ شارة الاخوة الاصاغر قد ابتاعوهُ من عهد قريب يمتدّ حتى حدود جبل الصعود .

وهو يشتمل لا شك على القسم الاكبر من بنايات جبل الصعود القديمة . ومن هناك تلتفت الى اليمين منحدرًا في طريق يشرف على وادٍ حيث اكتُشف الى الجهة اليمنى من سفحهِ على كثير من الفسيفساء والكتابات اليونانيَّة وقبور نصرانيَّة وآثار كنيستَين .

وعلى سبع دقائق من بستان الكرمليات ترى

— ١٠ —

☩ مقدس بيت فاجي

وهو المحل الشريف الذي هرع المؤمنون لاجلالهِ واكرامهِ منذ القرن الرابع فأشادوا فيهِ كنيسة . فكانوا يأتون اليها تحت رئاسة اسقفهم الجليل فيحتفلون بتذكار تلك الحادثة الفتَّانة لما خاطب هناك فادينا الالهيّ مريم ومرتا وعزّاهما بفقد اخيهما لعازر بعد موتهِ باربعة ايام . فالى الآن نرى في تلك الارجاء الحجر المدعو بين المؤمنين صخرة الحادثة (يوحنا ١١ : ١ — ٤٤)

وهناك ايضاً في اعتقاد المؤمنين المنقول بالحديث المسلسل المكان الذي فيهِ ركب السيّد لهُ المجد اتانًا وتبعهُ الجموع يوم دخلتهِ الحفلى الى اورشليم على اصوات التهاليل صارخين : مبارك

مقدس بيت فاجي

الآتي باسم الرب (لوقا ١٩ : ٢٩ — ٤٤) ففي كل مدة استيلاء الصليبيّين كانت تبتدئ دورة النخل او الشعانين من تلك الكنيسة بابّهة واجلال آتية حتى المدينة المقدسة . وبعد ذلك قد جدَّد الاخوة الاصاغر آباء الارض المقدسة هذه الحفلة سنة ١٥٦٣ كما كانت في عهد الصليبيّين الى ان منعتهم عن ذلك الحكومة بايعاز اليهود ولكنهم لم يزالوا مع المؤمنين يتردّدون الى المقدس المذكور سنويًّا حفاوةً بدخول السيّد المسيح مدينة اورشليم منتصرًا يوم احد الشعانين

وقد اكتشف سنة ١٨٧٦ الاخوة الاصاغر في ذلك المكان عينهِ حيث كانوا يبتدؤوا تلك الحفاوة السنويَّة على حجر مكعب الشكل قد نوَّه بذكرهِ الاقدمون في الكلام عن هذا المحل وعن كنيسة بيت فاجي وهو حجر مربع قد أُخرج عنهُ نقرًا في ذات الصخر من جهاتهِ الاربع فبقي متصلًا بالجبل من قاعدتهِ يؤلف معهُ قطعة واحدة وعليهِ الى جهاتهِ الثلاث التصاوير الملونة البديعة. وقياسهُ متر وثلاثون سنتي طولًا ومتر وعشرة سنتي عرضًا في متر واحد علوًا . فالى صفحتهِ الشماليَّة صورة برج منيع وعليهِ جمهور من الرجال مجتمعون حول اتان وحمار والى الشرق

جمهور يحملون سعف النخل مجموعة . وقد تشوَّه على هـذه الصفحة شيء من التصاوير حيث يظنّ رسم السيّد راكبًا اتانًا . والى القبلة اي لجهـة بيت عنيا يُشاهَد جليًا على الحجر صورة الاختين مريم ومرتا جاثيتينْ على قدمَي السيّد والى وراءهمـا انبعاث لعازر من القبر . والى الغرب كتابة يظهر فيها رغمًا عما طرأ عليها من التشويه مغزى التصوير وعلّم شخص بكنيته فربما هو اسم المصور . وفي هذا المحل عينهِ قد اكتُشف على آثار كنيسة لا تبعد حنيتها اكثر من مترين عن الحجر المصور المذكور وتقيس اثني عشر مترًا طولاً في ثمانية أمتار عرضًا

— ١١ —

صخرة المحادثة

حينما أقبل يسوع آتيًا من اريحا متجهًا نحو بيت عنيا وكان قد مات لعازر ومضت اربعة ايام على دفنهِ وكانت اختاهُ تبكيانهِ في البيت مع النادبات والنائحين وكان المخـدع غاصّ بالزائرين والمعزّين فحالما سمعت مرتا بقدوم السيّد تركت عوّادها وهرعت لاستقبالهِ بالبكاء والنحيب . ومذ وقع نظرها على شخصهِ الشريف

انطرحَت على قدمَيهِ صارخةً «يا رب لو كنتَ ههنا لم يمُت اخي» فبعد ان اخذ يسوع بتعزيتها رأت ان تستدعي اختهـا مريم ففعلَت . فتركَت حالاً اختها ايضاً البيت واتت الى المخلّص وقد تبعها العوّاد فصادفَتهُ حيث كان يُخاطب مرتا فخرَّت على قدمَيهِ بالنحيب قائلةً هي ايضاً «يا رب لو كنتَ ههنا لم يمُتْ اخي» فلما رآها يسوع تبكي مع مَن معها ارتعش بالروح وحرَّك نفسهُ وقال «اين وضعتموهُ» فأجابوا «يا رب تعال وانظر . . . فدمَّع يسوع»

ولا شك ان هذه الملاقاة كانت على الطريق المؤدّي من بيت عنيا الى اريحا ولكنها لم تكن اذ ذاك الجادة الحالية المستحدثة منذ عهد عبد الملك اذ نشاها نحو القرن السابع الى قبليّ اللعازريّة بل تلك القديمة الرومانيّة الى شماليها كما كان منذ عهد داود النبي . ويظهر ذلك جليّاً من نصوص الكتبة والمؤرخين . واما مَن خالفهم فقد اغرتهُ هذه السكة الجديدة . وعلى كل فقد اجمع التواتر على ما اثبتهُ ثقاة الرواة بان موقع بيت فاجي هو الى نصف الطريق بين بيت عنيا وجبل الزيتون وهو وحدهُ برهان قاطع فضلًا عن تعزيزهِ بما سواهُ عن الادلة والآثار الواضحة

— ١٢ —

بِركة مامِلّا

ان خرجتَ من باب الخليل تسير دقيقة واحدة على طريق يافا ثم تنحاز عنهُ الى مفرق عن شمالك فيبلغ بك في خمس دقائق الى مقبرة للمسلمين وفي وسطها بِركة كبيرة يقيسها تسعون مترًا طولًا وستون عرضًا وستة أمتار عمقًا . ومعظمها منقور في الصخر ومكلّسة بالحجر والطين الى قعرها وجهاتها الاربع معًا . وهي قديمة العهد وربما اشتق اسمها من ماء ميلو الآتي في اقنية حتى جبل صهيون كما يتضح من تلك الاقنية الباقية آثارها الى الان . وكان الى جانبها كنيسة بهذا الاسم اكرامًا للشهداء المسيحيين قد ذكرها الاقدمون منذ القرن التاسع وربما موقعها الى غربيّ البركة حيث مغارة مفعمة عظامًا . وعلى مقربة من هذه البركة مَسح صادوق الكاهن وناثان النبي سليمان فنُودي بهِ ملكًا على اسرائيل بامر ابيهِ داود (٣ ملوك ١ : ٣٣ — ٤١) بينما كان ادونيا اخوهُ يعمل مع حزبهِ على انتحال الخلافة لنفسهِ على صخرة زوحلت او الزويلة بالقرب من عين ستي مريم في سلوان كما ذكرنا هناك . وقد اشتهرت هذه البركة خصوصًا بنبوة اشعيا التي

نطق بها امام آحاز «على آخر قناة البركة العليا في طريق حقل القصار» (اشعيا ٧ : ٣) فان هذا الملك اذ سمع باقتراب جيش العدو هلع جدًّا وخرج الى تلك الناحية ليرى ربما كيف يمكنهُ قطع الماء عنهم كما صنع خلفهُ من بعدهِ . فارسل العليّ نبيهُ اشعيا لتسكين روع الملك . قال الرب لآحاز سل لنفسك آيةً . . . فابى الملك ان يجرب العلي العظيم وحينئذٍ فاه النبي بتلك النبوة الشهيرة « ها ان العذرآء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمهُ عمانوئيل » (اشعيا ٧ : ١٤)

ثم بعد بضع سنين على عهد حزقيا الملك ابن احاز وخليفتهِ اقبل جيش ملك اشور برئاسة ربشاقا يتهدد اورشليم فاحتل هذه الناحية كما يظهر من ظروف الحال وفق نصّ الكتاب فهناك الموقف الوحيد الذي يمكّن الجيش من الاقامة لوجود الخضرة والماء ومن مخاطبة الشعب لاقترابها من اسوار المدينة والى هناك عرف في كل الاعصار حقل القصّار

— ١٣ —

دير المصلّبة

بعد انْ تسير في نفس الطريقِ الذي اتيتَ منهُ الى المقبرة وتترك عن اليمين مدرسة الايتام لاباء راتيزبون المدعوة ايضًا مار بطرس ثم عن اليمين ايضًا طاحونًا قديمًا تنحدر الى وادي المصلّبة فترى الى وسطهِ دير الأروام المدعو دير المصلّبة او دير الصليب المقدَّس قد اشادهُ على ما قيل ميريان اوَّل ملك مسيحي على غروزيا (Grusie) نحو القرن الثالث ثم هدمهُ سنة ٥٣١ السامريّون فبناهُ القديس سابا ثانيةً او رمَّمهُ ثم هُدِم في القرن التالي ثم باعهُ الرهبان الجرجسيّون اخيرًا للأروام في القرن الثامن عشر. وهو دير يلوح عليهِ طرز البنايات القديمة على عهد يوستنيانس خصوصًا في طبقتهِ السفلى وكنيستهِ التي لا يختلف نسقها عن كنائس ذلك العهد رغمًا عن الترميمات العديدة في القرون المتوالية. ونقل لنا التواتر منذ القرنِ الرابع بان صليب الخلاص قد قُطِع من شجرة كانت حيث الآن الكنيسة. وقد زاد على هذا التواتر في القرن السابع او الثامن ان الشجر كان من السرو قد زرعهُ لوط حفيد ابرهيم الخليل. واما الفسيفساء

المرصوفة في ارض الكنيسة والتصاوير المزدانة بهما جدرانها فهي من القرن السابع . والى ما وراء الهيكل الكبير نحو الحنية الوسطى هو المحل حيث كان شجر الصليب المقدَّس على ما يُقال . ومن دير المصلَّبة يمكنك الذهاب الى عين كارم في طريق وعرة نبلغ بها بمسافة اربعين دقيقة الى طريق العربات حيث يبقى عليك نحو نصف ساعة في طريق سالك



من اورشليم الى بيت لحم

— ١ —

بركة السلطان وجبل المؤامرة وبئر المجوس

تخرج من باب الخليل فيضحى جبل صهيون الى شمالك ثم ترى عن يمينك بركة السلطان وهو حوض عظيم لمياهِ الامطار قياسهُ نحو المائة وثمانين مترًا طولًا في ثمانين مترًا عرضًا ومعظم انخفاضهِ عمقًا عشرة أمتار . وليس هو في الحقيقة الَّا نفس الوادي قد سُدَّ من طرفهِ الادنى بحائطين منيعَين واحد لحجز

الاتربة عنهُ والآخر لجمع ماء المسيل وعليهما اليوم يمرّ الطريق كعلى جسر متين . فبعد ان تمرّ منهُ ترى عن الشمال المستشفى الانكليزيّ لتطبيب العيون ثم الى ناحية الطريق الصاعد جبل المؤامرة او سوء المشورة . دُعي بذلك في القرن الثاني عشر استنادًا على ان هناك كانت دار لقيافا حيث اجتمع رؤساء اليهود تحت رئاستهِ ليتداولوا في القبض على يسوع وقتلهِ . وعليهِ فيكون قد فاهَ اذ ذاك بنبوتهِ الشهيرة « خيرلكم ان يموت رجل واحد من الشعب ولا تهلك الامة كلها » (يوحنا ١١ : ٥٠ و٥٢) ويُدعى هذا الجبل بين الأهلين جبل دير ابو ثور . وكان هناك دير على اسم القديس لوقا الانجيليّ والثور رمز عنهُ في اصطلاح المفسرين

ثم على الطريق قبل البلوغ الى دير مار الياس ترى عن شمالك بئرًا تُدعى قاديسمو وهي ربما لفظة يونانيَّة بمعنى الراحة . وقد جاء في التواتر منذ القرن السادس ان العذراء الطاهرة قد استراحت هنيهة حين مرورها من هناك ذاهبةً الى بيت لحم . وكان في تلك الجهة كنيسة على اسم البتول قد ذكرها كتبة ذلك العهد . وتُدعى ايضاً هذه البئر بئر المجوس اذ يُقال ان هناك قد ظهر

النجم للمجوس من جديد بعد ان غاب عنهم (متى ٢ : ٨ — ١٠) والى خمس دقائق من هذه البئر ترى عن شمالك ايضاً

— ٢ —

دير مار الياس

وهو على نصف الطريق بين اورشليم وبيت لحم متين البناء كحصن منيع قد اشادهُ على ما قيل الامبراطور هيرقليوس وقد ترمّم في القرن الثاني عشر وفي القرن الحاليّ . وبعد ان تجتاز هذا الدير تظهر لك الى القبلة بيت لحم . وبين القبلة والشرق جبل الافرنج . وبعد عشرة دقائق او اكثر ترى عن يمينك على قمة مرتفعة دير الطنطور وهو بناء جميل قد أشادهُ فرسان مالطة مستشفى للمرضى وفيهِ معبد لطيف وقد استُودع الدير بمشتملاتهِ لادارة رهبان مار يوحنا الربّاني منذ سنة ١٨٩٣ . وفيهِ تُعطى المعالجات والعلاجات مجاناً . وعن شمالك ترى حقلاً فسيحاً تكثر فيهِ الحصى الصغيرة كالحمّص ويُدعى لذلك حقل الحمّص ويحكى ان حمّصهُ استحال الى حجارة قصاصاً لصاحبهِ . قيل لكذبهِ او عتوهِ اذ سُئل ماذا يزرع فاجاب حجارة وقيل لبخلهِ اذ سألتهُ

العذراء شيئاً منهُ لسدّ جوعها فالجي . وبعد قليل من هناك تبلغ قبة راحيل او

— ٣ —

قبر راحيل

وهو على جادة الطريق الى اليمين يرقى في القِدَم الى ثلاثة آلاف وثمانمائة سنة يجلّهُ الاسلام والنصارى واليهود على توالي الاعصار « فيما كان يعقوب ابو الاسباط آتياً مع ذويهِ من بيت ايل على ميل واحد من افراتة ولدت راحيل (زوجتهُ) وعسر ولادها فقالت لها القابلة لا تخافي فان هذا ايضاً ابن لكِ وكان قبل ان تفيض نفسها ان سمّتهُ ابن أَلَمي . واما ابوهُ فسمّاهُ بنيامين وماتت راحيل ودُفنت في طريق افراتة وهي بيت لحم . ونصب يعقوب نصباً على قبرهـــا وهو نصب قبر راحيل الى اليوم » (تكوين ٣٥ : ١٦—٢٠) وقد جاء ذكر هذا القبر تكراراً بين الكتبة والمؤرخين منذ القديم وعنهم نعلم بانهُ كان بناء من حجر . ثم اشار اليهِ احدهم في القرن السابع فقال انهُ على شكل هرم وجاء في نصوص مَن كتَبَ عنهُ في القرن الثاني عشر ومن جملتهم الادريسيّ بان هذا الهرم مؤلف من اثني عشر حجرًا

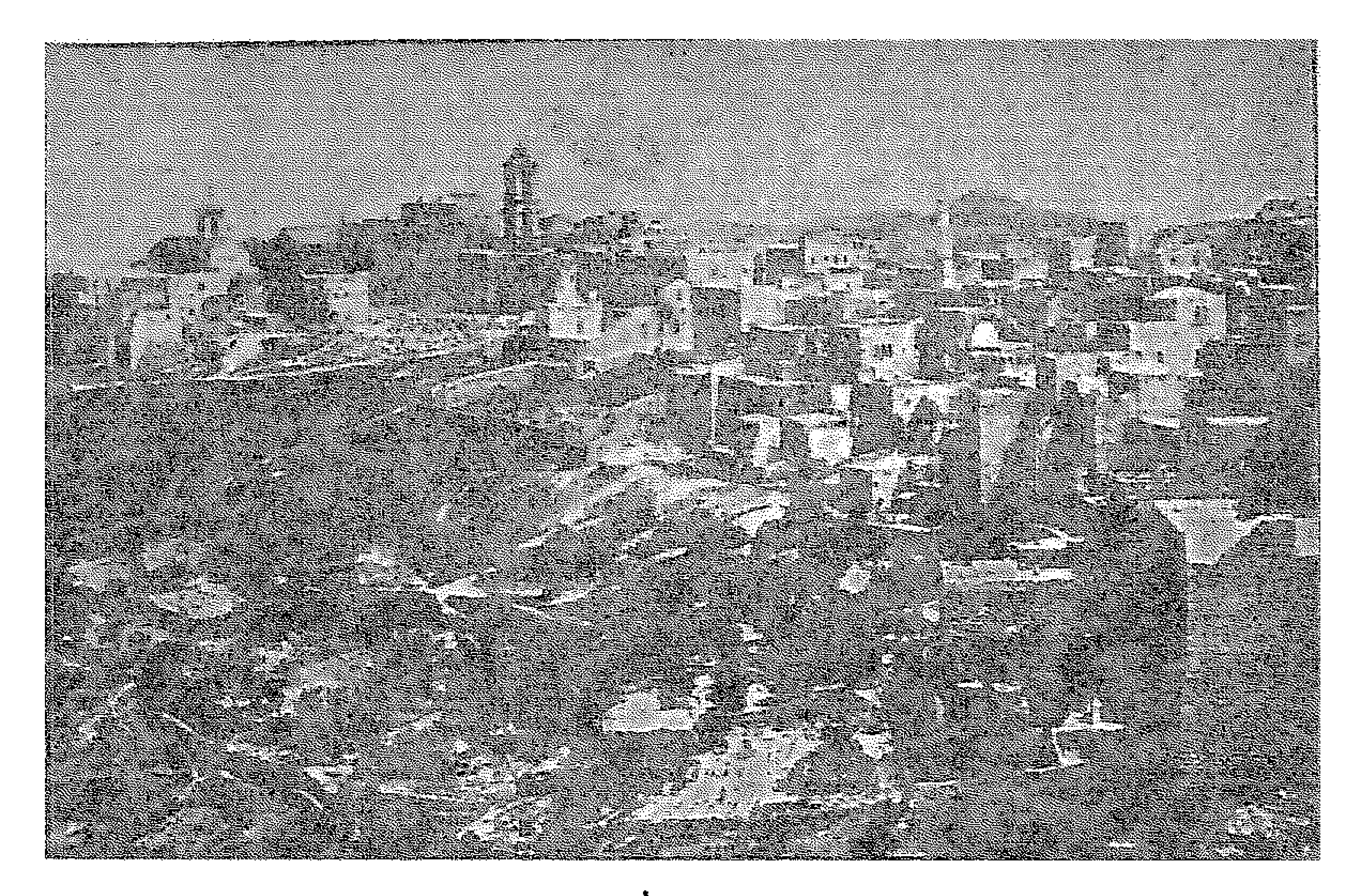
قبر راحيل

كناية عن عدد الأسباط . آه . ولمَّا جاء الصليبيُّون شادوا عليهِ بناية مربَّعة عرض كل جهة منها سبعة أمتار تقوم على اربع دعائم يعلوها اربعة اقواس برسم البركار وانفراج كل منها ثلاثة أمتار وفوقها قبة ترتفع مع دعائمها الى ستة أمتار عن الحضيض . وبين القرن الخامس عشر والذي يليهِ اندثر الهرم واحتاجت البناية المربَّعة الى ترميمات متوالية . وفي القرن السابع عشر سدَّ محمد باشا حاكم القدس الاقواس الاربعة بالحجر والطين واقام في الداخل بناء على شبه تابوت بدلاً من الهرم واخيرًا سنة ١٨٤١ فاز اليهود بواسطة مُنتي فيوري الثريّ الانكليزيّ بالحصول على مفتاح قبر راحيل وبنوا امامهُ غرفة توازيهِ طولاً وعرضًا وتتصل بهِ بحائطها من الجانبَين لا يفصلها عنهُ من الداخل الاَّ جدار على طول مترَين واليهِ الباب وجعلوا في الغرفة محرابًا فأصبحت هذه الغرفة المستجدَّة مسجدًا للصلاة . ويتشعب الطريق بعد قبة راحيل الى ثلاث طرق تذهب احداها توًّا نحو حبرون والثانية الى اليمين نحو بيت جالا قرية كلها نصارى وفيها دار فسيحة لبطريركيَّة اللاتين وكنيسة رعائيَّة ومدرسة لراهبات القديس يوسف الخ والشعبة الثالثة عن شمالك توصلك الى

— ٤ —

بيت لحم

ولفظة لحم في هذا الاسم للبلدة سريانيَّة الاصل ومعناها الخبز فتكون ترجمة الاسم بيت الخبز كما ذكر الآباء الكرام والعلماء الاعلام وقد دُعيَت في الكتاب الشريف باسم افراتة ايضاً وهو ربما اسمها الاول ومعناهُ «المثمرة» وسمّاها ميخا النبي بيت لحم افراتة تمييزًا لها عن بلدة اخرى تُدعى بيت لحم في تخوم ذابلون في الجليل . واماَّ بيت لحم هذه فهي وطن يوناتان اللاويّ وأبيملك ونعمى حماة راعوث الموابيَّة التي تروجت بعد رملتها بتلحميّ غنيّ يُدعى بوعز وعن هذا الزواج ولد عوبد ابو يسّى وجدّ داود النبيّ الذي عنهُ قد جاء عمانوئيل مخلّص البشر كما جاء في الانبياء منذ القديم . ولما رذل الرب شاول بعث بصموئيل النبي الى بيت لحم وامرهُ ان يجمع شيوخها ويذبح بحضرتهم ويمسح داود الشاب ملكاً على اسرائيل وبعد سنين قلائل أثار الفلسطينيّون حرباً على بني اسرائيل وكان في جيش العدو جبَّار عنيد يُدعى جليات فبارزهُ داود اليافع ورشقهُ بحصاة في مقلاع فجندلهُ على الارض . ثم هرع اليهِ واستل منهُ سيفهُ فقتلهُ بهِ . وبعد موت شاول قام داود ملكاً على يهوذا ثم خضعت لهُ سائر الاسباط . ومن هذه المدينة بيت لحم خرج الكثيرون من مشاهير الرجال قد جاء ذكرهم في الكتاب الشريف وعلى اقلام المؤرخين . واشهرهم القديس يوسف البار خطيب مريم العذراء . فانهُ وان



بيت لحم

كان قاطنًا في الناصرة فان اصلهُ كان من بيت لحم ولذا اذ صدر امر أوغسطس قيصر باكتتاب النفوس في المملكة كل واحد في وطنهِ الاصليّ التزم القديس يوسف ان يسافر مع خطيبتهِ مريم العذرآء الى بيت لحم . وحينئذٍ تمَّ فعلًا ما كان قد تنبأ عنهُ ملاخيا قبل ذلك بسبعمائة وخمسين سنة اذ قال : « وانتِ يا بيت لحم افراتة انكِ صغيرة في الوف يهوذا ولكن منكِ يخرج لي من يكون متسلطًا على اسرائيل ومخارجهُ منذ القديم منذ ايام الازل » (ميخا ٥ : ٢) وكانت بيت لحم الى القرن الخامس عشر محاطة بالاسوار واماً الآن فهي بلدة يبلغ عدد سكانها العشرة آلاف نفس وفيها الاخوة الاصاغر والكنيسة الرعويّة والدير ومضاف الغرباء من الزوّار ومدرسة للصبيان واثنتان للبنات تديرهما راهبات القديس يوسف ومأوى للايتام اسّسهُ الأب بِلّوني محتوٍ على كنيسة جميلة ومدرسة ومشاغل صناعيّة ودير لراهبات المحبة وآخر لاخوة المدارس المسيحيّة فيهِ يُرشَّح المبتدئين واخيرًا دير الكرمليّات وآخر لآباء قلب يسوع الافرنسيّين . وللروم كنيسة رعويّة ودير ومدرسة للصبيان واخرى للبنات . وللارمن دير ومدرسة للصبيان وللبروتستانت كنيسة ومدرسة

— ٥ —

كنيسة المهد الكبرى الباسيليّة

يخبرنا العلّامة القديس يوستينس الذي تربّى وعاش في هذه الاقطار حيث مات شهيدًا سنة ١٦٥ «ان القديس يوسف البار اذ جاء الى بيت لحم لم يرَ محلًّا في البلدة فانحاز الى مغارة بالقرب منها »

وأضحت هذه المغارة الشريفة منذ صدر النصرانيّة موضوع الاجلال والاكرام لدى المؤمنين وقد ذكرها اوريجانس واوسابيوس وغيرهما منذ القرن الثاني والثالث. وهناك أشادت القديسة ميلانة وابنهـا قسطنطين الكبير كنيسةً بديعةً تجلّ عن الوصف كما نصّ سقراط والقديس ايرونيمس وغيرهما كثيرون. ثم سطا على هذه الكنيسة بعض التلف في ثورة السامريّين من سنة ٥٢١ الى سنة ٥٢٨ فرمّمها واصلحها الامبراطور يوستنيانس سنة ٥٣١. وقـد جاء في اعمال المجمع الاورشليميّ سنة ٨٣٦ بان واجهة هذه الكنيسة كانت مزيّنة بفصوص الفسيفساء الفاخرة بألوانها القادحة يتخلّلها الذهب الناصع وتشخّص برسومها سجود المجوس للطفل يسوع. فلمّا جاء الفرس بحملتهم هجموا على البلاد سنة ٦١٤ فخربوا ودمروا. وإذ بلغوا الى هـذه الكنيسة بَهَرهم ما رأوا مرسوماً عليها خصوصاً ممّا يُشخّص ملابس بلادهم وأهلها فاحترموا المكان ولم يمسّوهُ بتشويهٍ. وكذا فعل الخلفاء العظـام من بعدهم الى ان اتّصلت الكنيسة لعهدة الاخوة الاصاغر في عهد الملك الكامل وقد اثبتت من بعدهِ حقوقهم الفرمانات العديدة من لدن السلاطين الكرام الّا ما ندر حتّى سنة ١٥٦٤ حين ابتدأ الروم ان يدّعوا بحقوق موهومة على هذا المقام المقدّس. ولكن قـد ذهبت مساعيهم ادراج الرياح الى ان اتصل بهم الحال ان يهجموا بالقوة على الكنيسة سنة ١٧٥٧ فاحتلوهـا عنوة فانفذ ضدهم السلطان عثمان الثاني امرهُ السامي ولم يعيروهُ اذناً صاغيةً والتزم اللاتين ان يتربصوا ما امكنهم ضد الاغتيال. وهذا ما جرّ الارمن

سنة ١٨١٠ ان يقتدوا بالروم فيحتلوا هم ايضاً الجهة اليسرى من الهيكل الكبير فوضعوا فيهِ هيكلاً لهم وحلّ من الدمار ما حلّ في هذا المقام الشريف البديع

حالة الكنيسة حالاً

ترى اليوم هذا المقام الجليل البديع محاطاً بالاديرة تغمرهُ بجدرانها العالية فلا رونق لهُ ولا منظر. وكانت امامهُ ساحة فسيحة على طول اثنين واربعين متراً في ثلاثين عرضاً والى نواحيها الاروقة مما يُشاهَد منهُ حتَّى الآن اثراً بعد عين وكان في وسط الساحة ثلاثة آثار ومن بعدها النرتكز او الرواق الاعظم امام المدخل يتخطى اليهِ من ثلاثة ابواب شامخة لم يبقَ ظاهراً منها اليوم الَّا الاوسط ممسوخاً بدعامة ضخمة مسدوداً بحائط واليهِ باب صغير حقير منهُ تدخل الآن الى النرتكز المذكور وهو خاوٍ عارٍ مظلم مقسوم بحائطين فظّين يميناً وشمالاً. والى الامام باب واحد شامخ بمصراعين هما من عمل يطون ملك ارمينيا كما يظهر من كتابة منقوشة في اعلاهما بالعربيَّة والارمنيَّة بتاريخ سنة ١٢٢٧

ويرى الداخل من هذا الباب القسم الاكبر من الكنيسة وهو اوسطها يقيس الثلاثة والثلاثين متراً طولاً في ستة وعشرين ونيف عرضاً يقوم على اعمدة الرخام السمّاقي علو كل عمود منها ستة امتار قطعة واحدة وتيجانها المزخرفة كلها من الرخام الابيض على الطرز الكرنثي وهي تربو على الاربعين عموداً على اربعة صفوف الى كل



كنيسة المهد الكبرى الباسيلية

(حالة الكنيسة حالاً)

جهة صفان مما يجعل الصحن منقسماً الى خمسة اسواق وعلى الاعمدة الاطناف الخشبيَّة تحمل السقف من الطرفين . واما الى الوسط فوق الاعمدة فترى حائطين يرتفعان الى علو عشرة امتار عن تيجانها واليهما تستند الاخشاب الظاهرة فتحمل السقف الاوسط . وفي اعلى هذين الحائطين احد عشر شباكاً من كل جهة على عدد الاخشاب المتعارضة على الاعمدة . وعرض السوق الاوسط على حدته عشرة امتار واربعين سنتي . واما الرواقان الآخران الى كل من الجانبَين فلا يبلغان الثانية امتار عرضاً . وقد بنى الروم سنة ١٨٤٢ الى آخر هذا الصحن الفسيح حائطاً غليظاً يُشوّهُ ابهة المقام ويحرمهُ كل رونق وهندام . ومنهُ تدخل في باب الى مصلبة الكنيسة حيث يزداد عرضها عن اسواقها بحنيتَين فسيحتَين الى الطرفَين يليهما الى صدرها زاويتان قائمتان من كل جهة احداهما على عرض الكنيسة يتوسطها عمودان على موازاة صَفي الاعمدة الجانبيين . والثانية اصغر تتصل بالحنيَّة الوسطى حيث الهيكل الاعظم والى انتصاف المصلبة منحدران يبلغان الى مغارة المهد الشريفة وسنذكرها على حدة

زينة هذه الكنيسة في ايامها الغابرة

وقد توشَّحت هذه الكنيسة على عهد اموراي الاول — رابع ملوك القدس (١١٦٣ — ١١٧٣) بثوب زينة فاخرة لا تباري بمساعي ملكها والامبراطور عمَانوئيل كومين الملقَّب بالبولفيري مولدًا (١١٤٥ — ١١٨٠) فان جدرانها الداخليَّة اضحت مرصوفة كلها بالفسيفساء الملونة بالذهب الناصع او بالتصاوير البديعة

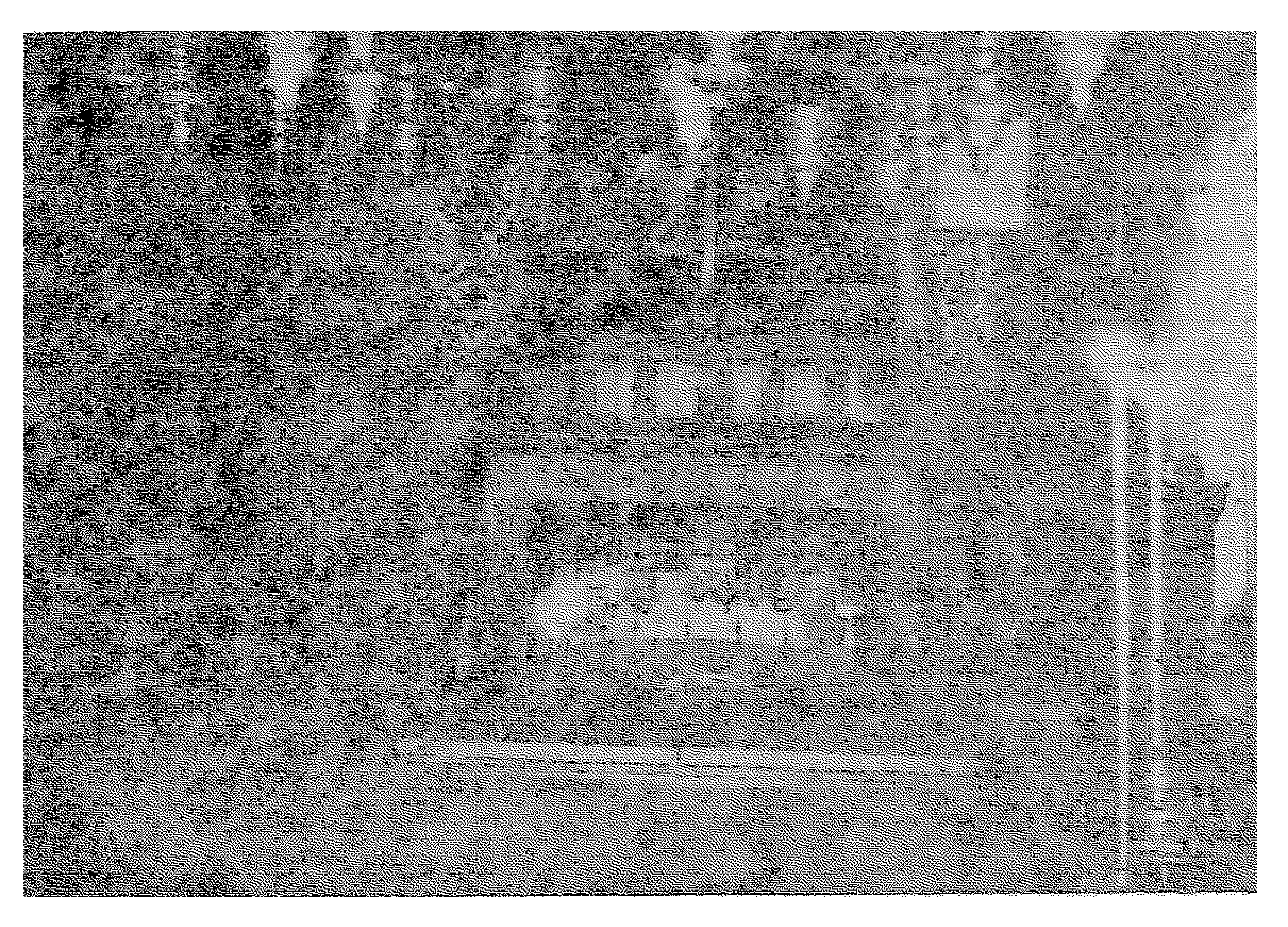
كما يظهر جلياً من آثارها الباقية ومما جاء في وصفها عن كتبة ذاك العصر . فكانت نقوشها تشخص في المصلبة والخورس والمغارة مراسح من العهدَين العتيق والجديد بكتابات تفسيريَّة كلها لاتينية لم يبقَ منها اليوم الَّا ثلاثة مراسح مشوَّهة لجهة المصلبة وهي : دخول يسوع اورشليم في احد النخل وصعوده المجيد الى السماء وظهوره للرسول توما بحضرة التلاميذ في العليَّة . والى الحنية الوسطى صورة شجرة عظمى تشخص دوحة يسّى وعلى اغصانها الانبياء يحمل كلٌّ راية قد نقش عليها باللاتينيَّة آية من نبواتهِ . وفوق طنف صفَّي الاعمدة الى السوق الاوسط من الناحية القبليَّة المجامع السبعة المسكونيَّة يقابلها الى الشمال المجامع الاقليميَّة يُشاهَد منها حتَّى الآن كنائس انقوريا وغورغس وسارديا وهذا الأخير المعقود سنة ٣٤٧ قد اعترف برئاسة الكرسيّ الرسوليّ . واما الكتابات الاعتقاديَّة من تقارير المجامع فكانت مدونة باللاتينيَّة واليونانيّة وكل هذه مما يؤيّد روح التاريخ لذلك العهد فانهُ كان روح الوفق والتقرب منذ سنة ١١٥٠ بين اورشليم والقسطنطينيَّة ورومية . فان الامبراطور عمانوئيل بعث بسفرائهِ الى الحبر الاعظم واقتبل بكل حفاوة واكرام قصَّاد الأب الاقدس في رومية للمداولة في شأن الانضمام التام الى الوحدة فكانت الآمال معقودة لا شك على المناداة بالاتحاد في كنيسة المهد الطاهر حيث ولد ملك السلام مَن لم يجعل على الارض الَّا رعيَّة واحدة لراعٍ واحد . على ان الظروف قد حالت دون هذا المشروع الجليل . ولكن حالة هذه الكنيسة بما كانت وما آلت اليهِ تقوم دليلاً قاطعاً على

ما يؤول اليهِ الانضمام وما يتولد عن الانقسام وهي موعظة فصحى لقوم يعقلون ويؤمنون

— ٦ —

☩ مغارة المهد

كانت لا شك هذه المغارة في سالف الاعصار فسيحة رحبة يمكن الدخول اليها توًّا بلا انحدار ولا عقبات الَّا ان ارتفاع الارض حولها على توالي السنين قد احوج عند بناء الكنيسة ان يُجعل لها سلَّمَين للتوصل اليها من الجهتَين. ولمَّا كانت في صخر طريّ اقتضى تعزيزها بالعقود والدعائم فتجزأت وضاقت فأضحت جهة المهد نفسها لا تزيد على الاثني عشر مترًا ونصف طولًا ونحو الثلاثة عرضًا. والى الجهـة الشرقيَّة منها بين المنحدرَين ترى في الصخر تجويفًا مستديرًا على شكل محراب وعلى سقفه حتى اليوم آثار الفسيفساء مما كان يشخّص ميلاد الرب مقرونًا بكتابة لاتينيَّة وارضهُ مرصوفة بالرخام الابيض تتوسطهُ نجمة فضيَّة مسمَّرة قد نُقش عليها باللاتينيَّة ايضًا سنة ١٧١٧ « ههنا قد وُلد يسوع المسيح من العذرآء مريم » وقد كُتِب ذلك طباقًا للتواتر المخلد من جيل الى جيل على توالي القرون بان هناك



مغارة المهد

قد ولدتْ مريم البكر الطاهرة ابنها الوحيد فادي البشر (لوقا ٢ : ١ — ٧)

وعلى اربع خطوات من هنالك انخفاض لجهة القبلة الغربيَّة تنحدر اليهِ بثلث درجات وقد دُعم مدخلهُ لجهة الشمال بثلاثة اعمدة من القزار القديم فهناك محل المذود ✠ حيث وضعت البتول ابنها على التبن واتاهُ الرعاة بايعاز الملائكة ساجدين (لوقا ٢ : ٨ — ٢٠) والبلاطة الرخاميَّة البيضاء تشير الى محل المعلف . واماَّ المذود الخشبيّ نفسهُ المصفَّح بالفضَّة كما ذكرهُ المؤرخون فهو محفوظ في رومية في كنيسة مريم العذرآء العظمى منذ القرن الثاني عشر . وبازاء المعلف قد اقيم هيكل باسم المجوس ✠ الذين استدلّوا بالنجم على ميلاد المخلّص واتوا فسجدوا لهُ (متى ٢ : ١ — ١٢)

وفي آخر المغارة الى جهتها الشماليَّة باب تدخل منهُ الى مصلّى ✠ بهيكل للقديس يوسف تذكاراً لما أُوحي اليهِ في الحلم اذ اتاهُ ملاك الرب يأمرهُ بالرحيل الى مصر مع مريم العذرآء وابنها الطفل المجيد (متى ٢ : ١٣ — ١٥) ثم تنحدر الى مصلّى ✠ قتل الاطفال الشهداء وهو ارحب من سواهُ هناك وفي



محلّ المذود حيث وضعت البتول ابنها على التبن

وسطهِ عمود ضخم يدعم سقفهُ . وتحت هيكلهِ باب صغير تنحدر منهُ الى مغارة اخرى صغيرة تُفتح مرة في السنة. فهناك وُضعت رفاة بعض اولائك الاطفال الشهداء على ما جاء بهِ التواتر .
ثم تدخل في دهليز آخر الى اليسار فترى هيكلاً على قبر مار اوسابيوس + تلميذ القديس ايرونيمس ومنهُ الى فسحة فيها قبر القديسة پاولا وابنتها القديسة اوسطاكيا وقبر + القديس ايرونيمس الذي رقد بالرب سنة ٤٢٠ . وهذان القبران فارغان وعليهما هيكلان فان جثمان القديس ايرونيمس قد نقل الى رومية فوضع في كنيسة مريم العذراء العظمى واما جسم القديسة پاولا وابنتها فقد أهمل التاريخ ذكرهما من عهد بعيد فنجهل الى اي محل صار نقلهما وربما كانت كل هذه الاماكن محلًّا واحدًا في الاصل مع مغارة المهد الشريف

— ٧ —

+ معبد القديس ايرونيمس

وهو منقور في الصخر على ستة أمتار طولاً واربعة عرضاً يأتيهِ النور من شباك الى رواق دير اللاتين وكان هذا الشباك

في القرن الثاني عشر بابًا يُرقى اليهِ بثماني عشرة درجة الى الدير فسُدَّ لدواعي الظروف وفُتح الممر الذي يوصلهُ الآن مع مغارة المهد . وقد اجمع التواتر على ان من هذا المحلّ او المغارة قد خرجت تلك المؤلفات العديدة النفيسة ممَّا كتب القديس ايرونيمس العلّامة الشهير الذي عمر حتى الثامنة والثمانين قضاها في الكتابة والتأليف . وقد الزمهُ في اواخر حياتهِ يوحنا اسقف اورشليم ان يكون ايضًا خوري بيت لحم لادارة الرعيَّة

— ٨ —

+ كنيسة اللاتين الرعويّة

من هذه المغارة بل المغائر يمكنك البلوغ الى كنيسة القديسة كاترينا اللاتين في سلّم حجريّ الى شماليّ مصلّى قتل الاطفال . وهي كنيسة جديدة على اسم القديسة كاترينا قد بُنيت وتوسَّعت على موقع سالفتها التي كانت منذ القرن الثاني عشر وقد تشيَّدت هذه ايضًا على انقاض الكنيسة التي اشادتها القديسة پاولا حيث كانت منذ القرن الرابع بهذا الاسم عينهِ . وعلى ما نرى ان الباعث لبنائها على اسم القديسة كاترينا من



كنيسة اللاتين الرعويّة

ذاك العهد هو انتخابها قدوة وشفيعة لتلك العذارى الشريفات اللواتي كنّ قد كرسنَ حياتهنّ مثلها بايعاز القديسة باولا المذكورة للصلاة ودراسة الكتب المقدسة. وها الاخوة الاصاغر يخلدون بعدها حتى اليوم تلك الاعمال المبرورة في هذا المكان عينه اذ يقيمون حفلاتهم الدينيّة وينكبّون على خدمة العلم وعمل الخير والفضيلة

— ٩ —

آبار داود ومزارهُ

على خمس دقائق الى الشمال الغربيّ تجاه كنيسة المهد ترى ثلاث آبار تُدعى آبار داود لِمَا جاء بهِ التواتر بان هذا النبي قد تذكرها واشار الى مائها بعد انتصارهِ على الفلسطينيّين في موقعتهِ الشهيرة اذ تنهّد وقال: مَن يسقيني ماء من بئر بيت لحم التي عند الباب وكان جيش العدوّ اذ ذاك معسكرًا هناك فاخترق ثلاثة من الابطال محلة الفلسطينيّين فانتزحوا ماء واتوا بهِ الى الملك داود فلم يرد ان يشربهُ بل اراقهُ لله قائلًا: حاشَ لي يا رب... أأشرب دم قوم خاطروا بانفسهم...

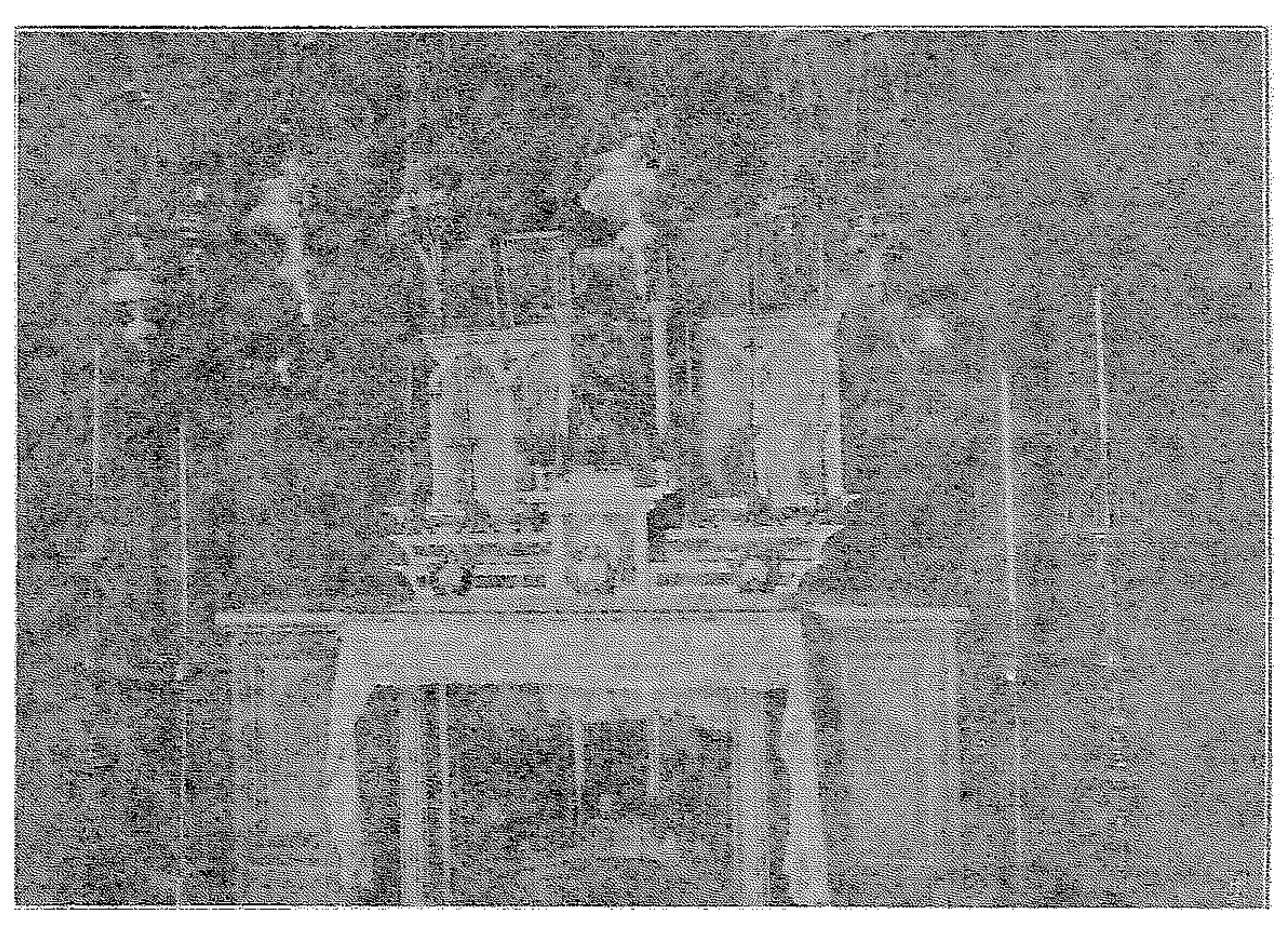
(٢ ملوك ٢٣: ١٥ — ١٧)

وقد اكتُشِف بالقرب من هناك على بقايا كنيسة قديمة مرصوفة بالفسيفساء . وقد بقيت آثارها في بعض الاماكن . فيظهر انها من بنايات الامبراطور يوستينيانس وتحتها بعض القبور العبرانيَّة القديمة وكل ذلك مطابق لِمَا الم اليهِ بعض الكتبة المؤرخين اذ ذكروا الى هذه الجهة كنيسة باسم الملك والنبي داود . ويلوح لنا ان هناك ربما كانت تربة آبائهِ وفوقها قد بُنيت الكنيسة على اسمهِ

— ١٠ —

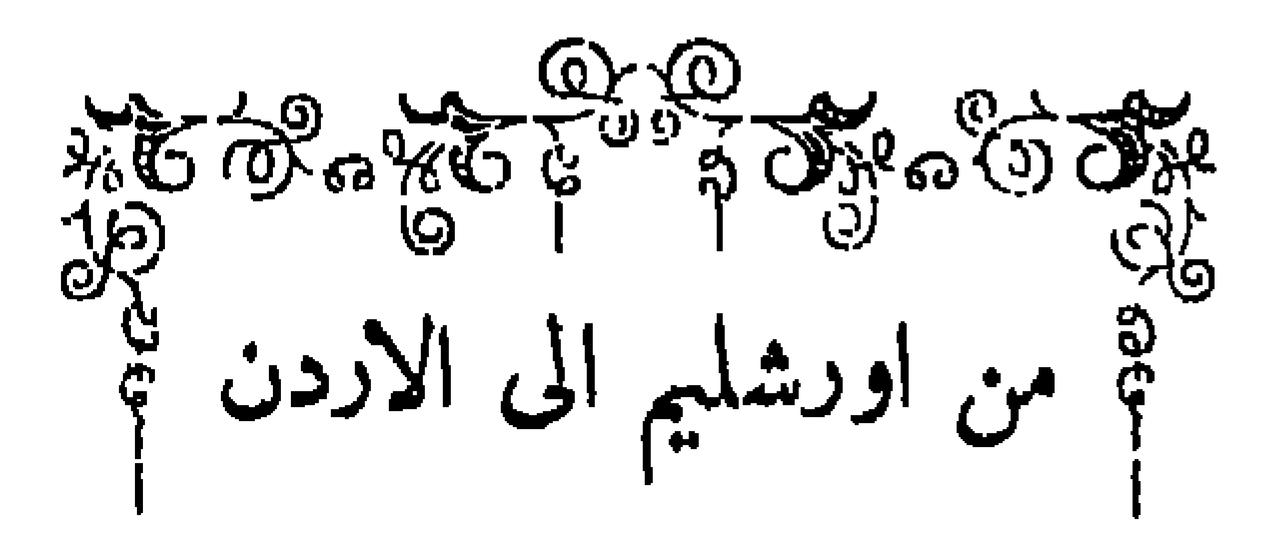
مغارة الحليب

على ثلثمائة متر من كنيسة المهد الى جهة الشرق القبليّ ترى مغارة طبيعيَّة في صخر هش حواريّ تنحدر اليها بسلَّم حجريّ على ثلاث عشرة درجة وقد جُعلت من قديم الزمان معبدًا على اسم البتول تجلّهُ كل الاجيال والنحل . فهناك على ما نقل التواتر قد اقامت البكر الطاهرة مع ابنها الطفل يسوع برهة من الزمان . ولذا تُدعى مغارة ستي مريم او مغارة الحليب بناء على تقليد بين الارمن على ما نقل احد المؤرخين ان الطفل الالهيّ بينما كان يرضع ثدى والدتهِ البكر الطاهرة هناك



كنيسة مغارة الحليب

ســـال من حليبها البتوليّ على الارض . وجاء عن احد كتبة القرن الرابع عشر ان ذلك قد جرى اذ كانت البكر الطاهرة هاربة الى مصر وقيل غير ذلك وعلى كل حال فالمعبد في هذه المغارة يُرقى الى عهد الصليبيّين . ومنـــهُ تؤْخذ تلك الاقراص البيضاء المكرمة في كنائس كثيرة في اوروبا وتُدعى حليب السيّدة وقد اهدى منها اسقف بيت لحم الثالث الى الملك بدوان الثالث حين حصارهِ اسقلون سنة ١١٥٣



من اورشليم الى الاردن

اذ تخرج من المدينة في الطريق الذي ينحدر الى الجسمانيَة ثم تذهب صعودًا على موازاة وادي قدرون مارًّا بين جبل الزيتون وجبل الشك حيث دير رهبان القديس مبارك البندكتيّين يميل بك الطريق على موازاة بطن الهواء نحو الشرق وهناك ترى عن اليمين (على ما جاء بهِ التواتر منذ عهد الصليبيّين) الحقل الذي رأى فيهِ يسوع التينة مملوءة ورقًا بلا ثمر فلعنهـــا

(مرقص ١١ : ١٢ — ٢٣) ثم تمرّ بالمسلخ عن اليمين فتبلغ بعد اربعين دقيقة الى

— ١ —

بيت عنيا

وهناك كان البيت المبارك حيث كان يتردّد يسوع على لعازر واختَيهِ مريم ومرتا ويلقي تلك الجواهر من مواعظهِ الالهيَّة البديعة فمنها ما قالهُ يوماً لمرتا « انكِ تهتمّين بامورٍ كثيرة وما الحاجة الّا لواحد (لوقا ١٠ : ٣٨ — ٤٢) والى هناك قد دعاهُ يوماً سمعان الأبرص للعشاء في بيتهِ وبينما كانوا على المائدة دخلت امرأة بقارورة طيب فافاضتهُ على رأس فادينا الرحوم (متى ٢٦ : ٦ — ١٢) ومن هناك كان السيّد عائدا لمّا بعث باثنين من تلاميذهِ ليأتيا اليهِ بالاتان والجحش فيدخل المدينة راكبًا مصداقًا لمّا جاء عنهُ في الانبياء (لوقا ١٩ : ٢٩ — ٤٤) وبالقرب من هذا المحلّ خرجَتْ مريم ومرتا لاستقبالهِ يوم جاء واقام اخاهما حيًّا من القبر بعد دفنهِ باربعة ايام . وهذا القبر الجليل أصبح محلّ الحرمة والاكرام بين المؤمنين منذ اوائل النصرانيَّة . فان القديس ايرونيمس يخبرنا منذ عهدهِ ان هناك

كنيسة قد أُشيدت على القبر. وتخبر القديسة سيلفيا في القرن الرابع ان المؤمنين كانوا يزورون هذا المكان كل سنة يوم الجمعة الواقع في الاسبوع السابع من الصوم (كذا) وتسمّي المحل ازاريون وهي الترجمة الحرفيّة لما يدعى اليوم بالعازاريّة وهو اسم يشمل القرية كلها بما فيها قبر لعازر

— ٢ —

قبر لعازر

وهو منقور في حجر هش كمغارة مربّعة على ثلاثة أمتار. كأنها العتبة او المدخل ومنها تنحدر في ثلاث درجات الى مغارة اخرى مكعبة على مترَين وهي نفس القبر وعلى بابهِ كان الحجر الذي أمر السيّد برفعهِ والدموع ملء جفونهِ المقدسة. وقد جُعلت المغارتان معبدَين منذ القديم كما يشهد الكتبة الاوّلون ولذا قد أُزيل من المغارة الصغرى مسطبة القبر واستدعت رخاوة الصخر تعزيزها معًا بالجدران والعقود في القرن الثاني عشر لبناء الكنيسة فوقها. ولم يزالا محلّين للعبادة ومدخلها كان من نفس الكنيسة التي كانت في حوزة آباء



قبر لعازر

الارض المقدسة الاخوة الاصاغر الى القرن السادس عشر حين استحالت الكنيسة جامعاً والتزم الآباء المذكورون الى خرق هذا الباب الحالي لجهة الطريق بعد نوال الرخصة لذلك من الباب العالي سنة ١٦١٥ وقد اضحى السلّم على اربع وعشرين درجة كما يُشاهَد الآن (يوحنا ١١ : ١ — ٤٥)

وبعد ان تجوز اللعازاريّة متجهاً نحو اريحا على مسافة نحو الف متر ترى عن اليمين برج حمام حيث توهم قوم الطريق القديم الى اريحا فزعموا ان هناك ملاقاة مريم ومرتا مع يسوع وما فطنوا ان هذه الطريق كلها حديثة العهد الى خان الحترور او منزل السامريّ فمن هناك فقط تبتدئ الطريق القديمة الى اريحا كما كانت اولاً . واما هذا الخان فهو حديث البناء لكنما قد يُشاهَد فيه الى اليوم بعض البقايا من الجدران القديمة العهد المتينة الوضع او الفسيفساء الملونة وهي لا شك من اعمال القرن الثاني عشر اقله وهناك يضع التواتر موقع الفندق الى حيث نقل السامريّ الرحوم جريحهُ معتنياً بامرهِ واوصى بـهِ صاحب الفندق (لوقا ١٠ : ٣٠ — ٣٧)

— ٣ —

ريحا او أريحا

هي في الاصل المدينة الكنعانيَّة القديمة المحصنة التي صادفها الاسرائيليون اوَّلاً بعد اجتيازهم الاردن ودوخوها باعجوبة باهرة . وكان موقعها بعد سفح جبل الاربعين في سهل فسيح مخصب فحاصرها يشوع بن نون بجيشهِ وطاف حولها سبعة ايام بصوت الابواق فسقطت اسوارها من نفسها فاستولى عليها وخُصّصت بالقرعة لسبط بنيامين . ثم اصبحت مدرسة الانبياء ومرَّ بها ايليا النبي قبل ذهابهِ الى شط الاردن حيث ارتفع الى السماء على مركبة ناريَّة . وقد سكنها اليشع تلميذهُ من بعدهِ طويلًا . وبعد انقسام الاسباط صارت أريحا تحت تملك اسرائيل وبناها حيئيل من بيت ايل على عهد آحاب ولكن الله قد انتقم منهُ عن جراءتهِ هذه ومخالفتهِ امر يشوع بن نون الذي كان وضع لعنة على مَن تجاسروا فباشروا بناءها فمات ابن حيئيل البكر اذ وضعت اساساتها واصغر بنيهِ اذ اقيمت ابوابها وبعد السبي احتلّها بعض الأُسراء العائدين من سبي بابل لِمَا فيها من الخصب فكانوا ثلثمائة وخمسة واربعين نفساً . ثم وهبها الحاكم

ريحا او أريحا

انطونيوس لكليوباطرا فابتاعها منهُ لنفسهِ هيرودس الكبير وبنى فيها مدينة جديدة الى قبلي القديمة واقام فيها حلبةً وميداناً لسباق الخيل ومرسحاً لصراع الوحوش وقصوراً وبساتين نضرة وجعل فيها مَشتاهُ وهناك كانت وفاتهُ . وكانت هذه المدينة الجديدة محطّ الغرباء الآتين اورشليم وفيها كان بيت زكّى العشّار الذي صعد على جميزة ليرى يسوع مارًّا ثم اضافهُ وفاز بالخلاص (لوقا ١٩:١—١٠) وهناك ايضاً شفى يسوع الاعمى المولود والمتسوّل الاعمى ايضاً وكلاهما كانا يصرخان بصوت جهير يا أبن داود ارحمنا رغماً عن حنق الجموع عليهما وزجرهم اياهما ليسكتا (متى ٢٠ : ٢٩ — ٢٤ ومرقس ١٠ : ٢٦ — ٥٢)

واريحا وهذه ايضاً تدمرت ثم ترممت على عهد ادريانس وانتشت فيها النصرانيّة سريعاً في عهد قسطنطين الكبير واقيم فيها كرسيّ اسقفيّ فحضر اول اساقفتها يانواريوس المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ وآخرهم غرغريوس المجمع الاورشليميّ سنة ٥٣٦ وقد قطن ضواحيها الكثيرون من الرهبان والنسّاك في عهد القديس اوتيميوس والقديس سابا وقد بنى فيها القديس يوستينيانس كنيسة عظمى على اسم العذرآء الطاهرة واشاد منزلاً كبيرًا للسواح

الآتين لزيارة المقادس . وقد استولى الدمار عليها شيئاً فشيئاً حتَّى انها لم تعد في القرن الثاني عشر الَّا اطلالاً بالية

وامَّا اريحا الحالية فهي من انشاءات الصليبيِّين اشادوها الى شرقي الاولى والثانية وقطنها الرهبان من رهبانيَّات شتَّى ونالت تقدماً ونجاحاً في اوائل الامر الَّا انها هبطت اخيرًا فلم تعد في القرن السادس عشر الَّا قرية مهملة . ومن ربع قرن فقط اخذت في النهوض فصار فيها بعض المنازل للغرباء وسوق صغير وكنيسة للاخوة الاصاغر وغيرها للروم والمسكوب الى غير ذلك وزراعتها على بعض الشيء من التحسّن

— ٤ —

عين السلطان او عين اليشع

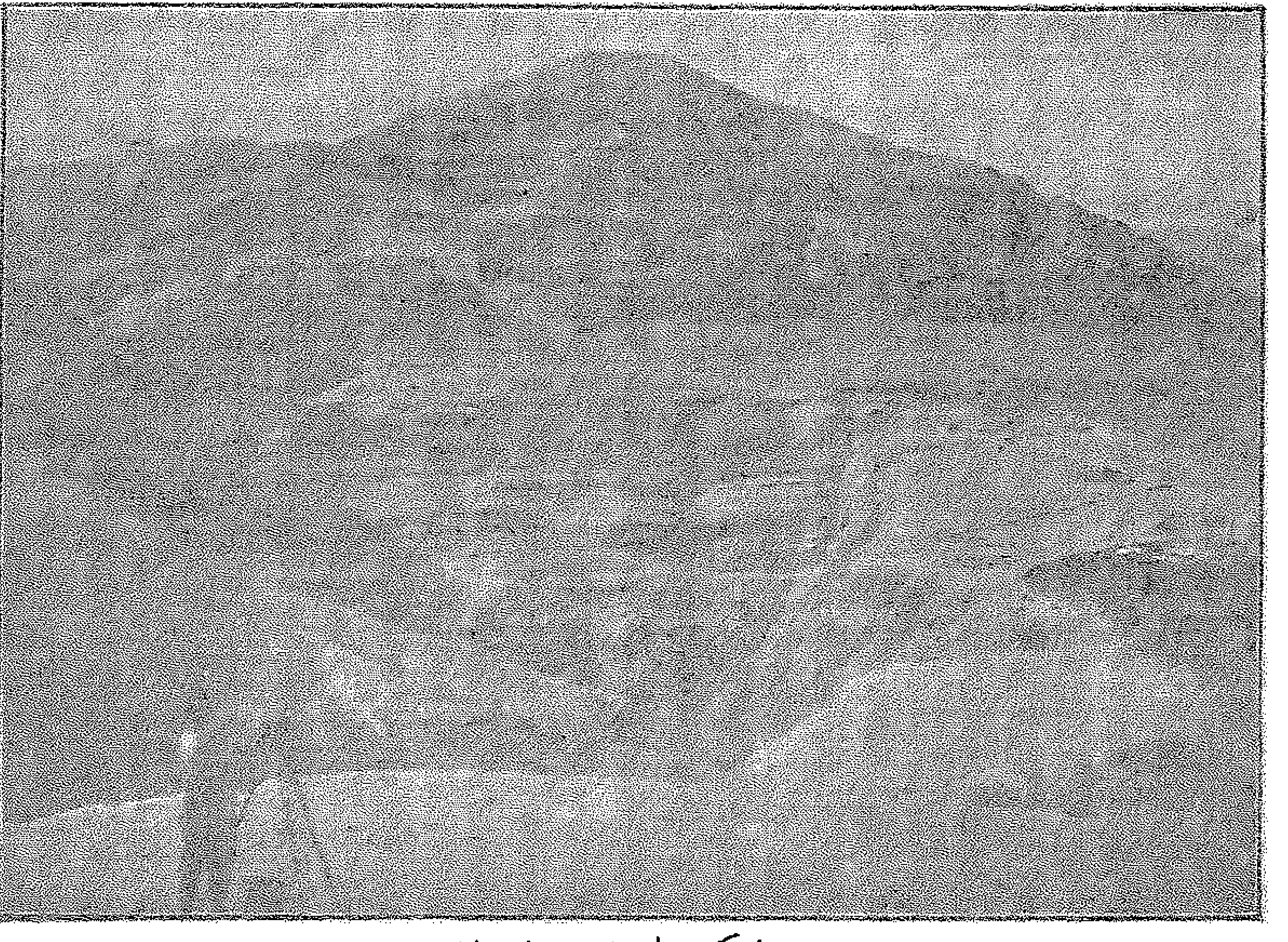
من أريحا الحالية تجتاز في بضع دقائق الى برج أريحا المربع على سبعة أمتار وقد تخرَّب وهو من بنايات القرن الثاني عشر يقيم فيهِ اليوم بعض الضابطة العثمانيّين . وبعد عشرين دقيقة تبلغ عين السلطان واليها حوض على طول اثني عشر متراً في سبعة امتار عرضاً تندفق اليهِ مياه العين الغزيرة وتطفح الى ما حولها فتؤلف ساقية تذكر . وقد سُمّيت هذه العين باسم اليشع النبي لانهُ قد وضع فيها ملحاً فاصبح ماؤها طيباً بعد ان

كان رديًّا (٤ ملوك ٢ : ١٩ – ٢٣) والى غربيّ العين ترى تلًّا عظيمًا يرتفع نحو الثلاثين مترًا عن وجهِ ماء الحوض وقد تحقّق الأثريّون هناك موقع المدينة الكنعانيَّة القديمة بما اكتشفوا في حفائرهم على الآثار القديمة من الجدران والقرميد والاواني الخزفية وغير ذلك من الدلائل . وقد اكتشف احد مشاهير الأثريّين على قبر قديم في التلّ القبليّ زعموا ان هناك كان بيت راحاب وهو لا ينافي الحقيقة باعتبار الموقع على ما اشار اليهِ الكتاب والمؤرخون معًا

— ٥ —

جبل كرندل او جبل الاربعين

تذهب من العين المذكورة الى طواحين السلطان وهي لعصر قصب السكر وكانت قد استُعملت في القرن الثاني عشر ومن هناك ترى على السفح الشرقيّ من جبل كرندل ثلاثين او اربعين مغارة كلها قد نُقرت في الصخر او وُجدت فيهِ بطبعها وكان يقطنها النساك . والى الجهة القبليَّة ترى مثل تلك المغاور وقد اجمع التواتر ان السيّد قد قضى هناك الاربعين يومًا من



جبل كرندل او جبل الاربعين

صيامهِ الاقدس في البرّية. والى هناك جاء اليهِ اخيرًا ابليس مجرّبًا (لوقا ٤ : ١ — ١٣) واماً المغاور نفسها فقد جعلها المؤمنون معبدًا ثم تُركت في القرن الثالث عشر وقد استولى عليها سنة ١٨٧٤ رهبان اليونان فرمّموها . ويُرى فيهـا الى الآن آثار تصاوير القرن الثاني عشر حين كان الجبل في حوزة قانونيّي القبر المقدس وكانوا قد استودعوهُ لحراسة ذمرة من الرهبان سكنوا هناك فدعوا برهبان الاربعين . وفوق المغارة المذكورة تذهب صعودًا الى قمة الجبل في ثلاثين دقيقة حيث يطل الناظر على هاوية تحتهُ الى عمق ثلثمائة متر والى الامام منظر فسيح يشمل كل الاقطار الى بعد بعيد وعلى الف متر من اريحا لجهة الشرق على مرتفع بجذاء جبل الاربعين كنيسة قد أُشيدت على المحل حيث كلم مخائيل رئيس الملائكة يشوع بن نون (يشوع ٥ : ١٣) وبعد ذلك ترجع الى اريحا

— ٦ —

تل جلجول او الجلجال

اذا ما خرجتَ من اريحا قاصدًا الاردن بعد مسير ثلاثة كيلومترات (٣٠٠ متر) ترى الى اليمين شجرة اثل (اثلة)

بالقرب من مقبرة قديمة على الجهة الشمالية من تل يدعى جلجول والى القبلة حوضًا طولهُ ثلاثون مترًا ونصف في خمسة وعشرين ونصف عرضًا وانقاض قديمة وآثار فسيفساء متفرقة في الارض ويُدعى الحوض بركة جلجولية . فهناك موقع الجلجال الشهير وهو من اقدس الاماكن لدى بني اسرائيل واوّل محلة عسكروا فيها بعد ان اجتازوا الاردن ولم يبتلّ لهم قدم فاخذوا من وسطهِ اثني عشر حجرًا واقاموها نصبًا لله وتذكرة لذريّتهم من بعدهم (يشوع ٤ : ١ — ٧) ولبث هناك الخباء وتابوت الشهادة ست سنين . وهناك ايضًا احتفل الشعب بعيد الفصح لاوّل مرة في ارض الميعاد وتطهّر بالختان كل ذكر ولد لبني اسرائيل في التيه بعد خروجهم من عبوديّة مصر وانقطع عنهم نزول المنّ العجيب . وهناك خادع سكّان جبعون يشوع بن نون فقطع لهم عهدًا (فصل ٩) ومن هناك زحف برجالهِ على الملوك الخمسة المتحزبين فغلبهم ونكّل بهم تنكيلًا ووضع المحلة في الجلجال لكل حروبهِ على الكنعانيّين (فصل ٥ و١٠ و١٤) وهناك فتك اهود بملك الموابيّين عجلون فاراح بني اسرائيل من ظلمهِ وعتوهِ . وهناك كان يذهب صموئيل النبي في كل سنة

ويقضي بين الشعب (ملوك اول ٧ : ١٧) ولمّا عاد داود من منفاهُ بعد موت ابنهِ ابيشالوم خرج عظماء يهوذا لملاقاتهِ حتى الجلجال (٢ ملوك ١٩ : ١٥) ولم يزل هذا المحل محترماً مكرماً مدى القرون المتوالية وقد ذكرهُ الكتبة والمؤرخون بعد المسيح بحفاوة واجلال وقد شاهد بعضهم الاثني عشر حجرًا قائمة حتى القرن الرابع ثم بُني هناك كنيسة لم تزل آثارها حتى القرن الرابع عشر

— ٧ —

دير القديس يوحنا المعمدان

ثمّ تتبع الطريق من الجلجال على موازاة قناة يأتي فيها الماء من عين السلطان الى دير مار يوحنا ويدعوهُ الاهلون قصر اليهود . وهو بناء حصين مصوّن وعليهِ ابراج مربّعة لا يبعد عن مجرى الاردن الّا اربعمائة خطوة وفيهِ كنيسة قديمة وهي اليوم تحت الارض . وفيها تُشاهد النقوش المتنوعة الآتية عن قرون مختلفة عهدًا وآثار التصاوير والفسيفساء . وهو لاشك معبد قديم قد أُشيد على اسم المعمدان تذكارًا لاقامتهِ في بريّة يهوذا

بقرب الاردن . وقد جاء في قصة القديسة مريم المصريّة بانها قد زارت دير القديس يوحنا سنة ٣٧٣ قبل ان تجتاز النهر . على ان بعض المؤرخين قد ذكروا كنيسة القديس يوحنا الى الجهة الاخرى من الاردن ولا مناقضة في الرواية . فاننا نرى ايضاً الى تلك الجهة على خمسين خطوة من الشط كنيسة اخرى تدل بحجارتها وما فيها من الفسيفساء وغير ذلك من الآثار على انها لا شك من بنايات القرن الرابع والخامس . ولكن ما يحملنا على الجزم بان كنيسة الامبراطور جستنيانس هي تلك دون هذه هو وجود البئر التي صرّح احد المؤرخين بانها من اعمال الامبراطور المذكور

— ٨ —

محل تعميد السيّد من يد القدّيس يوحنا

لا جرم ان القديس يوحنا قد عمّد في اماكن مختلفة على شط الاردن في بريّة يهوذا صاعدًا حتى عين نون بقرب ساليم تجاه السامرة حيث القى عليهِ القبض هيرودس انطيباً (يوحنا ٣:٢٣) ولمّا أُرسل اليهِ الكهنة واللاويون يسألونهُ مَن انت كان يعمد في



محل تعميد السيّد من يد القديس يوحنا

بيت عنيا في عبر الاردن (يوحنا ١ : ٢٨) وفي الغد رأى يسوع مقبلًا اليهِ فقال هوذا حمل الله . . . فمحل تعميد السيّد اذن هو بقرب بيت عنيا وهذا منطوق الكتاب من قديم الزمان الى عهد اوريجيانوس . ولكن هذا العلّامة قد زعم ان هذه الكلمة قد تغيَّرت عن وضعها الاصليّ بحجة ان لا محل بهذا الاسم بالقرب من الاردن . ولما كان اقرب لفظ اليها عند الاعاجم خصوصاً بيت باره (اذ يلفظون بلغتهم الاولى بايتانيا والثانية بايتابرا) ذهب الى ان هذا الاسم هو الصحيح وتبعهُ الكثيرون من الكتبة ثم تغلبت هذه اللفظة على السنتهم حتى اضحت بيت اربه وهي بيت اعربه المدينة المجاورة بيت حجلة على مقربة من النهر في حدود سبط يهوذا . وقد دُعي طرفا النهر الى تلك الجهة حتى بحيرة لوط باسم عربة . ثم قد اكتشف احد الكتبة محلًّا على نصف ميل الى شرقي النهر يُدعى خربة عربة فزعم انهُ قد كشف الغطاء عن المعمّى وحلّ المسئلة . والحق يُقال اننا لا نرى بين الكتبة العديدين ممَّن زار الاردن منذ القرن الرابع الى الثالث عشر مَن عيَّن محل اعتماد السيّد باسم علم مخصوص فقد كتب احدهم منذ سنة ٣٣٣ ان

مؤمني البلاد قد اروهُ هذا المكان المقدس على خمسة فراسخ (سبعة كيلومترات ونصف) الى شمالي البحر الميت (بحيرة لوط) وليس في كتابة من جاء بعدهُ ما يخالف ذلك. فالتواتر من ثم وثيق يعتمد عليهِ. وعلى كل فبهذا القرب اقله قد انفتحت السماوات لفادينا في تعميدهِ وحلّ روح الله عليهِ مثل حمامة واسمع الآب الازلي صوتاً يقول: هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررت. فكان اول تجلٍّ صريح واضح للثالوث القدوس (متى ٣: ١ - ١٧)

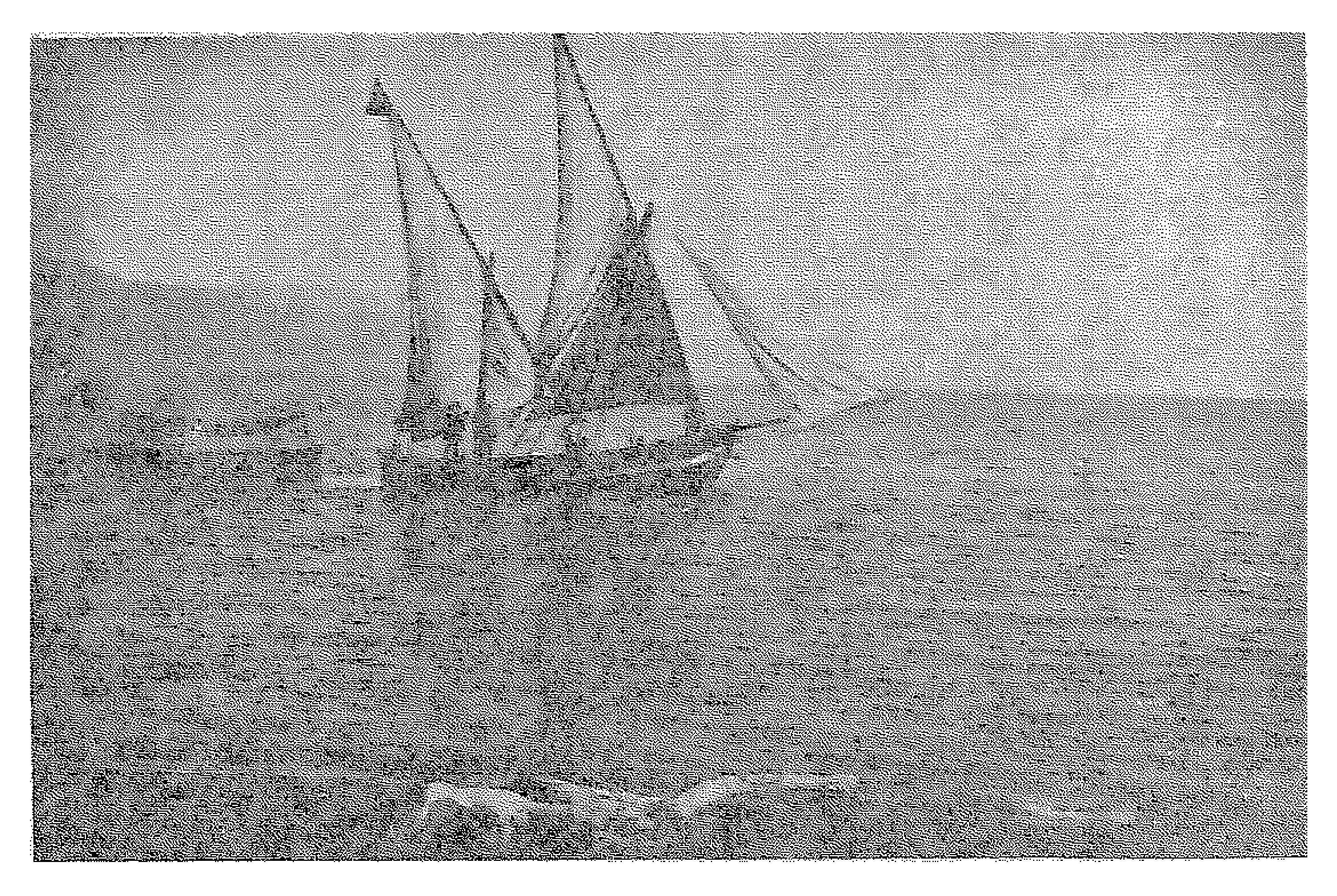
واذ تبارح هذا النهر الشريف متجهاً نحو البحر الميت تترك عن شمالك بقرب الشط البرّية حيث حرّض موسى الكليم الشعب الاسرائيليّ على حفظ ناموس العليّ ودوَّن سفر تثنية الاشتراع (وربما لذلك سُمّي الاردن بنهر الشريعة والله اعلم) ثم صعد النبي المشترع جبل نابو ورقد هناك بسلام الرب

— ٩ —

بحيرة لوط او البحر الميت

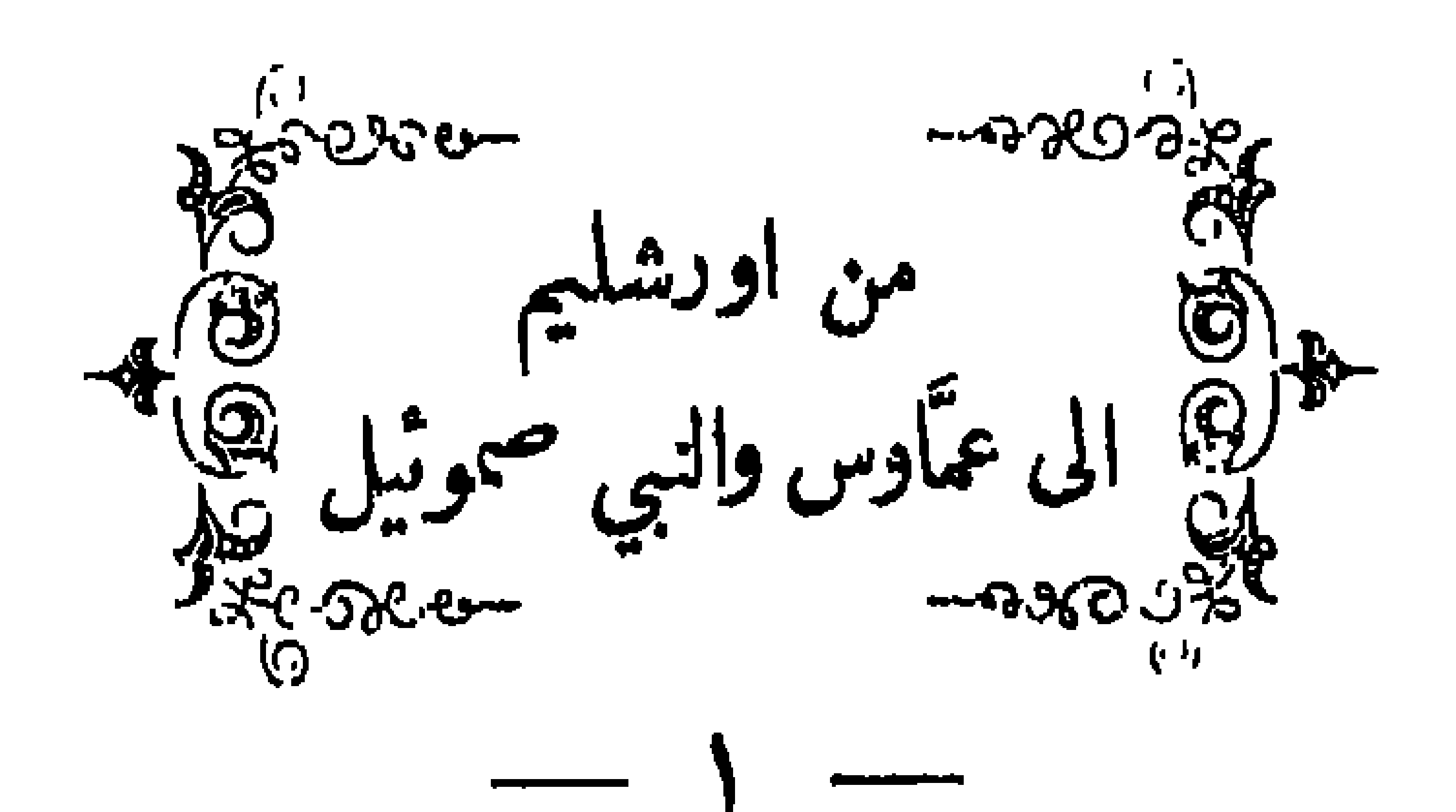
ان مشهد هذه البحيرة الفسيحة بصفحتها الزرقاء اللامعة البهيَّة يخالف كل المخالفة ليس ما حولها فقط من البر القحل الخاوي بل وما قد يتخيل للذهن من هذا الاسم المشؤوم بحيرة لوط او البحر الميت فان ماءها وان كان كريهاً ثقيلاً فهو صافٍ كالبلور يشف ناصعاً كالمرآة الوضيَّة الواسعة الارجاء عن كل المحيطات في ذلك الجو الفريد صفاوة وجلاءً تحت اشعة الشمس القادحة . وقد سمَّى اليهود هذه البحرة بحر الملح وبحر عربة او بحر الشرق ودعاها اليونان بحيرة الحُمَّر او الاسفلط اي القار واللاتين يدعونها البحر الميت ايعازًا بان ماءهُ لا يحرز ذات نسمة حيَّة لانهُ مشبع من برومور المغنيسيا وكلورورات الكسيوم واما الاهلون فيدعونهُ بحيرة لوط الماعًا للحادث الذي عنهُ نشأ على عهد لوط وقد شاهدهُ عيانًا وشهد بهِ (تكوين فصل ١٩)

وطول هذه البحيرة ستة وسبعون كيلومترًا في عرض خمسة عشر كيلومترًا وسبعمائة متر مما يجعلها على اتساع ٩٢٦ كيلومترًا مربعًا . والى الشط الغربيّ شسع من الارض يمتدّ الى



بحيرة لوط أو البحر الميت

الشرق على نحو اربعة كيلومترات يُدعى اللسان والى جهتهِ الشماليَّة يبلغ عمق الماء الى الاربعمائة متر واماً الى قبليهِ فالعمق في الغالب ثلاثة او اربعة امتار وقلما يتجاوز الستة . وفي هذه الجهة على ما يُقال عموماً كانت سادوم وما حولها اذ امطر الله عليها ناراً وكبريتاً ثم ابتلعتها المياه . والى هذه البحيرة مصبّ الاردن وغيرهُ من الانهر حتى قيل ان المـاء الآتي اليها يومياً يعادل نحو الستة الى السبعة مليونات من اللترات ومع هذا المقدار الجسيم لا يرتفع سطح الماء بل يبقى وفق اختلاف الفصول على انخفاض ٣٩٢ الى ٣٩٥ عن سطح البحر المتوسط . فكل هذه المياه المتدفقة اليـهِ اذن تتبخر بالحرارة الشديدة البالغة اعتياديا درجة الاربعين سانتيغراد وقد تتجاوزها حتى الخمسين فما اتاها مع الميـاه من سَمَك او غيرهِ من الاجسام الحيَّة تموت سريعاً وتضحي طعاماً للغربان وغيرها من الطيور



من اورشليم الى عمّاوس والنبي صموئيل

— ١ —

بعد ان تخرج من باب الخليل وتقطع طريق عين كارم تترك بعد خمسين دقيقة لفتتهُ عن شمالك وتميل عن سكة العربيَّة الى طريق وعر يتجه نحو وادي بيت حنينة فتقطع المسيل فتصادف بعد اثنتي عشر دقيقة عن شمالك على سفح الجبل خربة بيت طولما والى منحدرها عين ماء معين . فهناك على ما نقلهُ التواتر ملتقى يسوع بالتلميذين اذ كانا ذاهبين الى عمَّاوس مكتئبين فيتعرّج الطريق بين الجبال ثم ترى بعد عشرين دقيقة تقريباً خربة اللوزة عن يسارك وعين ماء اخرى . وبعد نصف ساعة تحاذي بساتين نضرة تسقيها عين بيت سوريك الى شمالك حيث اكتُشفت آثار قديمة وفسيفساء من بقايا القرن الخامس او السادس بين القرية والعين المسماة باسمها . فتتجه نحو الشمال الغربيّ منها مجتازاً بين الزيتونات في قعر الوادي ثم تصعد نحو عشرين دقيقة

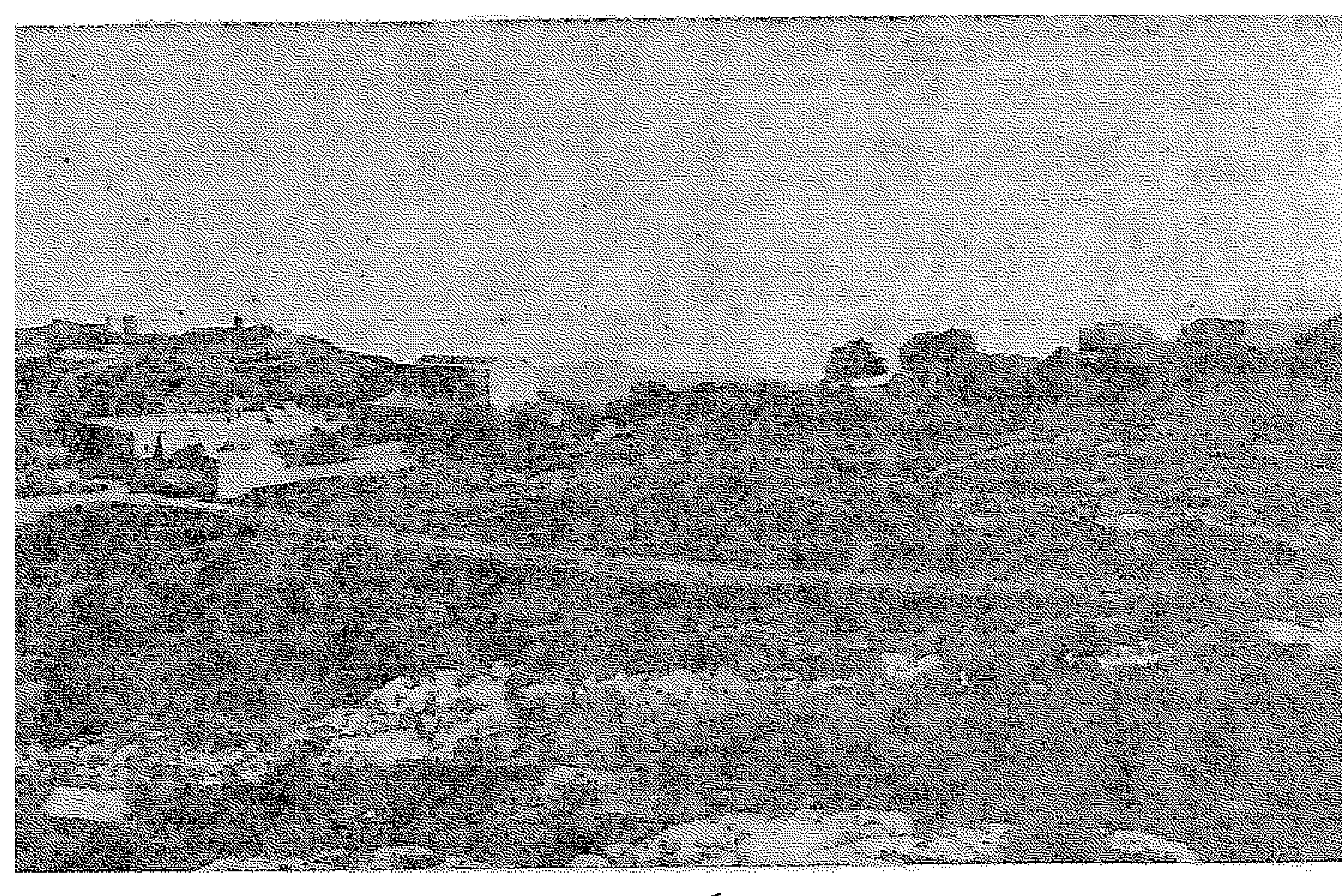
فتترك الى يمينك قرية بِدّو حيث مفترق الطرق الرومانيَّة فتأخذ منها السكة المتجهة نحو الغرب فترى بعد خمس دقائق قطعة عمود قديم مجندلاً على الارض وهو ثامن حجر الفراسخ في عهد الرومانيين وبعد قليل تكشف على اول خرابات عمَّاوس ثمَّ قرية القبيبة

— ٢ —

عمَّاوس

وهي على ما جاء في التواتر وطن القديس كلاوبا او كلاوفاس وابنهِ القديس سمعان ثاني اساقفة اورشليم . وقد ظهر لهما المعلّم الالهيّ على الطريق بصورة مسافر وشرح لهما ما جاء في الانبياء عن شخصهِ القدوس . ولمَّا اقتربوا معًا من القرية اخذ يسوع يتنحَّى عنهما كأنهُ يقصد محلًّا ابعد فامسكا بهِ بالحاح قائلين : أُمكث معنا يا رب فقد مال النهار . فقبل يسوع الضيافة . وفيما هم على العشاء اخذ خبزًا فبارك وكسر واعطاهما فعرفاهُ حينئذٍ امَّا هو فتوارى عنهما (لوقا ٢٤ : ١٣—٣١)

وهناك دير للاخوة الاصاغر وقد اكتشفوا بالقرب منهُ سنة ١٨٧٣ على كنيسة قد جدَّدوا بناءها على آثارها القديمة سنة



عمّاوس

١٩٠١ بلا تغيير ولا تبديل وهي على طول ٣٤ مترًا في عرض اثنين وعشرين تنقسم بالدعائم الى ثلاث جادّات او اسواق . والى صدر كل منها حنيّة الى الشرق غير ان الجنح الشماليّ بدلًا من ان يكون قائمًا على الدعائم كأخيهِ القبلي كان معتمـدًا على جدار يقابلهُ آخر من نوعهِ كبَيْت مستقلّ ينضم الى هذه الناحية من الكنيسة وهو قديم العهد لا شك قبل الصليبيّين . وقد اجمع الكثيرون من العلماء الاثريّين على ان هذه الكنيسة قد تجدَّد بناؤها في القرن الثاني عشر على ما كان قبلها منذ القرن السابع على الاقل . فضلًا عن ان الاعمدة المتصلة بالدعائم هي دون ريب من الطرز الرومانيّ في القرن الاوَّل او الثاني وكأنها مع غيرها من حجارة البناء منتحلة عن بناء هيكل رومانيّ . واما البيت فهو بناية عبرانيَّة وكأن المهندس ليتمكن من ادخالهِ الكنيسة قد ضحَّى لاجلهِ قواعد النظام الهندسيّ وحسن البناء الشامل ومن هذا يتضح جليًا بانهُ المقام المقصود بالذات وعليهِ المعوَّل في بناء الكنيسة . ولا عجب ان يكون هذا هو بيت كلاوفاس قد جُعل كنيسة منذ صدر النصرانيَّة فقد وجد الآباء فيهِ هيكلًا قديمًا فوضعوا عوضًا عنهُ هيكلًا جديدًا في المكان عينهِ

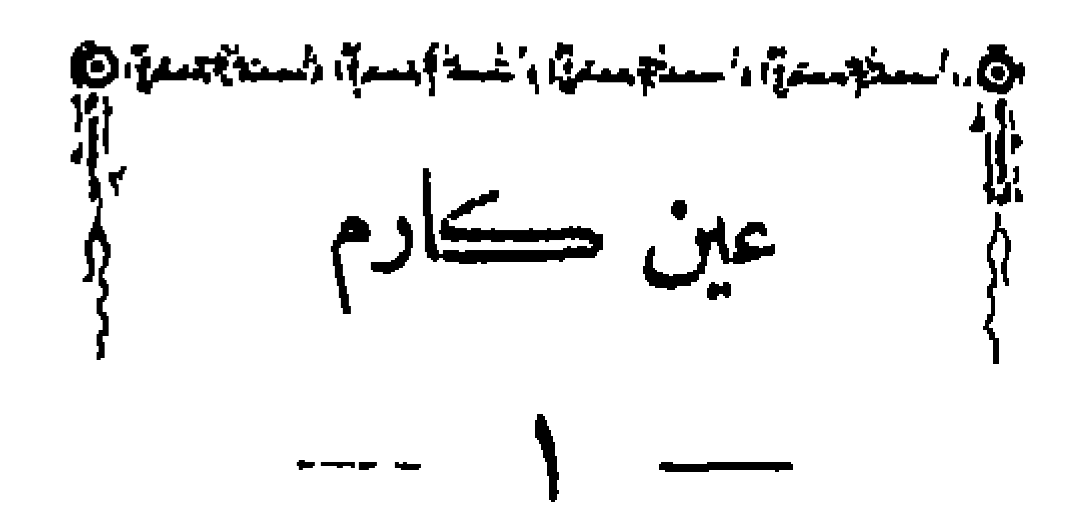
وربّما كان هذا هو المكان حيث كسر يسوع الخبز وكشف النقاب عن اعين التلميذَين ليعرفاهُ ثم غاب عنهما (لوقا ٢٤: ١٣ – ٣١)

— ٣ —

النبي صموئيل

في عودتك من عمّاوس تتبع طريق المجئ حتى بِدّو (١٦ دقيقة) ثمَّ تأخذ الطريق المؤدّي توًّا الى بيت ايكسا وهو طريق المكاري واقصر الطرق الى اورشليم. وبهِ تمرّ بالنبي صموئيل بعد خمسة واربعين دقيقة بعد ان تمرّ قبل ذلك على بعض القبور القديمة من عهد العبرانيّين وعين ماء الى شماليّ الهضبة ثمَّ ترى على قمّتها القرية المدعوة باسم النبي صموئيل وهي تعلو سطح البحر المتوسط بنحو ٨٩٥ مترًا. وقد ذهب الباحثون فيها مذاهب والأصح انها مصفاة بنيامين حيث كان صموئيل النبي يقضي بين الشعب. ولذا دُعيَت منذ القرن الرابع بهذا الاسم ثم اخذ يزعم البعض انها مسقط رأس هذا النبي اومحلّ قبرهِ الى غيرذلك. والى هناك اذن دعا النبي الشعب وصلّى لاجلهم فصاموا وتابوا (١ ملوك ٧: ٥ – ١٣) وهناك جمع

الشعب ايضًا اذ نادى بشاؤل ملكًا على اسرائيل (١ ملوك ١٠: ١٧) وهناك اجتمع المكابيّون ليستعدّوا بالصوم والصلاة لما عزموا عليهِ من الجهاد لانقاذ بني اسرائيل



عين كارم

— ١ —

تخرج من اورشليم متتبعًا اوّلاً طريق يافا على نحو كيلومترين ونصف حتى تبلغ مارستان اليهود فتحيد الى شمالك ترى وادي المصلبة ودير الصليب المقدس واذ تصعد قمة الهضبة تشرف الى الغرب على البحر المتوسط والى الشرق على جبل الزيتون ثمَّ تتقدم قليلًا فتطل الى اليمين على قرية دير ياسين والى الجهة الشماليَّة على النبي صموئيل ثمَّ على عقيق مخصب ينتهي الى وادي بيت حنينة وهو وادي سوريق (قضاة ١٦ : ٤) وبين روابيهِ المغروسة كرومًا وزيتونًا واشجارًا مثمرة تظهر لك قرية عين كارم محاطة بجمال الطبيعة البديع . وهي وطن القديس يوحنا المعمدان مَن لم يقم بين مواليد النساء اعظم منهُ



عين كارم

(متى ١١ : ١١) فترى منها اوّلاً على كثيب دير راهبات صهيون ثمّ قبة نواقيس حيث الدير وكنيسة القديس يوحنا والى المنحدر مأذنة تدلـــ على موقع عين العذرآء التي تسقي تلك الانحاء فتجعلها فردوساً نضراً . والى الجهة الاخرى ترى قبة نواقيس مربعة الزوايا حيث محل زيارة البتول خالتها اليصابات . وبالقرب منها قبّة مثمنة الاضلاع لكنيسة المسكوب . ففي هذه القرية الزاهية قد أُسمع النشيدان البديعان «تعظم نفسي للرب الخ ومبارك الرب إله اسرائيل الخ»

وكنيسة عين كارم الآن هي الرعويّة لخورنة اللاتين مع مدرستين واحدة للصبيان واخرى للبنات يقوم بادارتهما خوري الرعيّة من رهبان الاخوة الاصاغر . ومدرسة داخليّة للبنات ايضاً عند راهبات صهيون ودير حديث البناء لراهبات الورديّة

— ٢ —

☩ كنيسة القديس يوحنا المعمدان الرعويّة

ان القديس زكريا الكاهن كان يقيم اعتيادياً في بيت بعين كارم يستند من جهته الشرقيّة الى الجبل حيث مغارة

تتصل به كثير من بيوت اليهود لذلك العهد . وجاء في الاخبار المنقولة ان في هذه المغارة وَلدت اليصابات نجلها السعيد فكان مشابهاً في هذا فادينا الالهيّ الذي وُلد في مغارة ايضا . ولمّا اجتمع في اليوم الثامن الاقارب والمعارف لحضور الختان شهدوا عياناً ما املأهم عجباً من تسمية الام مولودها باسم غريب عمّا اعتادتهُ هذه الاثرة الشريفة ثم تكلّم الأب (بعد ان كان عاجزًا عن الكلام منذ ظهر لهُ الملاك على مذبح البخور) فانشأ تلك التسبحة البديعة «مبارك هو الرب إله اسرائيل الخ» . حتى اخذ كل يفكر في نفسهِ ويقول : ماذا عساهُ يصير اليهِ يا ترى هذا الولد (لوقا ١ : ٥٦ — ٨٠)

وتنقسم هذه الكنيسة الى ثلاثة اسواق بثلاث دعائم الى كل من الجهتَين ويعلو السوق الاوسط قبة ترتفع على دائرة قائمة تخرقها الشبابيك والى صدر السوق الشماليّ سلَّم بسبع درجات من الرخام الابيض يفضي الى المغارة المذكورة حيث وُلِد القديس يوحنا المعمدان . وهي منقورة في الصخر ولا نافذة فيها وعلى جهاتها الى السقف خمسة تصاوير محفورة على الرخام الابيض تشخّص اشهر الحوادث من حياة القديس . وهذه

الكنيسة برمتها هي ترميم الاخوة الاصاغر سنة ١٦٧٤ على آثارها القديمة التي وجدوها قائمة منذ القرن الثاني عشر وتلك ربما لم تكن في عهدها الّا ما اصلح على آثار سالفتها التي أُشيدت منذ القرن الرابع فان طرز البناء وغيرهُ من العلامات تدل صريحًا لدى الاثريّين على ان الكنيسة اقدم عهدًا من ايام الصليبيّين وانها لا شك من بقايا القرون الخالية لما لم يزل فيها من الشبه بالبنايات القسطنطينيّة

— ٣ —

☩ كنيسة الزيارة

اذ تخرج من الدير متجهًا نحو كنيسة الزيارة تمرّ بعين ماء غزيرة قد دُعيت منذ القرن الرابع عشر عين البتول . على ان موقعهـــا يرجّح لا شك الظن بان العذرآء الطاهرة كانت ترد الماء من هناك في الاشهر الثلاثة التي قضتها عند خالتها اليصابات ولكن التواتر القديم لم يخبرنا بشيء مخصوص مما ينوط بالعذرآء او ببيت زكريا من هذا القبيل بينما يعلمنا عن محل الزيارة وانها كانت في بيت البرّية اوّلا ثم في بيت البلدة .



كنيسة الزيارة

وذلك ان القديسة اليصابات اذ تأكدت رحمة الرب نحوها هرعت الى بيت لزوجها في ظاهر البلدة حيث اقامت خمسة أشهر متفرغة للعبادة وتسبيح العليّ وشكره . ولمّا اقبلت عليها البتول القديسة وكشفت لها القناع عن سرّ الفداء الغامض التي لم تكن تدركهُ قبلًا الّا بالرمز والخيال واسمعتها النشيد البتوليّ «تعظّم نفسي الرب» عوّلت اذ ذاك على ترك خلوتها فعادت الى بيتها في البلدة بمع مريم البكر الطاهرة التي اقامت عندها الى ميلاد المعمدان

واماً الكنيسة فهي على رصيف صخريّ مستندة الى الجبل بل الحنية الى القبلة الشرقية منها منقورة في ذات الصخر . واماً باقيها علي علو سبعة أمتار وطول تسعة بما فيهِ حائط الواجهة الضخم فمغطى بالعقود وفيها الى صدرها عن الجهة اليُسرى محراب صغير امامهُ هيكل وعن اليمين شبه مغارة ممتدّة في صخر الجبل على طول ستة أمتار بانحراف الى اليمين ايضاً عن موازاة جدار الكنيسة . وكان هذا المحل في الاصل مكشوفاً وربما فيهِ المراقي الموصلة الى السطح حيث مخدع البيت وهو الآن مغطى بعقد متين قديم يعتمد على نطق حجريّ ضخم والى مؤخرهِ عين ماء .

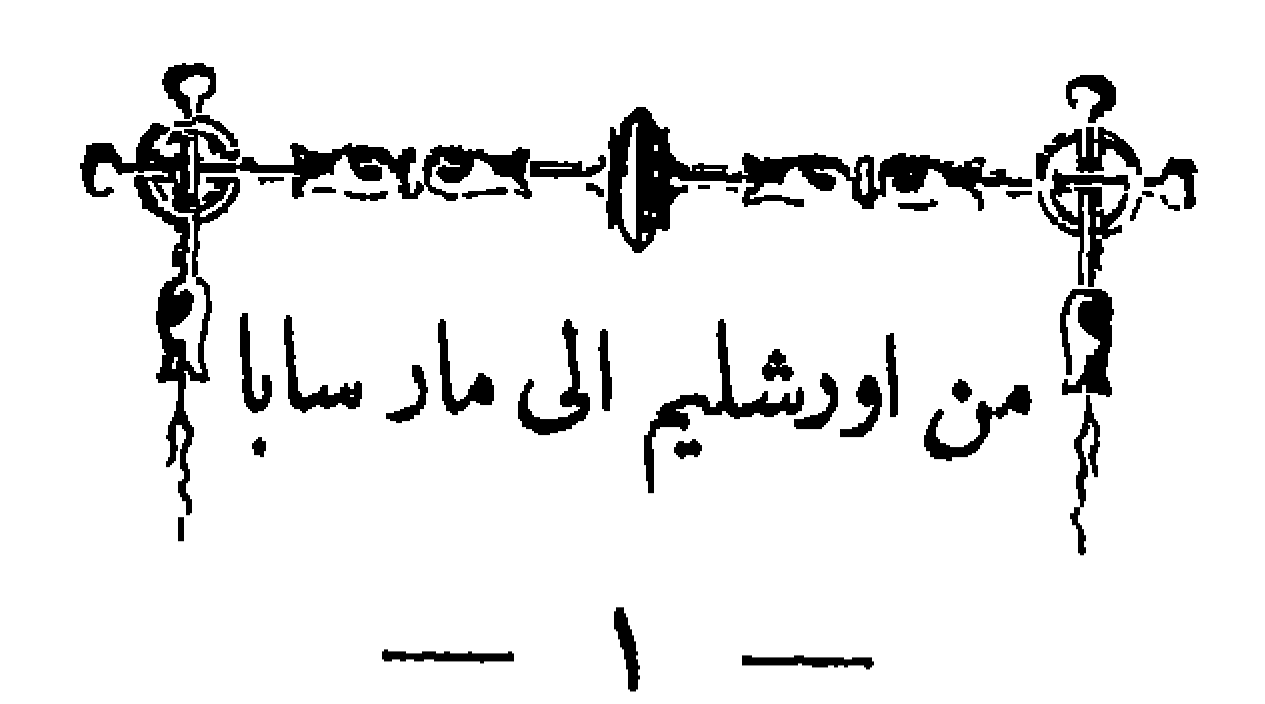
ينصب في بئر صغيرة وما فاض منهُ يطفح في قناة الى بئر اخرى خارجةً عن الكنيسة . وقد ذكر هذه العين احد قدماء الكتبة وقال انها انفجرت حين انحدار القديسة اليصابات الى البستان لملاقاة مريم البتول قائلة : من اين لي ان تأتي اليَّ امّ ربي . . . والى اليمين ايضاً ترى قطعة صخر كبيرة قد وضعت عمدًا في نفس الجدار القبليّ وقد ذكرها غير واحد من قدماء المؤرخين والكتبة قائلين بانها محل اختفاء المعمدان حين قتل الاطفال . وذلك ان امهُ القديسة اليصابات كانت قد هربت بهِ اذ ذاك الى البرّية . واذ بلغت الى صخر لان لهـا كالعجين بامر الله فاخفاها وابنها . وترى اخيرًا الى اليمين ايضاً سلماً حجريًّا داخلًا في قلب الجدار يرقى فيهِ على اربعين درجة الى الكنيسة العليا والدير القديم مما كان مشادًا باستحكام يجعلهُ الى القلعة او الحصن اقرب شبهاً منهُ بكنيسة او دير كما يلوح جليًّا من آثارهِ الباقية

— ٤ —

كنيسة الزيارة العليا

قد أُشيد هذا البناء الحصين بالحجارة الضخمة المجدّدة على الطرز الرومانيّ القديم باعظم احكام واتقان فانك ترى الى زاوية الشمال الشرقيّ حجرًا طولهُ متر ونصف وعلوهُ متر كامل وعرضهُ متر وخمسة عشر سنتي على ان ما سواهُ لا يعادلهُ ضخامة ولكنهُ لا يقلّ عنهُ كثيرًا حجمًا ويماثلهُ تمامًا طرزًا . وقد بقي من الحنية الوسطى بعض البناء قائمًا على اصلهِ وحجارتهُ كلها بعلو خمسة وستين سنتي وبعض حجارتهِ تتجاوز المتر طولًا على هندام يضاهي احسن الابنية الرومانيَّة المنظومة في سلك العاديات . ومما يستحقّ غاية الالتفات هو الهيكل الاوسط الذي يبرهن على اقدم عهد في القدميَّة بوضعهِ وتكوينهِ . فهو من حجر واحد منقور في محلّهِ من ذات الصخر على درجاتهِ الثلاث المؤلفة على الجبل قطعة واحدة يقوم عليهِ المذبح الى الامام مما يؤكد بانهُ لا شك في محلّهِ الاصليّ . وان الكاهن كان يقيم الذبيحة عليهِ ملتفتًا نحو الشعب وهو دليل قاطع على نهاية القدم في وضع المذابح على هذا النسق فضلًا عن اتجاه الكنيسة المنحرف الى الشمال

الغربيّ وهي دلالة ليست باقل وضوحاً مما قبلهـا على اقصى عهد في القدميَّة . والى شمال الهيكل اي عن يمينك ترى باباً ضيقاً يرتفع ثلاثين سنتي عن الارض تدخل منهُ الى حجرة غير مهندمة تقيس المترين طولاً وعرضاً وهي منقورة في الصخر الى علو متر او مترين مما لم يشاهَد قط في كنيسة . فلا شك ان الحاقها بالمعبد يدلّ على اجلالها لانها كانت من متعلقات بيت زكريا حيث اختلت القديسة اليصابات خمسة أشهر منقطعة الى الصلاة وعبادة الله شكرًا على نعماهُ . وعن يمين الهيكل المذكور ترى افودًا منقوشاً على جدار الحنية وطول الكنيسة خمسة وعشرون مترًا في ثلاثة عشر عرضاً . وخليق بالذكر اجماع الاهلين والغرباء من كل جنس على تسمية هذا المكان مار زكريا مع انهم يكرمون جميعاً هناك سرّ الزيارة ويعلمون ان مقام القديس زكريا اعتيادياً كان في البلدة . فربما كان ذلك مراعاة لما جاء في الانجيل الشريف من تسمية هذا المحلّ الشريف بيت زكريا (لوقا ١ : ٤٠)



— ١ —

تخرج من القدس الشريف متجهًا نحو بئر ايوب ثم تتّبع وادي قدرون نحو ثلاثين دقيقة فتدخل بين تلّين مملوءَين آثارًا قديمة فعن اليمين بيت سحور العتيقة وفيها خمس عشرة بئرًا وقطع صغيرة من السكاكين الشفارية او الصوان المحدد وعن الشمال دير السنّة او السنيق . وهو دير قديم بهِ آبار عديدة ومعصرة عنب منقورة في الصخر. ثمّ تجتاز وادي قدرون المدعو الى تلك الناحية وادي النار فتصعد تلًّا منهُ ترى اورشليم وبعد نصف ساعة تمرّ ببئر ابوكلاب التي زعموا انها عين شمس . ثمّ تصادف بعد ربع ساعة في الوادي مضيقًا عميقًا قد تولد لا شك عن زلزال مهول فخلف انشقاقًا في الجبل تخال طرفيهِ حائطين يتصادران على علو شاهق وبُعد شاسع ومادتها الحوّار تتقاطعهُ سانات متناسقة من الصوان الغامق اللون والى الجهتَين ترى فيهِ عددًا عديدًا من المغاور كان يسكنها النسّاك والحبساء في

سالف الاعصار فهو لا شك غار القديس اوتيميوس الشهير فاذا ما سرتَ فيهِ على مسافة نصف ساعة ترى

— ٢ —

دير مار سابا

وقبل البلوغ اليهِ تصادف بُرجاً يُدعى حصن النساء ثمَّ آخر يشابهُ يُدعى حصن اودوكسيا وهو بقرب مدخل الدير وفيهِ معبد صغير على اسم القديس سمعان العاموديّ منهُ يطلّ البواب على الآتين . و بعد معاينة اذن بطريرك الروم بيدهم يفتح لهم الباب الحديديّ فيدخلون الى فسحة فيهــا بعض الحُجر والاسطبلات ومنها تنحدر في سلَّم بخمسين درجة ثمَّ درج آخر يؤدّي بهم الى صحن صغير في وسطهِ بناء مثمَّن الاضلاع وعليهِ قبَّة وهو ضريح مار سابا ومنهُ نقل جسمهُ الى فنيسيا (صقلّيَّة) . وعن الشمال الغربيّ من هذا البناء المثمَّن معبد باسم القديس نيقولا وكلهُ منقور في الصخر . والى آخرهِ شعريَّة ترى من ورائها جماجم مكردسة قيل فيها عظام الشهداء الاربعين من القرن السابع . والى الشرق كنيسة الدير قد أُشيدت على شــكل

دير مار سابا

صليب يعلوها قبّة ويدعمها من الخارج الحنايا المنيعة الضخمة . وهي على اربعة وعشرين مترًا طولًا في تسعة عرضًا وكلها مزوقة بالتصاوير بعضها قديمة العهد جدًّا والايكونوستاس من الخشب المذهب الجميل النقش . ثم تخرج من الكنيسة الى الباب الشرقيّ فتصعد في سلّم عن اليمين الى سطح صغير ترى منهُ قعر الغار على انخفاض مئة وستين مترًا ومن الجهة الاخرى ترى حائط الغار وفيهِ حُجر النسّاك تعلو بعضها بعضًا وعين ماء تجري الى آخر المسيل . قيل قد انفجرت باعجوبة اجترحها القديس سابا . وترى الى شمالك نخلة تثمر رطبًا بلا نوى قد غرسها القديس نفسهُ في شق الصخر ومن ذلك العهد كلما ماتت نبتت اخرى من جنسها في محلّها الى اليوم . ومن هناك تذهب لزيارة معبد القديس يوحنا الدمشقيّ حيث مغارة قد قطنها القديس في القرن الثامن وفيها دُفن بعد موتهِ ثمَّ نُقل جثمانهُ الى موسكو عاصمة الروسيين . ثمَّ تعود الى صحن الدير حيث تنحدر في سلّم الى معبد القديس سابا وهو منقور برمّتهِ في الصخر وفيهِ باب يؤدّي الى المغارة حيث قضى القديس اكثر من خمسين سنةً في الصلاة والتقشف وهناك كان يخدمهُ الاسد

السنين المتوالية كما جاء في اخبار حياتهِ . وبين مار سابا والنبي موسى جبل يُدعى المنطار حيث كان يأتي اليهود بتيس عزازيل فيرمون بهِ الى اسفل فيموت

— ٣ —

دير ديوزي او القديس تيودوسيوس

من دير مار سابا تصعد للجهة الشماليَّة ومن هناك تتَّبع قمة الجبل حيث تعاين عن بعد البحر الميت وبيت لحم واورشليم ونحوها وبعد مسير ساعة او اكثر قليلًا تبلغ دير ديوزي . فان القديس تيودوسيوس بعد ان بارح بئر قديسمو على طريق بيت لحم جاء فاختلى في هذا القفر حيث انحاز الى مغارة يقال ان المجوس قد باتوا فيها ليلة عند رجوعهم طاعة لامر الملاك بان يتبعوا طريقًا آخر في عودتهم فلا يمروا باورشليم . وقد تبع القدّيس الى هذا القفر عدد كثير من النسَّاك والمتوحدين فبنوا هناك كنيسة باربعة اجنحة كان يصلّي النسَّاك الروم في الجنح الاكثر اتساعًا ويقيمون فروضهم . واما الجنح الثاني فقد خصَّ بنسَّاك الارمن والعرب والفرس والثالث للروتيّين والسلاف

والرابع للمرتدين والتائبين وقد رقد القديس تيودوسيوس بسلام سنة ٥٢٠ ودُفن في مغارة المجوس . ثمَّ بُني فوق المغارة كنيسة جديدة وقد بقي الى اليوم آثار من هاتين الكنيستين والدير مع بقايا محفورات وكتابات قديمة وقد وضع الروم يدهم على هذا المحل منذ عهد قريب



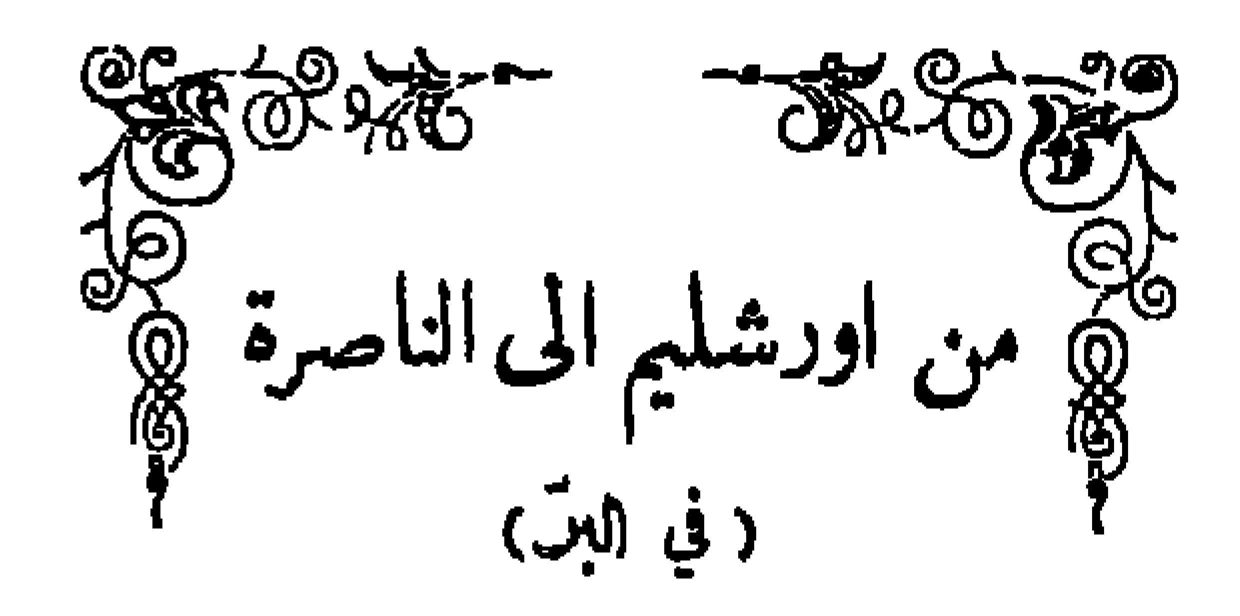
وداع أورشليم

قد منح الحبر الاعظم لاون الثالث عشر غفران ثلاثمئة سنة لمن يتلو المزمور المئة وستة وثلاثين قبل ان يرحل عن المدينة المقدَّسة وذلك في ٧ حزيران سنة ١٨٨٨ وهاك المزمور المذكور :

على أنهار بابل هناك جلسنا فبكينا * عندما تذكَّرنا صهيون
على الصفصاف في وسطها * علَّقنا كنانيرنا
لانهُ هناك سألنا الذين سبَونا * كلامَ الاناشيد
والذين استاقونا سألونا تطريباً * أن رنِّموا لنا من ترانيم صهيون

كيف نرنّم ترنيم الرب * في ارضٍ غريبة
إن نسيتكِ يا اورشليم * فلتنسَني يميني
ليلتصق لساني بحنكي * إن لم اذكركِ
إن لم أعلِ أورشليم * على ذروة فرحي
أُذكر يا رب بني آدوم * في يوم أورشليم
القائلين اقتلعوا فيها اقتلعوا * حتى اساساتها
يا بنت بابل المخرّبة * طوبى لمن يجزيكِ بما كافأتينا
طوبى لمن يمسك اطفالكِ * ويضرب بهم الصخرة





من اورشليم الى الناصرة

(في البرّ)

ان اخذتَ هذه الطريق تسير فيها الى الجهة الشماليَّة . ففي عشرين دقيقة ترى الى شمالك قرية شافاط على قمة تعلو البحر بثمانمائة متر وفيها بِركة منقورة في الصخر وآثار كنيسة قديمة . فهناك موقع سافا او جبل سكوبوس كما دعاهُ يوسيفوس حيث خرج ايدوس رئيس الكهنة لمقابلة اسكندر الكبير كما ذكرنا (قبور الملوك) وبعد قليل ترى عن يمينك

— ١ —

تلّ الفول

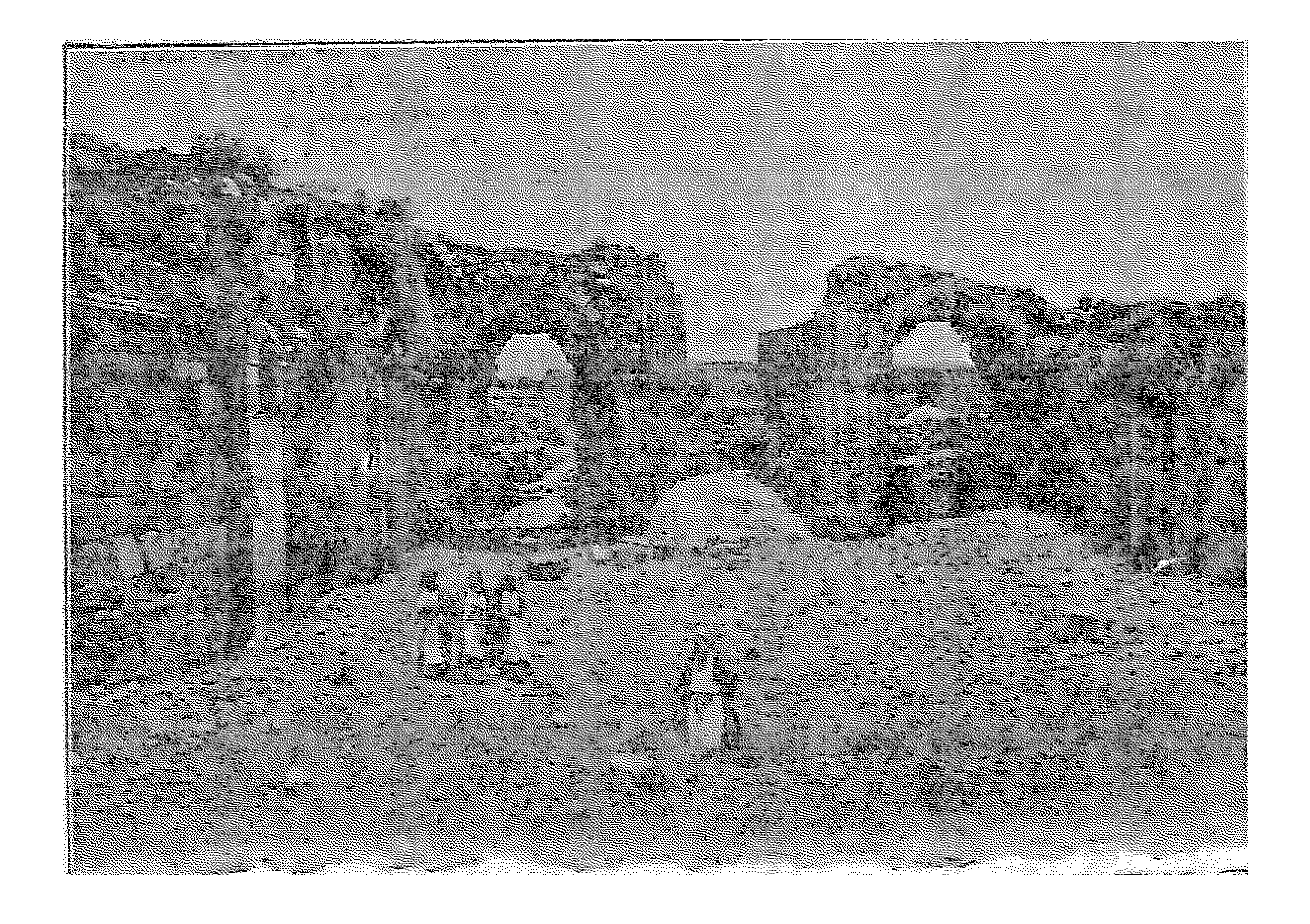
وهو جبع شاؤول (١ملوك١١ : ٤) على ارتفاع ٨٣٥ مترًا عن البحر وعلى قمتهِ آثار حصن مربَّع يقيس عشرين مترًا طولًا وعرضًا والى منحدرهِ آبار وآثار بنايات قديمة . ويُدعى ايضًا الجبع او جبع بنيامين وهناك وُلد شاؤول وجعل مركزهُ اذ كان

ملكاً . وبعد عشرين دقيقة يتفرّع الطريق فتنحاز الى شمالك فتبلغ على مسير ساعة الى قرية مرتفعة ٧١٠ امتار عن البحر تُدعى الجيب كأنها هرم طبيعيّ مستدير تحوط بهِ البساتين الخصبة وهو على الاصح موقع مدينة جبعون (يشوع ١٠: ٢) وقد وقعت بالقرعة لسبط بنيامين ثمَّ جُعلت مدينة الكهنة . وهناك كانت المبارزة الشهيرة بين غلمان اشبوشت وغلمان داود عند البركة ودُعي المكان حقل الصناديد (٢ ملوك ٢) وعلى خمس وعشرين دقيقة من مفرق آخر ترى خربة الرامة حيث مزار الشيخ الحسين بين انقاض كنيسة قديمة . والرامة هذه محلّ مولد النبي صموئيل وضريحهِ . ثمَّ ترى بعد ذلك الى الشمال الغربيّ قرية رام الله عن شمالك وسكّانها نحو خمسة آلاف نفس كلها نصارى وفيها كنيسة خورنيَّة ومدرسة للبطريركيَّة اللاتينيَّة وبعدها على مسافة اربعين دقيقة تبلغ

— ٢ —

البيرة

وهي بئروت القديمة على خمسة عشر كيلومترًا من القدس الشريف (يشوع ٩ : ١٧) وعلى ارتفاع ٨٩٣ مترًا عن البحر . وعلى منحدرها عين ماء عن اليمين تنصبّ في بركة . والى جهة الشرق القبليّ من هذه العين خان قديم متين الجدران قد اخنى عليهِ الآن الزمان فدمّرهُ وكان يأوي اليهِ الغرباء حتى القرن السابع عشر بشهادة كواريزميوس المؤرّخ . وفي أعلى القرية كنيسة خربة باسم العيلة المقدسة على ثلاثة اسواق . طولها ثلاثة واربعون مترًا في اثنين وعشرين عرضًا وتبلغ جدرانها المتريْن وسبعين سنتي ضخامةً . وقد ترمّمت في القرن الثاني عشر على اثر بناية أقدم منها عهدًا تذكارًا لما جاء بهِ التواتر المتواصل بان هناك أشعر يوسف ومريم بتخلف الطفل الالهيّ عنهما اذ كانا عائدين من اورشليم . فقفلا اليها راجعَين يفتّشان عليهِ حتى وجداهُ بين العلماء في الهيكل (لوقا ٢ : ٤٠–٥٢)



البـيرة

— ٣ —

بتّين

يصل بين رلم الله والبيرة طريق عربة وعلى اربعمائة متر منهُ الى الشمال قرية بتّين وهي لا شك على ما اجمع المحققون موقع بيت ايل الشهيرة حيث ضرب ابرهيم الخليل خيامهُ اذ دخل ارض كنعان واقام مذبحًا للرب ثم مرَّ في عودتهِ اذ شخص من مصر ثم افترق من لوط (تكوين ١٣) وهناك بات يعقوب حين هرب من وجه عيسو اخيهِ فرأى في الحلم سلّمًا يبلغ عنان السماء وعليهِ الملائكة صاعدين منحدرين ووعدهُ الله بهذه الارجاء ولذريتهِ من بعدهِ . ولمّا استيقظ صرخ : ما اهول هذا الموضع ما هذا الّا بيت الله وباب السماء . . . ولذا سمّاهُ بيت ايل واقام فيهِ نصبًا للرب (تك ٢٨) ولمّا عاد من بين النهرين جاء بامر الله هذا المكان فأكّد لهُ الرب الموعد وسمّاهُ اسرائيل . وهناك ايضًا بلوطة البكاء حيث دفنت دبورة حاضنة رفقة (تك ٣٥) وزار هذا المكان المقدّس النبي ايليا وبعدهُ اليشع تلميذهُ حين صاح الصبيان وراءهُ يا اجلح يا اجلح فلعنهم فخرج من الغاب دبتان فافترستا اثنين

واربعين صبيًّا منهم (٤ ملوك ٢ : ٢٣) الى غير ذلك نضرب من ذكرهِ صفحًا مما جرى في هذا المحلّ الشريف . وهو الآن قرية حقيرة يدعوها الاهلون بتّين. والى الغرب القبليّ منها عين ماء تجري الى بركة صغيرة مستديرة في وسط حوض فسيح يبلغ الستة وتسعين مترًا طولًا في ستة وستين سنتي عرضًا يُدعى بحر بتّين واغلبهُ الآن مردوم يستعملهُ السكّان بيدرًا . والى أعلى القرية بقايا برج قديم قد ترمّم في القرن الثاني عشر وآثار كنيسة باسم القديس يوسف هي الآن جامع . وعلى ثمانمائة متر من الشرق القبلي انقاض دير وكنيسة قديمة هما من بنايات القرن السادس او الخامس ربّما . وقد جُعل الدير بعد ذلك قلعة وهناك في زعم بعض المحقّقين موقع هيكل ابرهيم ويعقوب على ان الطريق لا تمرّ ببتّين بل تبلغ بك توًّا الى

— ٤ —

جفنة ثمّ سيلون

امّا جفنة فهي ربّما غفنة المذكورة في تخوم بنيامين وقد جعلها الرومانيون مركزًا لاجل اعشار اليهوديّة ودعوها غفنة

وقد احتلّها ڤسبسيانس سنة ٦٩ للمسيح وترك فيها جيشاً وقد اشتهرت بجودة عنبها . وفيها الآن خورنيَّة لبطريركيَّة اللاتين ومدرسة لراهبات الورديَّة . ويشاهَد فيهـا بقايا بنايات اديار وحصون وآثار قديمة . ثمَّ تأخذ الطريق على موازاة الوادي ثمَّ تصعد وتنعطف نحو الشمال ثمَّ تلتفت نحو الشرق ثمَّ تدخل في وادي الحراميَّة وبعد نصف ساعة ترى عن يمينك طريقاً يذهب الى قرية سيلون وهي شيلو حيث وضع بنو اسرائيل تابوت العهد بعد الاستيلاء على ارض كنعان وقسموا البلاد على الاسباط بالقرعة . والى هناك ذهبت حنة العاقر لتطلب الى الله ان يرزقها ولدًا فاستجاب العليّ دعاءها وحبلت بصموئيل فكرَّسته لخدمتهِ تعالى في شيلو وهو يافعاً صبيًّا الخ (١ ملوك فصل١ و٢ و٣) وسيلون الآن قرية صغيرة وفيها آثار قديمة منهـا الى الشرق القبليّ محفل او كنيس يهوديّ قديم مربَّع على عشرة أمتار طولاً وعرضاً وكان سقفهُ يستند الى اربعة اعمدة قرنثيَّة وعلى عارضة الباب من اعلاهُ نقوش اسرائيليَّة رمزيَّة ذات شأن عند الاثريّين . على انك ان لم تحد من الطريق الى سيلون تبلغ في اقل من ساعة الى قرية

— ٥ —

اللبن ثمَّ حقل يعقوب وبئره

فاللُبّن هي لا شك لبونا وفيها آثار كنيسة بالقرب من الجامع ثمَّ يميل الطريق بعد ذلك عن شمالك بين جبلَي جرزيم وعيبال فتضحى على مقربة من حقل يعقوب حيث ظهر العليّ لابرٰهيم الخليل قائلًا : لك ولذريّتك أُعطي هذه البلاد فبنى هناك ابرام مذبحًا للرب الذي تجلّى لهُ (تك ١٢ : ٧) ثمَّ رحل يعقوب من بين النهرين مع حاشيتهِ ومواشيهِ وضرب خيامهُ هناك قبالة شكيم وابتاع المكان الذي نزل فيهِ من مالكيهِ بني حمور فاقام فيهِ مذبحًا باسم القدير الٰه اسرائيل (تك ٣٣ : ١٨) وبينما هو قاطن تلك الارجاء احتفر بئرًا فدُعيت باسمهِ الى اليوم . وقبل ان يموت في ارض فرعون اوصى بهذه الارض لابنهِ يوسف وهذا ايضًا اذ ناهز الوفاة استحلف اخوتهُ بان ينقلوا جثمانهُ الى ارض شكيم بعد ان يستولوا على بلاد كنعان

انك ترى على بعض خطوات من الطريق الى جهة الشمال كثيبًا تعلوهُ انقاض وفيهِ بئر تدعى بئر يعقوب . وهي

لا شك المذكورة آنفاً وقد ازدادت شهرة مذ قابل السيد لذكره السجود السامرية هنالك وكشف لها عن سر ملكوت السماوات ولذا تدعى ايضاً بئر السامرية (يوحنا ٤: ٥—٤٢)

وعلى هذه البئر الآن عقد مربع عرض جهاته خمسة أمتار وعلوهُ متران . واما البئر عينها فهي ضيقة من اعلاها مبنية بالحجارة المحكمة الهندام فتتسع تدريجاً الى اسفل حيث تضحي منقورة في الصخر وعمقها الآن اربعة وعشرون متراً ولكن لا نعلم علو الردم المتراكم في قعرها . وقد رأى فيها الاقدمون ماء عذباً غزيراً لا ينقطع . واما الآن فقد ينشف احياناً . وعلى ١٦ متراً الى شمالي هذه البئر ترى

— ٦ —

ضريح يوسف الصديق وبلوطة موريا

ويسمي الاهلون هذا الضريح قبر يوسف وهو في غاية الاكرام والاجلال لدى اليهود والسامريين والنصارى والمسلمين وهو كبئر يعقوب لا شك في حقيقته بشهادة الكتاب واجماع التواتر العام بلا انقطاع . فقد جاء في الكتاب العزيز : « وعظام يوسف التي اصعدها بنو اسرائيل من مصر دفنوها

في شكيم في قطعة الحقل الذي اشتراهُ يعقوب من بني حمور . . .
وصار مُلكاً لبني اسرائيل » (يشوع ٢٤ : ٣٢)

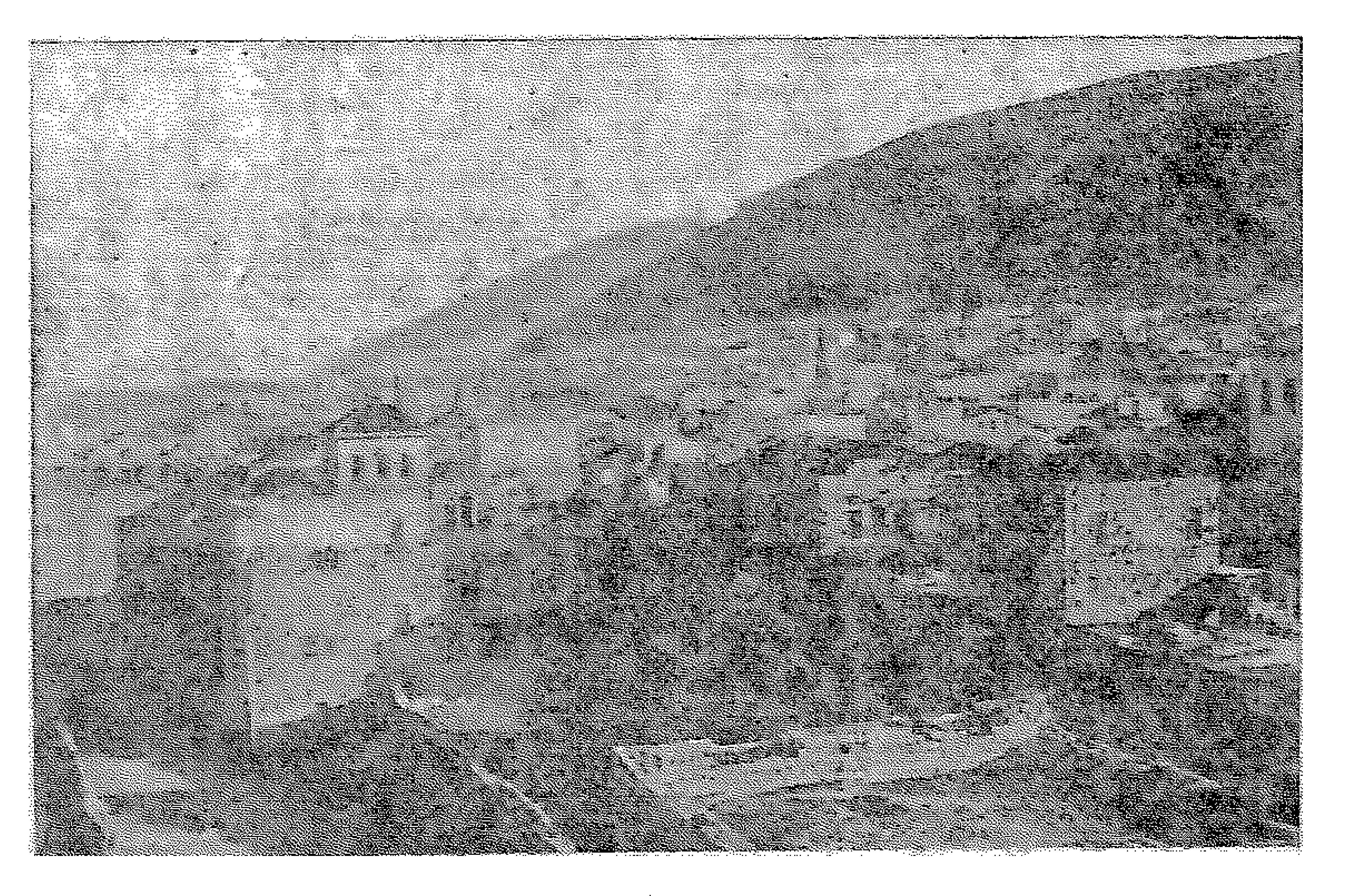
واذا تتبّعتَ طريق نابلس ترى على ٢٥٠ متراً من بئر يعقوب عن شمالك قرية البلاطة وفيها عين ماء معين وسط غيض نضير من شجر التوت والتين فهناك البلوطة الشهيرة في قصص ابرهيم ويعقوب ويشوع وابيملك وفق ما جاء بهِ النصّ والتواتر معاً . فانهُ وان تعذّر تحديد محلّها فهي لا شك في تلك البحبوحة تقريباً بين بئر يعقوب وقبر يوسف وهذه القرية التي حُفظت رغماً عن كرور الدهور اسم البلوطة او البلاطة ببعض التشويه هي دليل قاطع على صحة ما ذكر

— ٧ —

نابلس

بعد ربع ساعة من قرية البلاطة ترى عين دفنة وبنايات القشلة والكرنتينة وملحقاتها فتكون اذ ذاك على ثمانمئة متر من مدينة نابلس وهي الى الغرب قليلاً عن موقع شكيم القديمة . وشأنها خطير في التاريخ بسبب وضعهـا في مضيق بين البحر المتوسط ومصب الاردن مما يجديها حصانة وخصباً

وقد جُعلت هذه المدينة زمنًا طويلًا عاصمة السامرة وقطب مركز السامريّين . وقد رأينا كيف سمع اهلها بشارة الانجيل من فم المعلّم الالهيّ نفسهِ بعد ان قابل السامريّة على بئر يعقوب . ثمَّ وعظهم القديس فيلبُّس الرسول في تلك الارجاء والرسولان بطرس ويوحنا . وفي هذه المدينة وُلد القديس يوستينس العلّامة الشهير في القرن الثاني . ومنذ القرن الرابع اصبحت كرسيّ اسقفيّة وقد طرد الامبراطور زينون السامريّين منها ومن جبل جرزيم وبنى عليهِ كنيسة جميلة لمريم البتول في القرن الرابع ولم يزل السامريّون مشهورين بالتمرّد والفتنة . فمن ذلك انهم قتلوا سنة ٥٢١ اسقف نابلس في ثورة واحرقوا المدينة والكنائس وفتكوا بمَن وقع بيدهم من القسوس والرهبان ودمروا الاديرة فكبح يستينيانس جماحهم بجيشهِ الجرّار فدمّرهم واخذ منهم عشرين الف اسير فباعهم للفرس والهنود وتظاهر مَن بقي منهم باعتناق النصرانيّة او هرب الى اقاصي البلاد . ومع ذلك لم يزل منهم في نابلس شرذمة . ثمَّ استولى على هذه المدينة العرب سنة ٦٣٦ واخذها الصليبيّون سنة ١١٠٠ وعُقد فيها مجمع سنة ١١٢٠ ثمَّ استرجعها صلاح الدين سنة ١١٨٧ ولم يزل اهلها في نشوز



مدينة نابلس

حتى الازمنة الاخيرة على ولاة دمشق وعكّا وقد استولى عليهم واخضعهم ابرهيم باشا بن محمّد علي باشا

وهذه المدينة الآن مركز لواء تابع لولاية بيروت وفيها كثير من الآثار . فالى الشرق الجامع الكبير وهو من بقايا كنيسة مار يوحنا او القيامة قد أُشيدت سنة ١١٦٧ على انقاض سالفتها البيزنطيّة منذ عهد يوستنيانس وبابها يشابه بعض الشبه باب كنيسة القيامة في القدس . والجامع الناصر وهو ايضاً كنيسة من بنايات القرن الثاني عشر على رسم الجامع الكبير في الرملة واعمدتها الاربعة من المحبّب الورديّ بتيجان رومانيّة من بقايا بناء قديم . والى الغرب القبليّ خارجاً عن المدينة جامع الخضرة وهو من كنائس الصليبيّين . والى جانبها برج يشابهُ برج الرملة وكنيسة السامريّة وهو مجمع لليهود وفيه نسخة جليلة من كتب موسى الخمسة مخطوطة بالقلم الفينيقيّ كما استعملهُ الاسرائيليّون قبل السبي . فهي لا شكّ من كتابات القرن الاول للمسيح ولكنها منقولة حتماً عن نسخة اقدم منها جدًّا تبلغ ربّما الى القرن الرابع قبل المسيح

— ٨ —

سابسطية او سباسطة

تخرج من نابلس متبعاً طريق العربة الآتي من يافا ثمَّ تتركهُ بعد ساعة من الزمان مائلًا نحو الغرب الشماليّ حتى يبتدئ الوادي فتمرّ تحت اقنية الري ثمَّ تصعد قليلًا فتبلغ في ربع ساعة الى قرية سابسطية وهي مدينة السامرة حيث كان سيمون الساحر يدهش الناس ويخلبهم باعمالهِ الشيطانيَّة . فلمَّا جاء الرسول فيلبُّس مبشرًا وعمَّد الكثيرين كتب الى كنيسة اورشليم فأتى بطرس هامة الرسل ليمنحهم سرّ التثبيت وحينئذٍ خذل بطرس وقاحة الساحر وكشف القناع عن مكرهِ (اعمال ٨ : ٥—٢٤) وقد حضر اوَّل اساقفتها ماريوس المجمع النيقاويّ سنة ٣٢٥ . وهي الآن ضيعة خربة ويرى بابها الى الآن قائماً مع آثار طريق كان قد انشأهُ هيرودس وزيَّنهُ بالاعمدة على مسافة الف وثمانمئة متر يُرى بعضها منغمساً في التراب . وفيها كنيسة القديس يوحنا المعمدان (الآن جامع النبي يحيي) من احسن بنايات القرن الثاني عشر قد اشادها الصليبيّون على اساسات كنيسة قديمة ربّما من القرن الرابع . وتحت

خربات السامرة القديمة

الكنيسة مصلّى فيهِ ضريح القديس يوحنا كما ذكر القديس ايرونيمس وغيرهُ . ولكن هذه الذخائر المقدسة قد تبدَّدت منذ عهد يوليانس الجاحد سنة ٣٦١ . ومن بناء الصليبيّين لم يبقَ سوى الحنيَّة القبليَّة وبعض الجدران على اساساتها الى علو قليل وفي سبسطة هذه غير ذلك من آثار البنايات الرومانيَّة واليهوديَّة ممَّا يدل على مجد السامرة القديم وما كانت عليهِ من الابهة والعظمة

— ٩ —

من جنين الى حيفا

ان طريق البرّ حتى نابلس وسابسطية يجعلك على مقربة من الناصرة مارًّا بجنين والفولة الخ ولمَّا كان السواد الاعظم يأتي اليها من جهة حيفا فنتبع نحن ايضًا في شرحنا هذه الطريق ومنها الى الناصرة كما ترى

وامَّا جنين هذه فهي في الغالب عين جنيم التي وقعت لسبط يساكر في قسمة يشوع بن نون . وجاء في التواتر ان ههنا قد أبرأ يسوع البرص العشر (لوقا ١٧ : ١١—١٩) وقد اكتُشف فيها على آثار كنيسة بقرب الجامع كانت قد أُشيدت

منذ القرن الرابع . والقرية الآن نضرة تحفّها البساتين الخصبة وفيها مركز قائمقام . وسكانها يربون على الالفين ومنها يذهب الطريق نحو الرمانة وليجون . . . الى

— ١٠ —

حيفا

كانت في القرن الثامن عشر مدينة محصّنة لكن اسوارها الآن قد تهدّمت وبعضها قد دثر تماماً وفي هذه الجهة القديمة المرفأ والكمرك والبوسطة والتلغراف وكنيسة الكاثوليك والروم والسوق . ولكنها قد اتّسعت بالبنايات الجديدة منذ خمسين سنة الى خارج السور لجهة طريق عكّا والناصرة حيث محلة اليهود . والى شط البحر البساتين الخصبة والنخيل . والى الشمال الغربيّ كنيسة اللاتين الرعويّة للآباء الكرمليّين ومدرسة داخليّة في دير سيّدات الناصرة للبنات واخرى لاخوة المدارس المسيحيّة للصبيان وكنيسة للموارنة ودير لراهبات المحبّة واكثر منازل القناصل في هذه الجهة . ثمّ بعد ذلك كولونيّة الالمان وبيوتها المنتظمة وشوارعها النظيفة وبساتينها النضرة

مما يسرّ الناظر ويختلف عن المدينة العتيقة كل الاختلاف
وهناك دير القديس كارلس بور وماوس للالمانيات ومركز اعمالهنّ
الخيريّة العديدة . واعظم مزارات هذه المدينة وفخرها

— ١١ —

جبل الكرمل

المرتفع الى جانبها على علو ثلاثمائة متر ويبلغ في قمتهِ الى
خمسمائة واربعين مترًا فيطلّ على ما حولهِ من الارجاء وعلى
البحر . وكثيرًا ماذكر الكتاب هذا الجبل بعبارات المديح والرموز
البديعة كأنهُ آية الخصب والجمال والذي جعلهُ خصوصاً ذائع
الصيت شهيرًا في الآفاق هو ايلياًّ النبي باقامتهِ في ارجائهِ وما
صنع هناك من الآيات الباهرة والاعمال المدهشة حتى انهُ قد
يُدعى احيانًا بين العامة جبل مار الياس فان على قمتهِ كان هيكل
الرب وتجاههُ آخر لباعال . وكانت ايزابل ابنة ملك صيدون
(صيدا) وامرأة احاب ملك اسرائيل قد اغرت الكثيرين
بمكرها واجتذبتهم الى عبادة الوثن فجمع ايلياًّ النبي بني اسرائيل
واربعمائة وخمسين من كهنة باعال وخطب بالجمع علانيةً وقال

لهم : اذبحوا لآلهتكم اترى هل يقدرون ان يحرقوا الذبيحة فعجزوا . ثمَّ ذبح للرب فنزلت نار من السماء فأحرقت ذبيحتهُ وحصحص الحق للاسرائيليين الذين قبضوا على كهنة باعال بامر ايليا وانزلوهم الى وادي قيشون فذبحوهم . فبعد أن امحلت الارض زمناً طويلًا وانقطع المطر حتى خاف الملك احاب فصلّى ايليا حتى ظهرت سحابة صغيرة فارسل للملك يقول : انزل حالاً قبل ان تمنعك الامطار عن العبور ففعل . ثمَّ هطلت الامطار الغزيرة فأحيت الارض . وقد رأى بعض الآباء القديسين في هذه السحابة رمزًا عن مريم البكر الطاهرة (٣ ملوك ١٨) وجاءت الى النبي اليشاع يومًا امرأة تتوسل اليهِ ان يأتي فيُحيي ابنًا لها قد اغتالتهُ المنية ففعل (٤ ملوك ٤ : ١٨—٣٧) ومن هذه القصة نعلم ان بني اسرائيل كانوا يصعدون الى جبل الكرمل في السبوت ورؤس الشهور للصلاة وتقدمة القرابين . وقد احترم هذ الجبل الاميّون من الرومان وغيرهم . ومنذ صدر النصرانيّة أصبح حافلًا بالنسّاك والمتوحدين . وقد ذكر احد الكتبة منذ سنة ٥٧٠ دير اليشع النبي هناك . ولمّا فقد الافرنج السلطة على اورشليم والتزموا ان ينضمّوا حول عكّا

تكاثرت الرهبان والنسَّاك حول جبل الكرمل تحت رئاسة بروكاردس المولود في القدس من ابوَين افرنسيَّين . ثمَّ طلبوا سنة ١٢١٢ الى ألبرتُس القاصد الرسوليّ والبطريرك الاورشليميّ المقيم اذ ذاك في عكّا ان يرسم لهم قانونًا جديدًا ففعل . وهكذا تأسَّست نهائيًا رهبانيَّة الكرمل وكثر عدد ابنائها حتى انتشروا في كل اوروبا . ووضع القديس سمعان ستوك رئيسهم العام (سنة ١٢٤٥) اخويَّة ثوب السيّدة الشهير . ثم تقلَّبت الظروف في البلاد فالجأت اكثر الرهبان الى الهرب سنة ١٢٩١ وذُبح الباقون عن آخرهم وبقيت اماكنهم خاوية خالية . وجاء سنة ١٦٣٠ الأب بروسبير الاسبانيّ الكرمليّ مع اثنين من رفقائه فسكنوا بين انقاض ديرهم القديم ولكنهم لم يستطيعوا ان يقيموا طويلًا . وسنة ١٧٦٧ جاء منهم زمرة اكثر عددًا فأشادوا ديرًا جديدًا على قمة الجبل . ولمّا جاء نابليون بونابرت جعلهُ مستشفى للجرحى والمصابين بالطاعون ولكنهُ حالما نزح عن البلاد ذُبح مَن بقي بعدهُ هناك من رهبان وجنود وأُحرق الدير سنة ١٧٩٩ ثمَّ جاء الأخ يوحنا فرسكاتي سنة ١٨٢٧ فوضع الحجر الأوَّل من هذا البناء الذي يُشاهَد حالًا وبعد

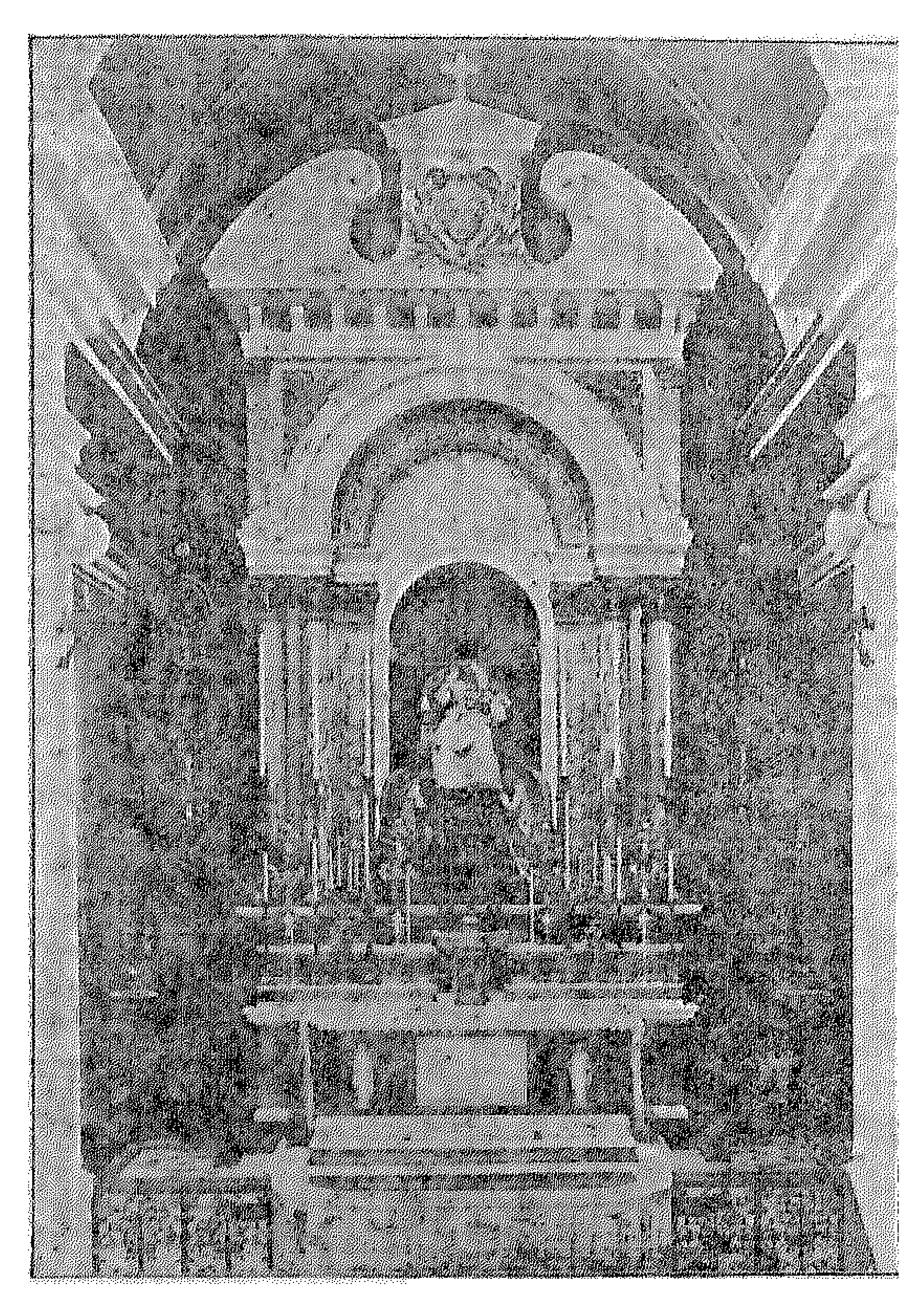
ثلاث سنوات نجز العمل بحوله تعالى وابتدأ الرهبان الكرمليّون نهائيًّا باقامة الفروض الالهيّة على الجبل الشريف

— ١٢ —

دير الكرمل وكنيسته

موقع هذا الدير على مائة وخمسين مترًا علوًّا وثلاثة كيلومترات بُعدًا عن مدينة حيفا وهو مشيّد على قمة فسيحة ببناء منيع بجدران ضخمة ونوافذ متينة معزَّزة بالعوارض الحديديَّة وباب صغير محصّن بالمرامي على احسن طرز البنايات الشرقيّة من نوعها في الاجيال المتوسطة . فالطبقة السفلى منهُ معَدّة للضيافة ونزول الزوّار . وامّا العليا فمخصوصة بسكنى الرهبان . ومن السطح الفوقيّ يمتدّ النظر الى كل الارجاء المحدقة بالجبل المقدَّس فترى الى الشمال حتى عكّا وصور والى الشرق الى جبال الجليل وحرمون الأكبر

وامّا الكنيسة فهي بناء مثمّن الزوايا او بالحري على شكل صليب يونانيّ من الطرز الايطاليّ الشائع في القرن الثامن عشر ويعلوهُ قبّة وفيه سلّمان حربيّان من الرخام الابيض ترتقي



كنيسة دير الكرمل

بهما الى الهيكل الكبير والخورس وبين السلمين باسفل الهيكل منحدر على خمس درجات تؤدي الى مغارة صغيرة بعرض خمسة أمتار في ثلاثة نحو الهيكل حيث تمثال خشبي يشخص النبي ايليا وكتابة على المدخل تشير الى ان هذه الحجرة من اللواتي قد سكنها النبي الغيور . وفي نواحي الجبل آثار ومقادس اخرى اغفلنا ذكرها اختصاراً

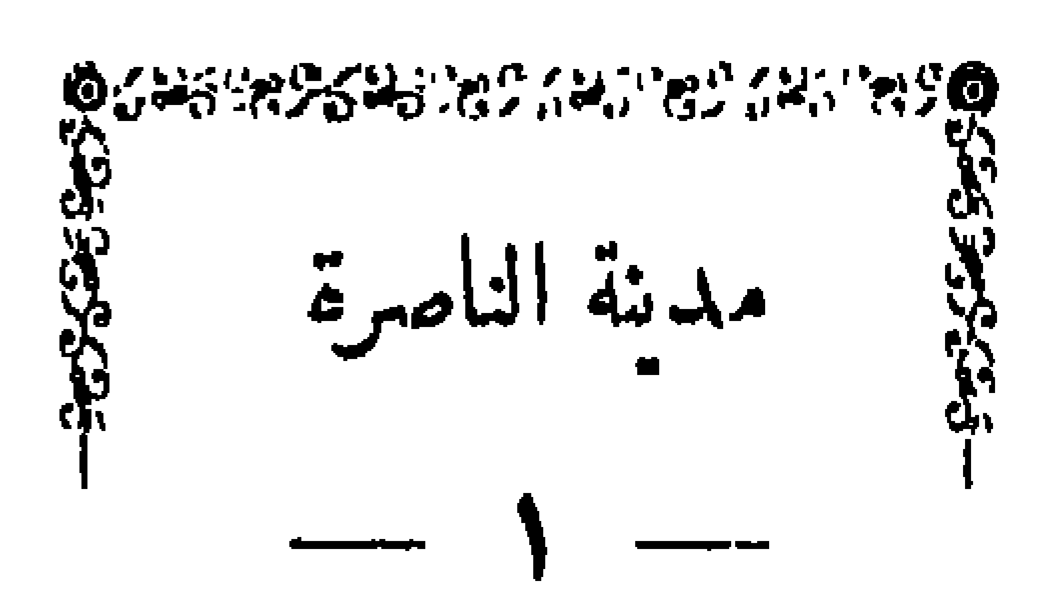
— ١٣ —

من حيفا الى الناصرة

تمرّ في هذا الطريق على بلد الشيخ عن يمينك بعد خمسة كيلومترات من حيفا ثمّ ياجور وفيها التوت والنخيل ثمّ تل الحربج عن شمالك على عشرة كيلومترات وبعده وادي الشومرية عن اليمين وهي اوّل محطات السكة الحديدية . ثمّ يأتي نهر المقطع تمرّ فوقهُ السكة على جسر بستّ قناطر ثمّ يميل الطريق عن الكرمل ويصعد متعرّجاً نحـو الحرتية ثمّ الشيخ ابريق حيث مدافن قديمة اسرائيلية . ثمّ تقطع وادي الجداء وبعد ذلك تبلغ على اربعة وعشرين كيلومتراً من حيفـا الى

قرية صغيرة تُدعى الصمونيَّة وعلى رابيةٍ نحو الشرق ترى آثار قلعة قديمة . ومن هناك يرتفع الطريق صعودًا فترى منهُ الارجاء حتى الكرمل وعلى ٢٩ كيلومترًا من حيفا قرية مجيدل فيها نحو الستمائة نفس بين اسلام وروم ولاتين ولهؤلاء خوري من مرسلي الاخوة الاصاغر وكنيسة رعويَّة ومدرستان للصبيان والبنات . وبعد قليل تكشف عن بعد جبل الطور وبعدهُ على جبل القفزة وعلى خمسة وثلاثين كيلومترًا من حيفا ترى الى شمالك قرية جميلة على هضبتين تُدعى يافا الناصرة ويدعوها الاهلون ام الطوابين وهي لا شك يافع على حدود ذابلون واما كنيستها التي تراها آتيًا من مجيدل فهي على اسم القديس يعقوب . فان التواتر منذ القرن الخامس عشر يؤكد ان يافا هذه هي وطن الرسولين يعقوب ويوحنا ابني زبدا وان كانا يقطنان بيت صيدا في زمن حياة المسيح العلنيَّة . وربما في هذه الجهة كانت كنيسة البندكتيين القاطنين طور طابور في القرن الثاني عشر كما جاء في الآثار المنقولة عن الكتبة والمؤرخين . وفي هذه القرية آثار رومانيَّة وقبور قديمة وكنيسة رعويَّة للاتين يسوسها احد كهنة البطريركيَّة ومدرسة لابناء

الرعيّة . وتمرّ بعد ذلك على بئر الامير وتنحدر سفليًا ثم تلتفت مع الطريق فتظهر امامك مدينة الناصرة فترى قبّـة نواقيس كنيسة البشارة والى اليمين على كثيب بين اشجـار السرو كنيسة دير البنات كما سيأتي تفصيلًا



مدينة الناصرة

— ١ —

لم تُذكر قط هذه المدينة في كتب العهد العتيق ولا في التواريخ القديمة . فكأنّ هذه الزهرة النضرة لن تظهر للعيان الا لتطلع ثمرة الحياة مَن جاء فرعًا من اصل يسّى فكان شرف الناصرة وشهرتها الاتية عن انها كانت المحلّ الذي فيه قطنت مريم البكر الطاهرة وهناك اقبل اليها زعيم الملائكة يُبشّرها بالحبل الالهيّ والتجسّد العجيب . وهي البقعة السعيدة التي اختارها للسكنى باري الاكوان وفادي الانام ففيها اقام معظم حياته خاضعًا لامـه وللقديس يوسف عائشًا في الفقر والتعب والعزلة مجهولًا من الناس حتى بلغ الثلاثين من عمره

مدينة الناصرة

فايّ عرف طيب لا يفوح عن هذه العائلة الجليلة التي شرَّفت ارضنا واضحت قدوة العائلات بل ثالوث الارض كما دعاها الآباء القديسون اي يسوع ومريم ويوسف مثال كل فضيلة وصلاح . فهذا ولا شك فخر لا يوازيهِ فخر وشرف لا يوازيهِ شرف

— لمحة تاريخيَّة —

قد جاء في الانجيل الشريف عن فادينا الالهيّ بانــهُ ذهب فقطن الناصرة ليتمّ مــا جاء عنهُ في الانبياء انهُ يُدعى ناصريًّا (متّى ٢ : ٢٣) فزعم قوم بناءً على هذه الآية بان الكتاب المقدس لا يتضمن كل النبوات فمنها ما كانت متداولة ولم تبلغ الينا . وذهب القديس ايرونيمُس بان تأويل الآية بان السيّد سيكون مستهجنًا في عيون اهل عصرهِ كما كان الناصريّون حتّى قيل عنهم : وهل يخرج من الناصرة شيء فيهِ صلاح . ونعلم بشهادة ترتليانس ان اليهود والامم كانوا يُسمّون تلاميذ المسيح وتباعهِ ناصريّين او نصارى احتقارًا وامتهــانًا . ولم تزل الناصرة قرية يهوديَّة صرفًا حتّى ايام قسطنطين الكبير اذ تمكن المسيحيّون من بناء كنيسة البشارة وكنيسة العيالة المسيحيَّة حيث كان حانوت القديس يوسف وبيتهُ . وقد فقدوا هاتين الكنيستين ثمَّ استرجعوهما مرارًا على توالي السنين . وفي عهد الصليبيّين قــد ترممتا من جديد بعد خرابهما . ثمَّ جاء القديس لويس ملك فرنسا بعد تخلّصهِ من الرقّ في مصر فزار الناصرة سنة ١٢٥٤ بورع وخشوع

لا مزيد عليهما ولم يمضِ على ذلك السنون القليلة حتى التزم المؤمنون ان يرحلوا عن هذه المقادس الشريفة او يضحّوا حياتهم لاجلها . ومنذ سنة ١٣٤٩ اذ رحل الافرنج نهائياً عن البلاد ولم يبقَ الّا الاخوة الاصاغر من آباء الارض المقدسة للمحافظة والدفاع على كنيسة الناصرة وكنيسة العيالة او التربية والعناية بمَن بقي هناك من المؤمنين ما امكنت الظروف وما استُطيع الى ذلك سبيلاً كما يشهد المؤرخون من البروتسطانت انفسهم . وكان القديس فرنسيس الساروفيّ قد زار هذه المقامات الشريفة في الناصرة عام ١٢١٩ كما يخبرنا مؤرخو حياته . واما كنيسة البشارة هذه الحالية فقد اشادها الاخوة الاصاغر سنة ١٧٣٠ في غضون سبعة اشهر بين المصاعب والمخاوف . فلا بدع ان نراها الآن على دون ما يرام من الابهة والهندام

حالة الناصرة حالاً

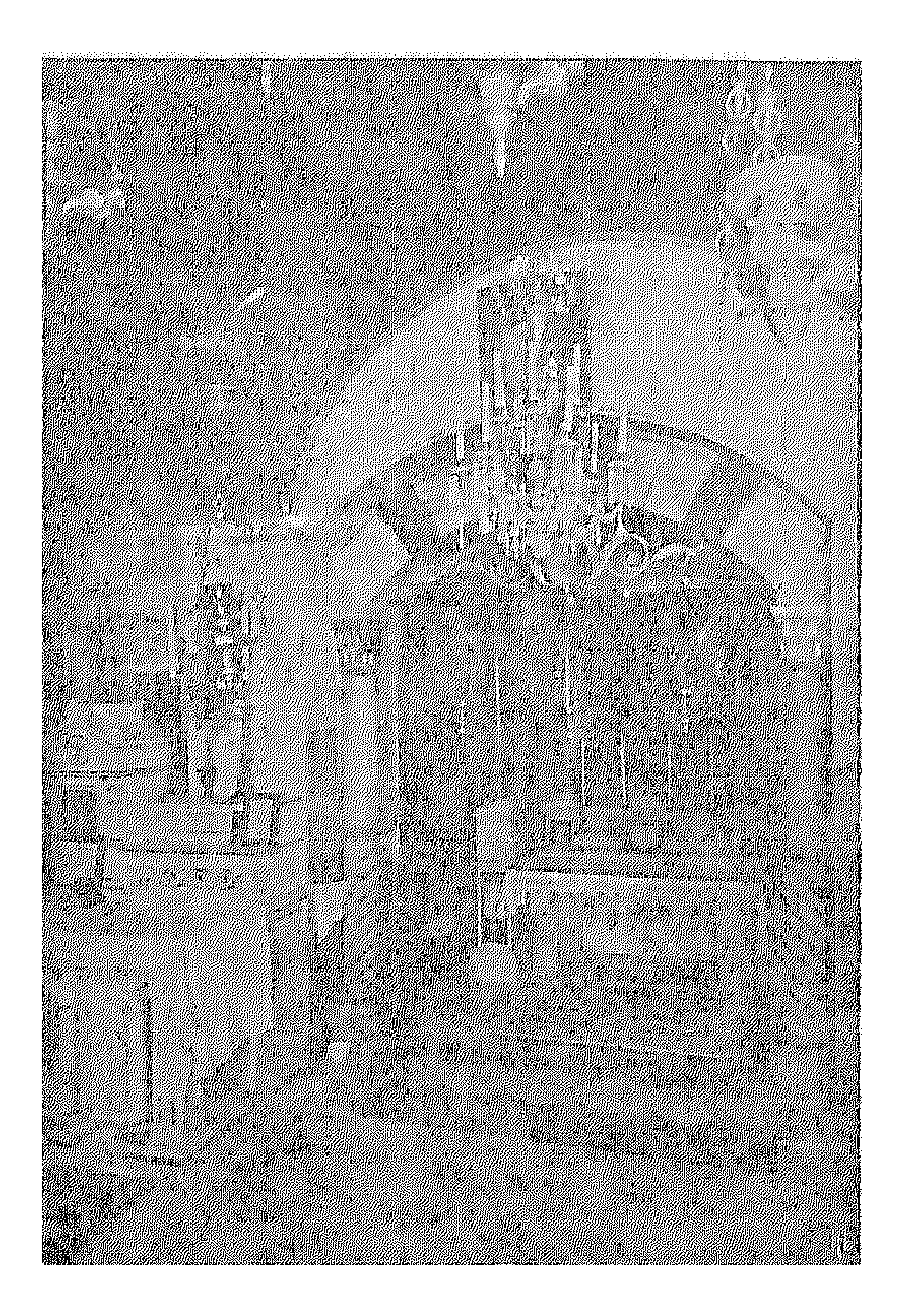
هي اليوم مدينة مزهرة ومركز قضاء تابع لمتصرفيّة عكّا ويربو عدد سكّانها على السبعة آلاف نفس من تبعة الدولة العليّة بين اسلام وكاثوليك (اي لاتين وروم وموارنة) وروم غير كاثوليك وبروتسطانت . وفيها الكنائس والاديار والمدارس والمشروعات الخيريّة العديدة للاخوة ألاصاغر واخوة مار يوحنا الربّاني وراهبات الناصرة والقديس يوسف ومار منصور واخوة المدارس المسيحيّة والساليزيان والكلاريسيّات الى غير ذلك

— ٢ —

☩ كنيسة البشارة

كانت هذه الكنيسة في القرن الرابع من اعظم الكنائس متانة وسعة وجمالاً وابهة . فان المقام الشريف حيث ظهر الملاك جبرائيل للبتول الطاهرة وان يكن لم يزل في موقعهِ حتى الآن كانت الكنيسة العظمى موجهة يمنة ويسرة فوقهُ من الشرق الى الغرب . بحيث كان يراهُ الداخل عن يسارهِ وكان عرضها بقرب ضعفي الحالية وطولها ثلاثة اضعافها تقوم بثلاث حنايا ضخمة الجدران على ثلاثة اسواق ترتفع على اعمدة المرمر المحبب السماقي البديع مما يرى بعضها موجودة حتى الآن ويعلوها القبة الشامخة الجميلة ترتكز على اربع دعائم منيعة منيفة . واما الحالية فهي على ثلاثة اسواق ايضاً وطولها اثنا وعشرون متراً في سبعة عشر عرضاً لكنها موجهة من الشمال الى القبلة بعكس سالفتها بحيث يضحى مقام البتول الى صدرها بازاء الباب وفوقهُ الخورس والهيكل الكبير ويصعد اليهِ على سلّم حلبيّ يمنة ويسرة وبين طرفيها منحدر المغارة الشريفة على خمس عشرة درجة من المرمر الابيض . وكانت وفق تقرير

المحققين من مؤرخين وأثريّين اشبه بما نراهُ في بيوت الناصرة حتى اليوم من بيت بحائط يعتمد الى احدى جهاته على جبل فيهِ مغارة هي من مشتملاتهِ . فبيت كهذا لا شك كان مسكن عذرآء الناصرة وكان مدخلهُ على موازاة الطريق الذي ارتفع مع الزمان بتراكم الاتربة والانقاض حتى اضحى البيت منخفضاً عند بناء الكنيسة في القرن الرابع كما يشاهد الآن او اقل قليلًا . فان السلّم الحالي على خمس عشرة درجة يفضي بك الى فسحة صغيرة معقودة فترى عن يمينك هيكلًا باسم القديسَين يواكيم وحنة وعن شمالك آخر باسم الملاك جبرائيل فهذا موقع بيت العذرآء نفسهِ ويدعى الآن معبد الملاك ومنهُ تدخل تحت قوس بركاريّ يرتكز الى عمودين مفتولين من الرخام الابيض فتنحدر على درجتَين الى مغارة البشارة وهي منقورة كلها في الصخر واكثرها مرصوف بالرخام والى صدرها هيكل من المرمر الثمين وعليهِ صورة البشارة وتحت مائدتهِ ترى هذه الكلمات باللاتينيّة نقرًا في الرخام « الكلمة صار ههنا جسدًا » فهذا هو المحل الشريف حيث ابتُدِئ عمل فدائنا العجيب بتجسد ابن الله الوحيد وفيـهِ رنّت تلك



مغارة سيدة البشارة

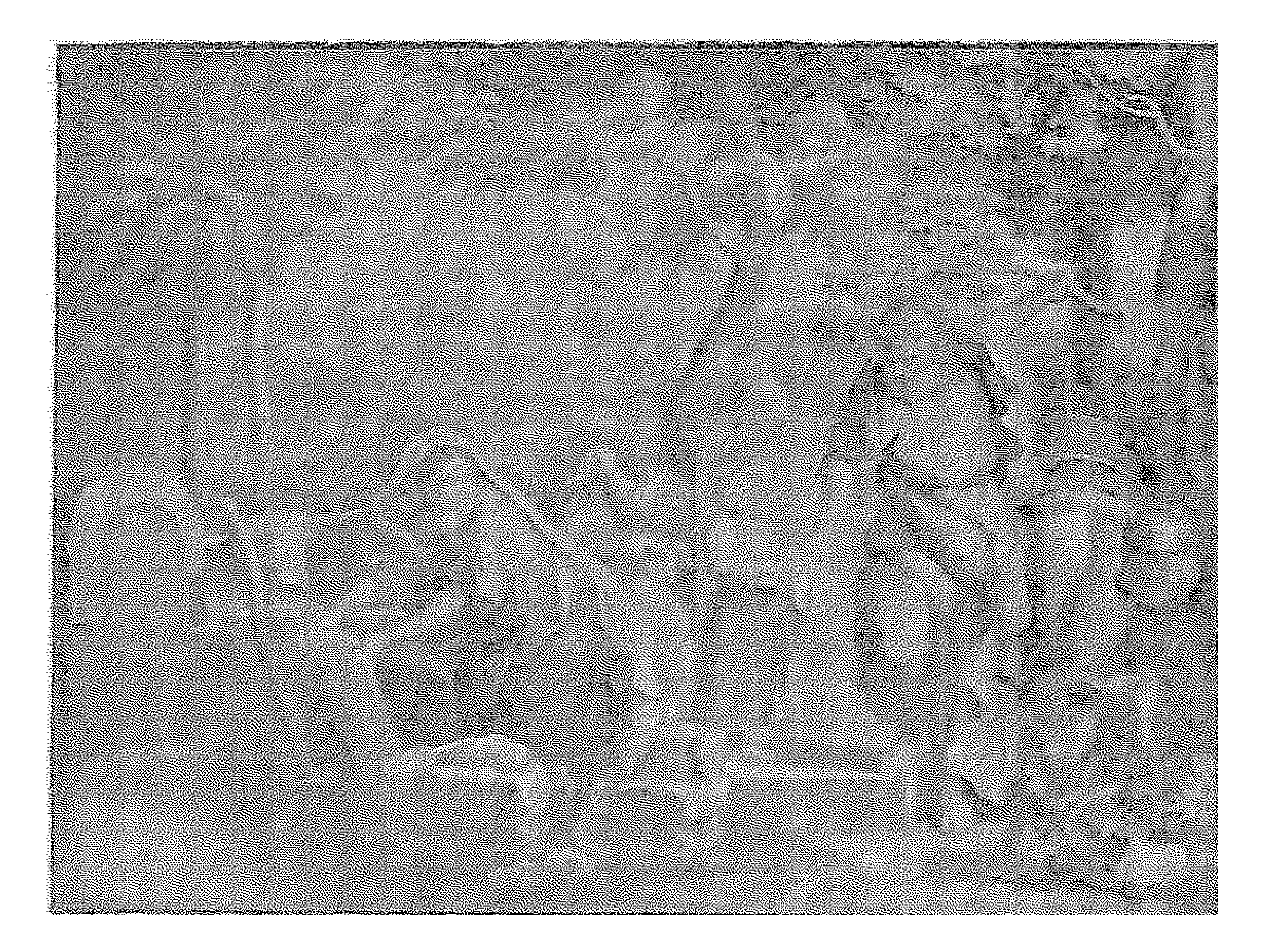
الكلمات التي اسمعت صداها المسكونة وكرّرتها الملايين من الالسنة بين كل الاجيال وعلى توالي القرون والادهار وما زالت ولم تزل في فم كل مؤمن خاشع « السلام عليكِ يا مريم يا ممتلئة نعمةً الرب معكِ مباركة انتِ في النساء » وكذا الاية الاخرى البديعة التي نطقت بها العذرآء القديسة « ها انا امة الرب فليكن لي كقولك » (لوقا ١ : ٢٦ — ٣٨)

وترى الى شمالك عمودين من المحبب السمّاقي قد وُضعا هناك منذ القرن الرابع لتعزيز سقف المغارة عند بناء الكنيسة العظمى احدهما اليوم مندمجًا الى نصفهِ في البناء والثاني قد انكسر لجهة قاعدتهِ وبقي معلقًا في اعلى المغارة . والى جهة الشرق من هيكل البشارة باب تدخل منهُ الى الجزء الآخر من المغارة حيث هيكل القديس يوسف وراء هيكل العذرآء المذكور يفصلها الجدار واليهِ روافدهما والى صدر المغارة سلّم ضيق منقور في الصخر قد انشئ سنة ١٦٢٤ وبهِ تصعد على ست عشرة درجة الى السكرستيّا والدير

— ٣ —

† كنيسة العيالة او التربية او بيت القديس يوسف و † عين العذراء

تخرج من الدير فتأخذ الطريق عن يمينك وتلتفت نحو زاويــة الدير بين الشرق والشمال فتبلغ في ثلاث دقائق الى بيت القديس يوسف حيث تربّى فادينا يسوع وقضى صباهُ وشبوبيّتهُ حتى بلغ الثلاثين خاضعاً لمريم ويوسف ومكبّاً معهما على الشغل ومشقّات الحياة . وهذا البيت ايضاً على ما نقل زوار الاعصار الاولى كان مؤلفاً من بنيان ومغارة وبستان صغير فيه بئر ماء . ثمّ بُني على هذا المحل كنيسة منذ القرن السادس دُعيَت بيت او حانوت القديس يوسف . واما قبل ذلك فكانت تُدعى كنيسة الاعالة على ان الاخوة الاصاغر لم يتمكّنوا حتى سنة ١٧٥٤ سوى من الاستيلاء على جزء من هذا المحل الشريف حيث اشادوا معبداً . واما مؤخراً فقــد احرزوا كل المكان بمشتملاتهِ وما حولهُ واكتشفوا هناك على آثار كنيسة فسيحة رومانيَّة الطرز بثلاثة اسواق تقيس تسعة



عين العذرآء

وعشرين مترًا طولًا في خمسة عشر ونصف عرضًا وتحت جدارها القبليّ بقرب الباب الجانبيّ بئر واسعة متقنة الصنع يأتي اليها الماء في اقنية من عين العذرآء ويُستقى منها بحبل ودلو الى طرفي الجدار اي من داخل الكنيسة ومن خارجها فهذا لا شك موقع كنيسة القرن الرابع . واما المعبد الحاليّ فعلى طرفهِ الشرقيّ وهو صغير وقتي وفيهِ هيكل واحد

وعلى اربع دقائق من كنيسة الاعالة لجهة الشرق ترى سلسبيلًا عموميًا الى يمينك يُدعى عين مريم ويأتيهِ الماء من الجبل حيث نبع ينفجر بقرب كنيسة الملاك جبرائيل . وقد ذكر الكتبة والزوار اجمع هذه العين فمنها لا شك كان يستقي يسوع ومريم اذ ليس سواها في البلدة

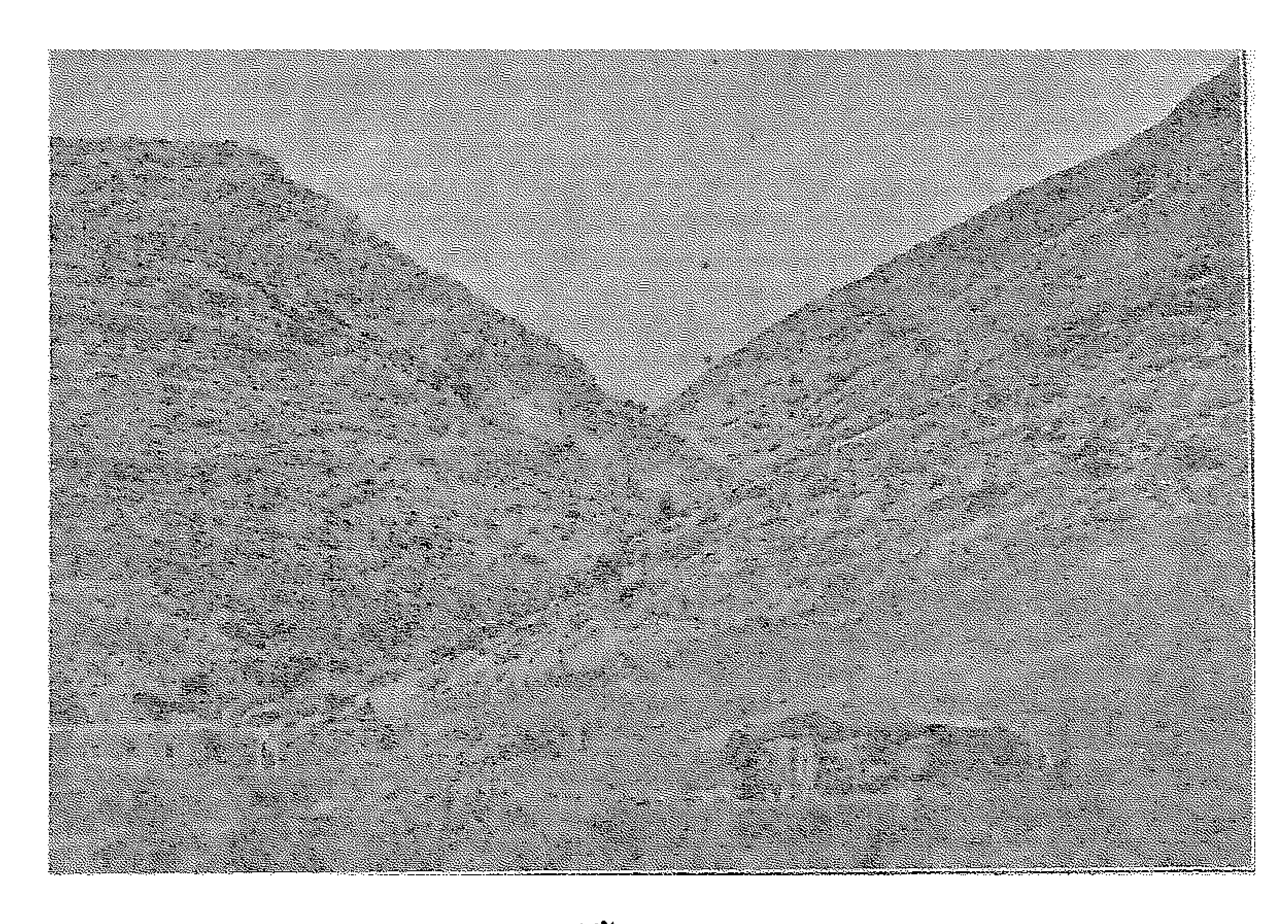
— ٤ —

† مجمع اليهود و† مائدة السيّد و† القفزة

على مائة وثمانين مترًا الى الغرب الشماليّ من منزل الغرباء بعد السوق ترى كنيسة الروم الكاثوليك الرعويّة والى جانبها معبد قد اشيد على موقع مجمع اليهود حيث فسّر

يسوع يوماً نبوة اشعيا المقولة عن شخصهِ الشريف فخنق عليهِ اليهود واتهموهُ بالتجديف واتوا بهِ الى جبل القفزة ليرموا بهِ الى اسفل . ويُدعى هذا المعبد بين العامة مدرسة المسيح (لوقا ٤: ١٤—٣١)

وعلى اربعمائة خطوة الى الغرب الشماليّ من مجمع اليهود ترى معبداً صغيراً يعاوهُ قبَّة تحتها صخرة خشنة على فطارتها تقيس ثلاثة أمتار ونصف طولاً في ثلاثة عرضاً ومتر واحد علوّاً قيل ان عليها قد اكل يوماً السيد المسيح مع تلاميذهِ . والعين التي بجانبها قد جفّت منذ الزلزلة فلم يعد يجري منها الّا قليل من الماء وتُدعى عين الرسل . ولا يذكر لنا قدماء الكتبة نقلاً وطيداً يُركن اليهِ في هذا الباب بعكس جبل القفزة على كيلومترين من قبلي البلدة حيث ترى امامك هوّة على عمق ثلاثمائة واثني وتسعين متراً فقد اجمع التواتر ونصوص الكتبة بانهُ هو المكان الذي اتى اليهِ اليهود بيسوع ليلقوهُ الى اسفل واماً هو فرّ باعجوبة متوارياً عنهم ومضى كما ذُكر اعلاهُ



جبال القفزة

— ٥ —

† دير البنات او كنيسة سيّدة الرعشة

عند بلوغك الى الناصرة من جهة حيفا ترى الى يمينك قبل دخول البلدة هضبةً رائعة مغروسة بالاشجار والكروم وعلى قمتها معبد لطيف وموقع هذا المكان على طريق جبل القفزة يدعوهُ الاهاون دير البنات واماَّ المعبد فيُدعى بين الاروبيّين بكنيسة سيّدة الرعشة لما جاء في الخبر المأثور ان العذرآء الطاهرة قد سمعت في البلدة ما قد جرى لابنها الوحيد ان اليهود قد مضوا بهِ الى جبل القفزة ليطرحوهُ الى اسفل فمضت مسرعة في أثرهِ ولماَّ بلغتْ مكان المعبد المذكور شاهدت الجمهور عائدًا في حنق وهياج فامتلأت خوفًا وارتعشت الى ان علمت بان الحَمَل الوديع قد تخلّص من ايديهم متواريًا عنهم فسكن روعها وهذا التواتر عريق في القدم فقد ذكرهُ احد الكتبة منذ سنة ٨٠٨ واماَّ الكنيسة فقد أُشيدت سنة ١٨٨٢ ثم ترمّمت حديثًا



كنيسة سيدة الرعشة

من الناصرة الى جبل الطور

١

دَبُّورية

من الناصرة الى جبل الطور او طور طابور ترى قبل مصعد الجبل قرية تُدعى دَبُّورية وهي دبرت القديمة (يشوع ٢١ : ٢٨) وقد جاء في التواتر المتواصل ان السيّد لهُ المجد قد ترك تلاميذهُ هناك اذ كان صاعدًا الطور فلم يأخذ منهم معهُ الّا بطرس ويعقوب ويوحنا يوم تجلّى امامهم . وفي عودته معهم الى هناك حيث كان قد ترك باقي التلاميذ رآهم في حيص بيص يعجبون من عجزهم عن شفاء شاب متشيطن فقدّموهُ اليهِ فابراهُ ثمّ سألوهُ سرًّا بعد انصراف الجمع عن سبب عجزهم فاجابهم : ان هذا الجنس من الأبالس لا يخرج الّا بالصوم والصلاة (مرقص ٩ : ١٦ — ٢٦)

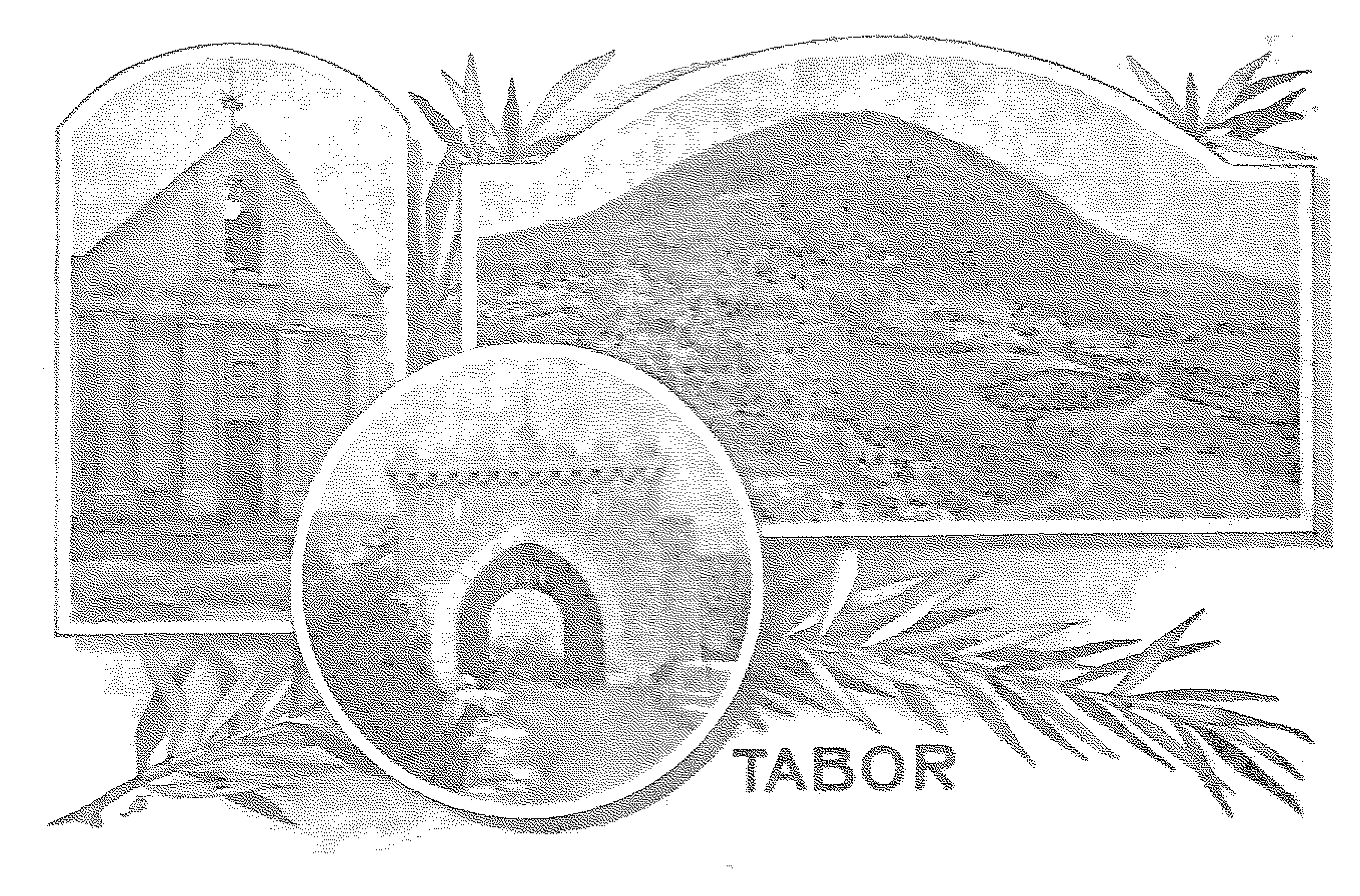
وقد اكتُشف في هذا المحل على آثار كنايسة قديمة يقيسها اثنان وعشرون مترًا طولًا في عشرة أمتار عرضًا وهي كنيسة الرسل التي جاء ذكرها متواترًا في كتبة الاجيال المتوسطة

ورحلاتهم. وقد أُشيدت قبل تاريخ الهجرة ذكرًا لآية السيّد هذه من شفاء المتشيطن على مشهد تلاميذه الاطهار

— ٢ —

طور طابور او جبل الطور

ان التواتر بلا انقطاع منذ العهد الرسوليّ يؤكد لنا باجماع الكتبة والمؤرخين بان موقع تجلّي الرب كان في طور طابور وان لم يذكر الانجيل الشريف اسم الجبل ولكننا من نصّ البشيرَين (متى ١٧ : ١ ومرقص ٩ : ١) وتعيين الوقت بقولهما وبعد ستة ايام ان هذه الوهلة قد مضت في سفر يقتضيه هذه المدة واما عبارة القديس لوقا (٩ : ٢٨) وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية ايام. يدل على ان هذا البشير قد حسب يوم السفر ويوم الوصول واماَّ الآخران فقد حذفاهما وقد ايّد هذا النصّ الآباء والكتبة واعتقاد الاجيال المتوالية والتواتر المتواصل بالاجماع العام (مرقص ٩ : ١ — ٩) وقد ذهب تيودوسيوس (سنة ٥٣٠) وغيرهُ من الكتبة ان في هذا الجبل قد ظهر للرسل والتلاميذ. ولأكثر من خمسمائة آخرين معًا كما جاء في بشارة متى (٢٨ : ١٦ — ٢٠) ورسالة بولس الأولى الى اهل كورنتس (١٥ : ٦)،



طور طابور او جبل الطور

وكان هذا الجبل في يد البندكتيين في القرن الثاني عشر حيث اشادوا هناك ديرًا حصينًا ورمّموا الكنائس ثم خلفهم (سنة ١٢٥٥) بأمر البابا اكليمنضس رهبان مار يوحنا الربّاني المرّضون وسنة ١٦٣١ نال الاخوة الاصاغر من الأمير فخر الدين فرمانًا للاستيلاء على معابد الجبل ومشتملاتها

— ٣ —

✠ كنيسة التجلي الباسيلية

ان اشرف ما اكتشف من الآثار في هذا الجبل المقدس هي كنيسة التجلّي وما اتّصل بها من البنايات ممّا يدلّ واضحًا على انها ممّا رمّمهُ البندكتيون في القرن الثاني عشر على انقاض المعابد القديمة منذ القرن الرابع . فانك في دخولك هذه الحفائر ترى عن شمالك بقايا معبدٍ على طول ستة أمتار وعرض اربعة والى واجهتهِ دير صغير من انشاءات القرن الثاني عشر ومنهُ الى الشرق انقاض معبدَين متقابلَين كل بجنبية الى الطرفَين فذو الشمال باسم مار الياس الحيّ او النبيّ ايليّا يقيسهُ اربعة أمتار عرضًا في ثمانية طولًا تقريبًا وهو من القرن الرابع وقد جُعل

بعد ذلك قاعة اوغرفة . وذو اليمين باسم موسى النبي ولم يحلّ بهِ من الدثار ما حلّ بالأول فهو اكثر مناعة واقلّ طولًا . وبين المعبدَين حيث البابان يلتقيان مدخل واسع يؤدي الى الكنيسة العظمى بينهما وهي كنيسة التجلّي التي ذكر المؤرخون انهـا كانت الكاتدرائيَّة في القرن السادس وانها أُشيدت منذ اواخر القرن الرابع مع اختَيها المتقدمتَين ذكرًا

— ٤ —

☩ كنيسة نائين

على مسافة ساعتَين ونصف من الناصرة الى الشرق القبليّ ترى مدينة اوقرية تُدعى نائين او نين حيث اوقف يسوع محمل ابن الارملة واقامهُ من التابوت فسلَّمهُ الى امهِ حيًّا معافًى . والناؤوس القديم الذي يُشاهد الى الشرق القبليّ هو ربَّمـا المدفن الى حيث كانت تتجه الجنازة والى شرقيّ القرية حيث كان باب المدينة ترى كنيسة اول ما أُشيدت في القرن الرابع ثم اشاد الاخوة الاصاغر على اساساتها المعبد الحاليّ منذ عهـد قريب (لوقا ٧: ١١) وعلى بضع خطوات من القرية عين ماء تنصب في حوض خرب وثلاثة نواويس قديمة مكسّرة

من الناصرة الى طبرية

— ١ —

الرينــة

الذهاب من الناصرة الى طبرية قد يكون على طريق طور طابور كما مرَّ او عن طريق كفركنّا (قانا الجليل) تتجه مارًّا امام عين العذرآء ثم تذهب صعودًا في ربع ساعة الخانوق حيث يكشف النظر ارجاء واسعة من حوله وبعد خمسين دقيقة تنحدر الى الرينة حيث كنيسة رعويَّة لبطريركيَّة اللاتين. وبعد بضع دقائق تمرّ بسيل يأتي من عين الشماليَّة حيث كانت الموقعة الشهيرة بين العرب والافرنج في ايار سنة ١١٨٧ وبعد عشر دقائق تبلغ المشهد وهو مسقط رأس يونان النبيّ ومحلّ مدفنه حيث المسجد ذو القبّتين. وبعد نصف ساعة عين كفركنّا حيث كان معبد طالما ذكرهُ المؤرخون ولم يعد لهُ الآن من اثر وهناك البساتين المخصبة بالرمان والتين والزيتون المسيّجة برصيف من الصبّير الى جهتي الطريق وبهِ تبلغ في بضع دقائق الى

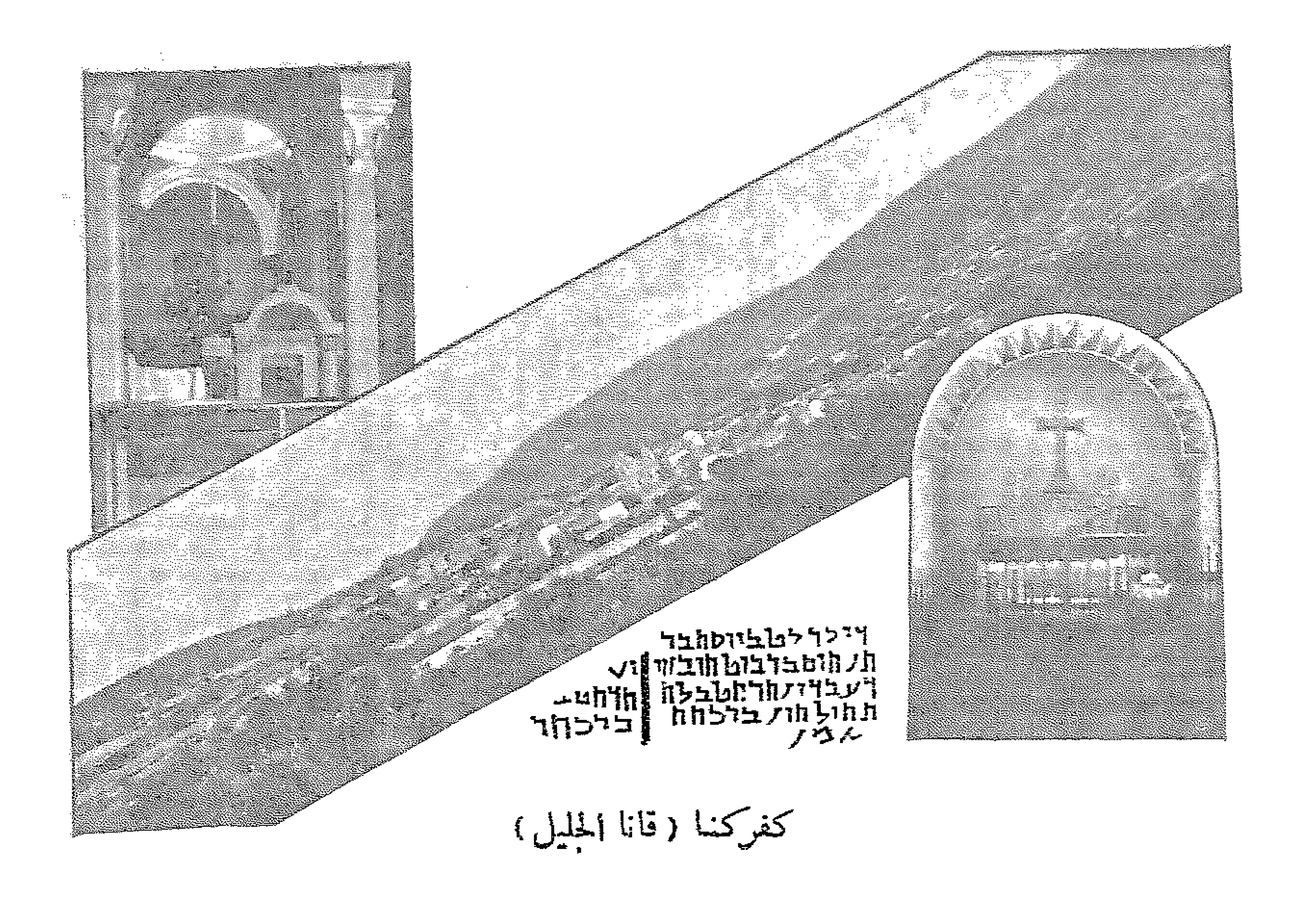
— ٢ —

كفركنّا (قانا الجليل)

حيث ابتدأ فادينا الالهيّ حياتهُ العَلَنية بتلك المعجزة الباهرة اذ أحال المـاء خمرًا اجابةً لطلب والدتهِ البكر الطاهرة فاعلن قدرتهُ وآمن بهِ تلاميذهُ وقد نظم الزيجة في سلك أسرار الكنيسة المقدسة فرقّاها الى مقام سرّ شريف يرمز عنهُ اقترانهُ تعالى بالكنيسة المقدسة . ثم هناك قد شفى عن بعد ابن القائد حاكم البلدة مستجيبًا تضرعاتهِ المملوءة ايمانًا بقولهِ لفادينا: يارب اني لا استحق ان تدخل تحت سقف بيتي لكن قُل كلمة فيشفى فتاي . وقانا هذه هي وطن نتنائيل وهو برتلماوس الرسول

وهي الآن قرية صغيرة لا تزيد سكّانها على الف نسمة بين اسلام وروم ولاتين وبروتسطانت . واماً كنيسة ✠ اللاتين الحالية فهي على موقعِ كنيسة قديمة منذ القرن الرابع كما تدلّ الآثار الباقية حتى الآن فمنها الكتابة العبرانيّة بالفسيفساء على الحضيض الاصليّ الى غير ذلك من البقايا والانقاض مما يقدرهُ الأثريون حق قدرهِ (يوحنا ٢ : ١ — ١١)

وان خرجت من القرية الى الجهة الشماليَّة ترى عن يسارك



كفر كنا (قانا الجليل)

† معبدًا قد اشادهُ حديثًا الاخوة الاصاغر على اساسات كنيسة قديمة ايضًا من انشاءات القرن الرابع وكان قد اقيم حيث كان بيت نثنائيل بن تلماي وعنهُ اتى اسمهُ برتلماوس الرسول فان بر بالعبرانيّة تعني ابن فالي هناك جاء الى هذا الرسول رصيفهُ فيلبُّس يبشرهُ قائلًا بانهُ قد رأى الماسيا الموعود وهو يسوع الناصريّ الخ (يوحنا ١: ٤٥—٥١)

من هناك تذهب نحو وادي الرومانيّة ثم طورعان وقرية الشجرة حيث جامع وهو كنيسة بيظنتيَّة بثلاثة اروقة تقوم على صفي اعمدة كل عمود منها قطعة واحدة من الرخام. وفي ذاك القرب الحقل حيث مرّ يسوع يومًا مع تلاميذه وكانوا جياعًا فأخذوا يفركون سنبلًا ويأكلون (متى ١٢: ١—٨) ثم قرية لوبيا ثم تمرين ثم ترى لجهة الشمال جبل قرون حطين وهما على ارتفاع ٣٦١ مترًا عن سطح البحر ويتسع النظر على سهل فسيح يُدعى في اشعيا قفرشارون ثم ترى على قمة وادي ابو القميص قطع حجارة مرصوفة من نفس الجبل تُدعى حجارة النصارى † فهناك على ما يُقال قد اشبع يسوع الجموع بسبع خبزات (متى ١٥: ٣٢—٣٩) وعلى عشرين دقيقة من هناك عين

تُدعى بئر الكتاب وبعد ربع ساعة عن شمالك قرية تُدعى المنصورة ثم يأخذ الطريق بالانحدار فيريك بحر الجليل بارجائهِ وتكون على مقربة من

— ٣ —

مدينة طبرية

وهي مركز مديرية يبلغ عدد سكانها نحو السبع آلاف نفس منها خمسة آلاف يهود والف وخمسمائة اسلام والباقون بين روم وروم كاثوليك ولاتين وبروتسطانت . وكانت في القديم مدينة حصينة واما الآن فلم يبقَ من حصونها الّا اسوار مشققة منذ زلزال سنة ١٨٣٧ ولا تزال تتهدم مع الزمان . وللاتين في طبرية بقرب البحر كنيسة قد ترمّمت على آثار سالفتها القديمة المشادة ذكرًا لاعجوبة صيد السمك ورئاسة بطرس السليح هامة الرسل (يوحنا ٢١ : ٣—١٧)

وترى المدينة خصوصًا لجهة قبليها آثار قديمة رومانية وغيرها قد دمّرتها الزلازل المهولة فمن ذلك عشرة اعمدة من المرمر الاسمنجوني منقلبة كلها الى جهة واحدة . ويظنّ ان هنالك كان البناء الشهير الذي اشادهُ ادريانس او سمّي باسمهِ ثم جُعل

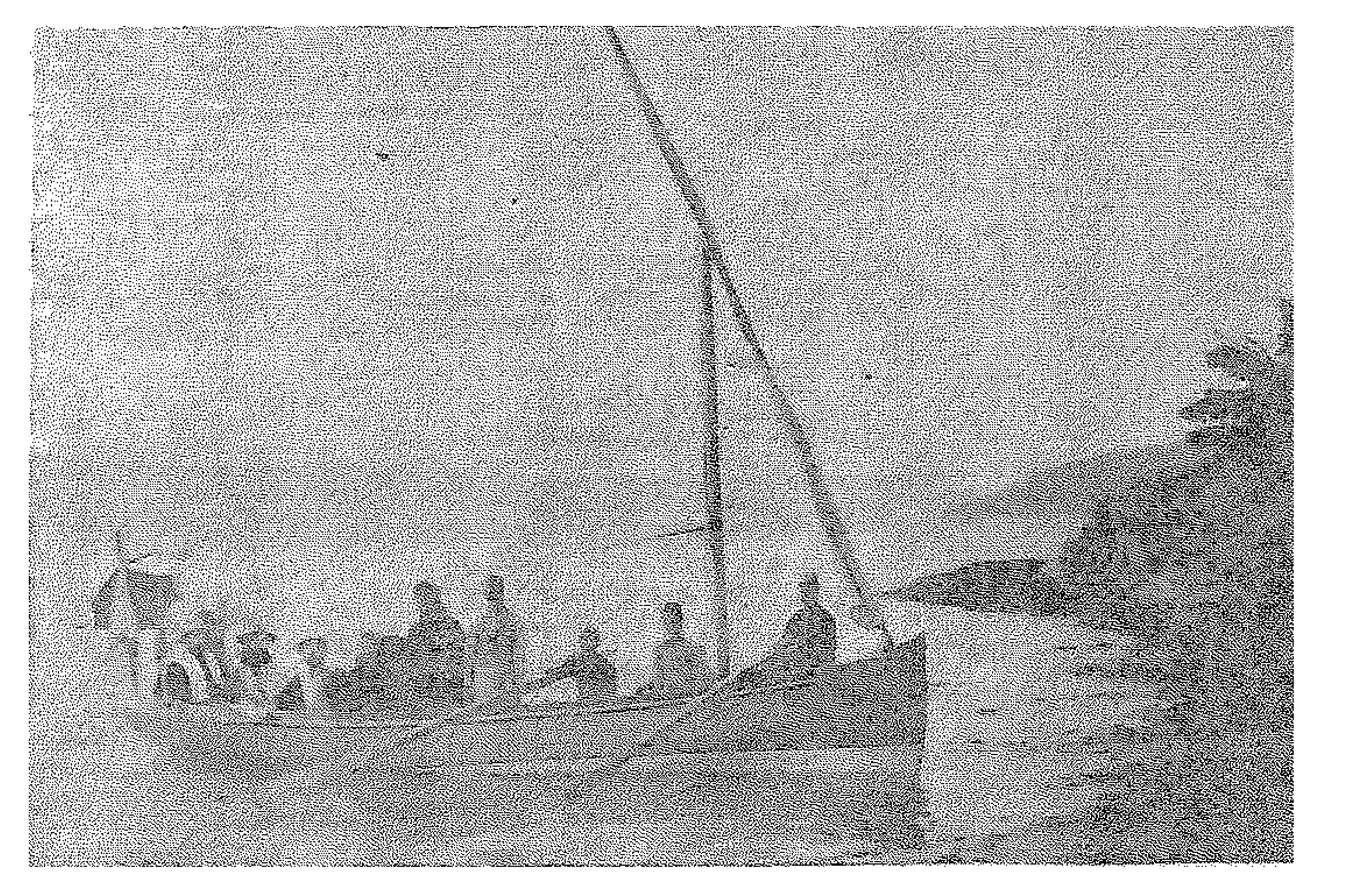
مدينة طبرية

كنيسة . والى نحو ثلاثمائة خطوة من هذه الآثار ينابيع مياه معدنية حارّة منها حمّام ابرهيم باشا وتبلغ حارتها الاثني وستين درجة بميزان السنتيغراد وحمام سيدنا سليمان وتبلغ حرارة مائهِ الخمس وخمسين درجة وقد بُني غيرها حديثًا والى قبليّ الحمّامات مجتمع (كنيس) ومدرسة لليهود على اسم احد الربّيين المدفون هناك

— ٤ —

بحر الجليل او بحيرة طبرية ونواحيها

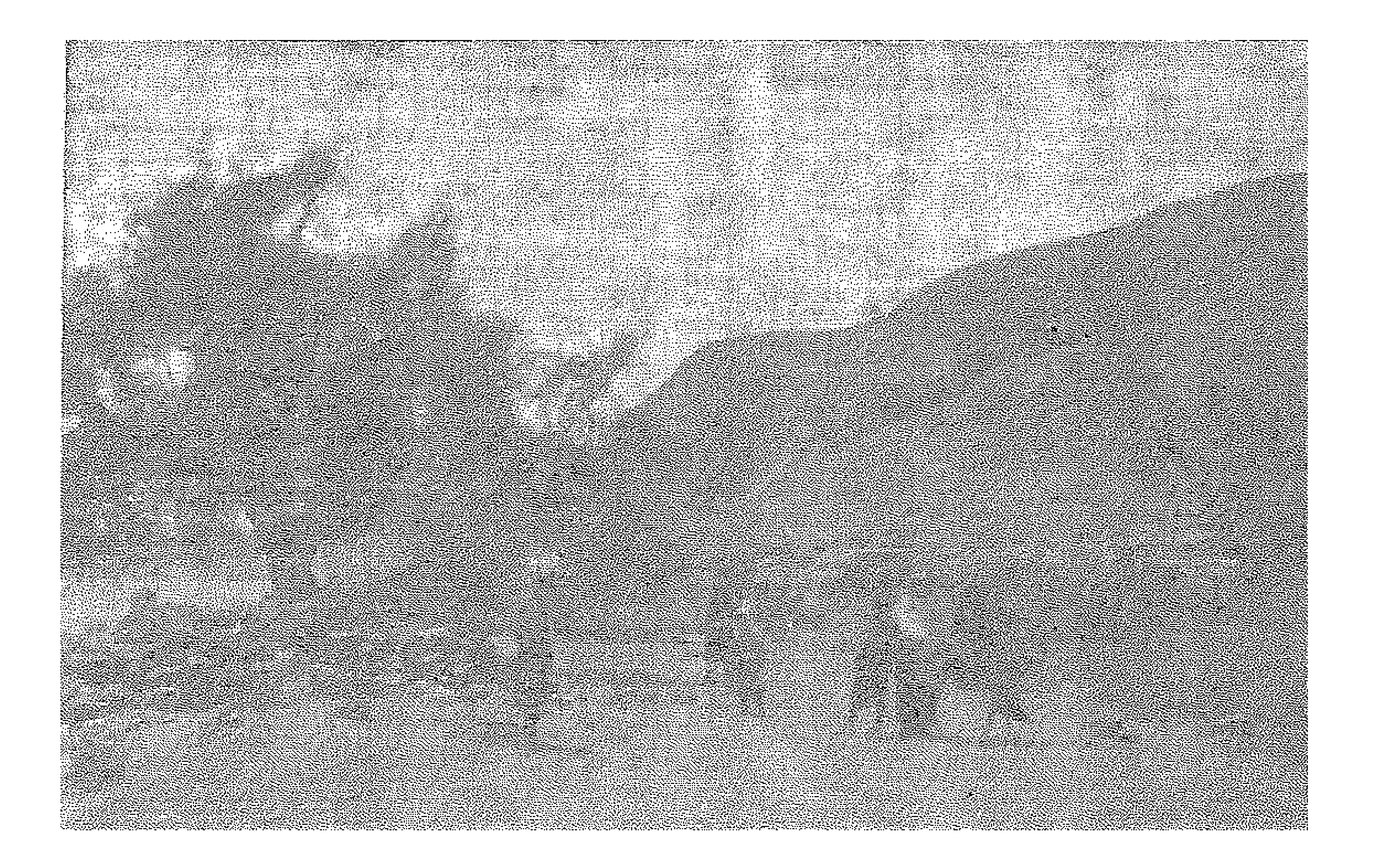
هذه البحيرة هي الحوض الثاني العظيم الذي يملأهُ نهر الاردن في مجراهُ وسطح مائهِ على مائتين وثمانية أمتار تحت سطح البحر المتوسّط . وعمقهُ لا يتجاوز الخمسة وأربعين مترًا غير انهُ في جهة سمخ يبلغ الى عمق مائتين وخمسين مترًا . واماً اتساع البحيرة فيبلغ الواحد وعشرين كيلومترًا طولًا في تسعة كيلومترات عرضًا فتكون مساحتها نحو المائة وسبعين كيلومترًا مربعًا. وماؤها عذب وفيها الاسماك المتنوعة فمن ذلك نوع يُدعى البلبوط وتسميهِ المسيحيّون سمك مار بطرس بناء على ان السمكة



بحر الجليل أو بحيرة طبرية

التي استخرج هذا الرسول من فمها استارًا فدفعهُ لجابي الخراج عنهُ وعن معلمهِ كانت من هذا الجنس (متى ١٧: ٢٣—٢٦) والى الشمال الغربي تبتعد الجبال عن البحيرة تاركةً امامها سهلًا مخصبًا يدعوهُ الكتاب جنّاسار ومنهُ اخذ البحر اسمهُ فسمّي بحر جنّاسار حيث اجترح يسوع المعجزات الجمة وكثيرًا ما علّم الجموع ووعظهم. وعلى هذه المياه كان يسوع يركب السفينة مع تلاميذهِ فيغدو ويروح من شط الى آخر للكرز والتبشير واذ اضطربت المياه يومًا بالامواج والعواصف واوشكت سفينة بطرس الغرق حتى خاف الرسل واستغاثوا بيسوع فقام وزجر الرياح فحدث هدو عظيم واصبحت هذه السفينة رمزًا عن الكنيسة المقدسة التي لا تقوى عليها الزوابع لان الله في وسطها (متى ٨: ٢٣—٢٧ ولوقا ٨: ٢٣—٢٥)

ومرّةً أخرى بينما كان الرسل في السفينة أقبل فادينا الالهيّ عليهم ماشيًا على سطح الماء كما لو كان على اليابسة فلمّا رآهُ بطرس هكذا سألهُ ان يأتي اليهِ فسمح لـهُ المعلّم الصالح ولكن الرسول خاف واوشك الغرق فأخذ يسوع بيدهِ وقال: يا قليل الايمان لماذا خامر الشك قلبك (متى ١٤: ٢٢—٣٢)



مجيدل او المجدل

الى غير ذلك من المعجزات الباهرة التي جعلت ذكر هذه البحيرة الشريفة مخلدًا في بطون الاوراق وقلوب المؤمنين

— ٥ —

مجيدل او المجدل

على اربعة كيلومترات الى شمالي طبرية بقرب وادي الحمام ترى خربة تُدعى مجيدل او المجدل وفيها انقاض اسوار متهدمة وبقايا برجين . وقد كانت مدينة حصينة مهمّة على ما جاء في التلمود فقد كثر فيها النسّاجون والصبّاغون وصادة السمك وباعة الحمام للقرابين . وهنـــاك جاء الفريسيون الى يسوع يطلبون آية من السماء فاجابهم : « ان الجيل الفاسق الشرير يطلب آية فلا يُعطى الّا آية يونان النبي » (متى ١٦ : ٤) وهذه المدينة كانت وطن القديسة مريم المجدليّـــة التي لحقت بيسوع مع النسوة القديسات اللواتي قد تبعنَ المعلّم الالهيّ وكنَّ بخدمتهِ اذ كان يبشّر ويعلّم في اليهوديّة (متى ٢٧ : ٥٥) وهي التي اخرج منها يسوع سبعة شياطين (لوقا ٨ : ٢) وهي التي اتت اليهِ ربّما الى كفرناحوم حيث كان متكئ في بيت

سمعان الابرص فانطرحت على قدميهِ فغسلتهما بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها ودهنتهما بالطيب (لوقا ٧: ٣٦ — ٥٠) وزعم ربّيون طبرية ان ما جعل المجدليّة هذه ساقطة السمعة امام اليهود في تلك الارجاء هو لانهـا تركت زوجها اليهوديّ واقترنت باحد القواد الرومانيّين

— ٦ —

قفر جناسار

من مجيدل يبتدئ الغوير وهو ارض جناسار الى ساحل البحيرة على ستة كيلومترات طولاً في اربعة عرضاً لجهة الجبل وكانت هذه الارض مخصبة وفيهـا العيون الكثيرة مما جعل الكتبة ان تتغزلـــ بنضرتها بخلاف ما هي عليهِ الآن لقلة الزارعين فلم يعد فيها الّا القصب وزهر التفل وبعض مزارع السمسم والذرة والخيار. ولكنها مع ذلك لم تزل محترمة مكرمة في اعين المؤمنين لما قد جرى فيهـا من معجزات السيّد المسيح وما التي هنالك بفمهِ العزيز من بديع التعاليم السامية فعلى اثنتي عشرة دقيقة من وادي الحمام ترى مجرى ماء غزيرًا آتيًا من عين

المدورة تبعد نصف ساعة عن الشط فتتدفّق مياههُ في حوض مستدير يقاس قطرهُ ستة وعشرين مترًا وحولهُ القصب البوص والدفل الاحمر

— ٧ —

بيت صيدا والتابغة وجبل † التطويبات

اذا ما قطعتَ ابا شوشة ووادي الرجبية ثم وادي العمود تبلغ عين اتينة الى شماليّ السهل وهناك هضبة والى جانبها تجري ماء العين الى البحيرة في شبه مستنقع كان ربّما مرفأ لسفن الصيادين ولذا يُدعى حتى الآن خربة المنية ويسمّى الخان ايضًا بالاسم نفسهِ اي خان المنية وربّما كان تصحيف المينا . وهناك وفق التواتر المتواصل موقع بيت صيدا وطن الرسل بطرس واندراوس وفيلبُّس وابني زبدى ويعقوب ويوحنا ويظهر انه الايمان بالسيّد المسيح قد ازهر فيها منذ صدر النصرانيّة فان فيها آثار كنيسة عُظمى لم تزل حنيتها قائمة من بناء الاعصار الاولى . وهناك قد اشفى يسوع الاعمى اذ تفل ولمس عينيهِ (متى ٨ : ٢٢ — ٢٦) وبعد بيت صيدا ترى بئر سبع او التابغة وقيل انهما آتيان عن تسمية واحدة فالاولى عن العبرانيّة ويرادفها

ايتابيغون باليونانيَة فربّما قد تشوهت في فم الاهلين فيكون معنى التسميتين آتيًا عن لفظة سبعة اسم العدد . وفي هذا السهل قد اشبع السيّد الجموع بخمس خبزات المرة الاولى كما ذكر (متى ١٤:١٤—٣٤ ومرقس ٦ : ٣٢—٥٤) ومن هناك ترى بضع تلال ترتفع نحو مائتين وخمسين مترًا عن سطح البحيرة فاحداها الى جهـة الشمال على بعد ثلاثة كيلومترات وعليها شجرتان من البطم يسمّيها الاهلون المباركة والى جانبهـا مغر واسعة وآثار بنايات قديمة . فهناك قد القى يسوع تلك العظة المحكمة الشهيرة المدعوة عمومًا عظة الجبل او التطويبات (متى ٥ : ١١—١٣) وهناك ايضًا تلا على الجموع لاول مرة الصلاة الربيَّة (متى ٦ : ٩ —١٣) وفيما كان السيّد منحدرًا من هذا الجبل متجهًا نحو كفرناحوم اقبل عليـهِ ذلك الابرص متوسلًا بايمان حيّ وصارخًا : يا رب ان شئتَ فانت قادر ان تطهرني . فمدّ نحوهُ يسوع يدهُ الشريفة وقال قد شئت فكـن طاهرًا (متى ٨ : ١—٥) ومن هناك تبلغ بعد نحو نصف ساعة الى

— ٨ —

كفرناحوم (تلحوم)

لم يذكر العهد القديم هذه المدينة واماً الانجيل الشريف فقد كرر ذكرها مراراً بل هي المدينة التي اختارها يسوع لاقامتهِ اعتيادياً بعد الناصرة . وفيها اجترح اكثر معجزاتهِ الباهرة والقى اكثر تعاليمهِ الخلاصيَّة واظهر اوفر شفقة نحو الانسانيَّة وفيها دفع الجزية او الخراج (متى ١٧ : ٢٣—٢٦) ودعا متى العشَّار فجعلهُ تلميذاً ورسولاً (متى ٩ : ٩) وهناك اقام الصبيَّة ابنة يايروس فنهضت من الموت كمن الرقاد (متى ٩ : ١٨—٣٦) والى هناك اتاهُ القائد الروماني قائلاً : اني لا استحق يا رب ان تدخل تحت سقف بيتي لكن قل كلمة واحدة فيحيَ غلامي فتحنن يسوع عليهِ واستجاب طلبهُ فشُفي الغلام من وقتهِ (متى ٨ : ٥ — ١٣) وهناك اتى اليهِ قوم بمقعد ولما لم يستطيعوا الدنو منهُ لازدحام الجموع حولهُ صعدوا بمريضهم الى السطوح وكشفوا سقف البيت وادلوهُ مربوطاً بحبل الى حيث كان السيد جالساً يعلم الشعب (مرقس ٢ : ١—٥) وهناك شفي المسكون من الروح النجس (لوقا ٤ : ٣١—٣٧) والى هناك

اتت نازفة الدم فلمست سجف ثوبهِ من ورائهِ فنالت تمام الصحة
(مرقس ٥ : ٢٥ — ٣٤)

وكان يسوع يقطن هناك عند بطرس الرسول الذي كان قد ترك بيت صيدا وسكن كفرناحوم او ربما كان هناك في بيت حماتهِ بشاهد انها كانت يوماً مريضة بالحمى فأخذ يسوع بيدها فنهضت سالمةً واخذت تخدمهُ وتلاميذهُ (متى ٨ : ١٤ — ١٦) ويظهر من عبارة الكتاب الشريف انهُ تعالى قد بات هناك اذ يردف: ولمَّا جاء المساء اتى اليهِ الكثيرون فاشفاهم من عاهاتهم المتنوعة (متى ٨ : ١٤ — ١٦ ومرقس ١ : ٢٩ — ٣٤) على ان كلما قالهُ تعالى هو لا شك سامٍ شريف ولكن كلامهُ عن سرّ القربان الاقدس الذي فاهَ بهِ هناك يسمو على كلما سواهُ حتى انهُ أثار مشاجرة بين السامعين لعظم سموّهِ البديع اذ قال لهم انهُ هو خبز الحياة ومَن لا يأكل جسدهُ ويشرب دمهُ لا حياة لهُ فيهِ تعالى (يوحنا ٦ : ٢٦ — ٧٠) فما احلى وما اجمل قراءة هذا الفصل الشريف في المحل عينهِ الذي فاهَ بهِ عزَّ وجلّ .
ولكن سكَّان كفرناحوم معما عاينوا من المعجزات وسمعوا من التعاليم السامية الشريفة لم ينتفعوا من كل ذلك حق الانتفاع

ولذا استحقوا ان يوبخهم تعالى بهذه الكلمات الصارمة : وانتِ يا كفرناحوم ولو ارتفعتِ الى السماء ستهبطين الى الجحيم فانَ المعجزات التي صارت هنا لو كانت في سدوم لثبتت حتى الآن (متى ١١ : ٢٣)

هذا ما رأينا الاقتصار عليهِ في هذا الدليل من المزارات
الاكثر شهرةً في اليهوديَّة والجليل وهي حسب المطالع من
عامة الزائرين غير الباحثين منهم والمحقّقين فلأولئك
المطوّلات او اصل الترجمة كما ذكرنا في المقدَّمة
ونسألهُ تعالى ان ينفع بهِ مطالعيهِ. وينعش
فيهم روح التقوى بلا تمويه. ويغفر
لنا كل عثرة او هفوة
فيه. فهو سميع الدعاء
ومولى الانام.
ولهُ الحمد
في البدء
والختام

فهرس الكتاب

صفحة

صفحة

طريق الآلام

جبل صهيون او مدينة داود

مزارات جبل الزيتون

من اورشليم الى بيت لحم

صفحة

من اورشليم الى الاردن

من اورشليم الى عمّاوس والنبي صموئيل

من اورشليم الى عين كارم

صفحة

من اورشليم الى مار سابا

من اورشليم الى الناصرة

مدينة الناصرة

صفحة

من الناصرة الى جبل الطور

من الناصرة الى طبرية

اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣	١١	المنيمة	المنيفة
٨	١٤	فتقلبوا	فتغلبوا
٩	١٣	وطفى	وطغى
»	١٤	اربهر	رابهر
١١	»	بالانتصارة	بانتصاره
١٦	٣	منها	فيها
٣٦	٣١	نشورهبر	لشوزهبر
٥٩	١٦ و١٧	قرن كامل	قرنين كاملين
»	١٧	١٣١٧	١٤١٧
٧٣	١٣	بالمؤمنين	بالمذبين
٧٥	٣	روؤا	رأوا
»	١٦	مرتفمة	مرلمة
٢٥٧	١٣	صقلية	بندقية
١١٩	١٣	ذكرتها لها	ذكرتها
١٤٣	٣	سلمة	سالمة
١٥١	٥	عارضيه	عارضتيه
١٦٦	١٣	من	منة
٢٢٧	١	منة	منها
٢٣١	١٧	٣٠٠	٣٠٠٠
٢٣٨	١٣	الكسيوم	الكلسيوم
٢٥٣	١٧	نطق	نطف
٢٥٦	١٤	سالات	سافات